جامعة أبو القاسم سعد الله
الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية قسم الفلسفة

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

سؤال الكينونة والشعر
مارتن هيدغر
نماذج من الشعر القبسقراطي
Question of Being -martin Heidegger-presocratic poetry

تقديم الطالبة:
بسرني سليمة

إشراف:
الأستاذ: محمد بلعزوقي

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د كمال بومنير	أستاذ	جامعة الجزائر02	رئيس اللجنة
أ.د محمد بلعزوقي	أستاذ	جامعة الجزائر02	عضوا
أ.د عبد المالك عيادي	أستاذ	جامعة الجزائر02	عضوا
د. فاطمة الزهراء أمغار	أستاذ	جامعة الجزائر02	عضوا
أ.د عليش لعموري	أستاذ	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا
أ. بلعالية ميلود	أستاذ	جامعة شلف	عضوا

السنة الجامعية: 2021-2022

شكر وإهداء

لأنّ رسالة الدكتوراه، ليست عملا فرديا، أتمنى أن يصل شكري وعرفاني عن طريقها إلى كل الذين كان لهم الفضل من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

أشكر أعضاء لجنة المناقشة، كذلك أستاذي القدير مدير الأطروحة محمد بلعزوقي، كما أشكر أيضا كل الأساتذة الذين أتيحت لي فرصة التعرف عليهم في مرحلة ما بعد التدرج. والذين أعانوني كثيرا على رأسهم الأستاذ المرحوم بشير ربوح والأستاذ بوقاف وبومنير وهزرشي والأستاذ بوساحة والأستاذة عماري خيرة.

إلى عائلتي على رأسهم والدي رحمه الله وأمي أطال الله في عمرها وإلى إخوتي.

إلى طلبتي الأعزاء: نبيل فتح الله وحبيبة وليندة ولاريسا وجوزيان وفرح. الذين كان لهم فضل كبير في جمع المادة المعرفية الخاصة بالمصادر وذلك لعدم توفرها في مكتباتنا.

شكرا لأستاذ اللغة اليونانية، الذي يعود الفضل الأول إليه، فلولاه لما استطعت التقدم خطوة واحدة علما أن مارتن هيدغر يكتب في كثير من الأحيان باللغة الإغريقية داخل نصوصه. أنا التي اعتمدت في بحثي على الفكر اليوناني القبسقراطي نموذجا.

وأخيرا أهدي عملي المتواضع إلى كل من سبق ذكرهم.

فهرس

مقدمة 06

الفصل الأول: سؤال الكينونة

المبحث الأول: التحري الأنطلوجي

1- فلسفة الكينونة..... 17

2- مشكلة الأنطولوجيا كعلم 21

3- سؤال الكينونة هو سؤال ميتافيزيقي 28

المبحث الثاني: تفكيك هيدغرلمقاربات الكينونة

1- المقاربة الأنطية 42

2- المقاربة الأنطوثيولوجية 44

3- ضرورة التقويض 47

4- المقاربة الأنطولوجية لهيدغر 57

الفصل الثاني: حقيقة الكينونة وعلاقتها بالدازين

المبحث الأول: من الأنطلوجيا إلى الفينومينولوجيا

1- الفينومينولوجيا هي منهج الأنطلوجيا 63

2- تعريف الفينومينولوجيا يونانيا 67

المبحث الثاني: مفارقات الكينونة وعلاقتها بالدازين

1- ما معنى الكينونة؟

أ- الكينونة هي الفراغ 76

ب- الكينونة هي الأكثر فهما وهي الانسحاب 78

ت- الكينونة هي الأكثر ابتذالا فضلا عن كونها الأصل 79

ث- الكينونة هي الركيزة وهي الغموض 79

ج- الكينونة لا تتوقف عن الكلام وهي التي تحتفظ بالصمت..... 80

ح- الكينونة هي الأكثر نسيانا وهي أيضا الذاكرة 80

خ- الكينونة هي القيد الأكثر إلزاما وهي التحرر 81

2- من هو (الدازين)؟

1- Dasein، هو كينونة - في- العالم 82

2- الدازين هو كينونة ملقاة 85

3- الكينونة هي كينونة- مع 87

4- الكينونة- من- أجل- الموت 91

خلاصة 93

الفصل الثالث: حقيقة الكينونة في مسرح اللغة

المبحث الأول: حقيقة الكينونة

1- نسيان الكينونة في حقل اللغة 98

2- النسيان ليس خطأ بل هو نتيجة للانسحاب 102

المبحث الثاني: العودة إلى لغة الإغريق الأوائل

1- المقاربة الفينومينولوجية للغة الإغريق الأوائل 112

2- القول بعد سقراط 120

3- ماهية اللغة بالنسبة لهيدغر 126

4- تحويل ماهية اللغة من القول إلى العقل 130

5- القول الشعري هو مأوى الكينونة 134

خلاصة 143

الفصل الرابع: سؤال الكينونة في شعر الأوائل

المبحث الأول: حقيقة الكينونة وماهية الشعر

1- علاقة الإنسان الأول بكينونة الشعر 145

2- أنكسمندر- توجه الكينونة والزمان واحد 153

المبحث الثاني: مسلك الفكر- (هرقليطس)

1- الكينونة هي الفيزيس 161

2- معاني اللوغوس في أقوال هرقليطس 168

أ- لوغوس بمعنى الواحد 171

ب- لوغوس بمعنى التلقي والحماية 166

ت- لوغوس بمعنى نور وإضاءة 173

المبحث الثالث: علاقة الفكر بالكينونة (برمنيدس)

أ- Moira- الكينونة والفكر الشيء نفسه 176

ب- عائق الترجمة 180

ت- الفكر والشعر والمقدس..... 185

ث- المقدس الإغريقي 190

ج- كل فن هو في أصله شعر 199

خاتمة البحث 207

بيبليوغرافيا 210

ملحق.....,.....218

مقدمة

مارتن هيدغر Martin Heidegger (1889-1976) هو من أبرز المفكرين المعاصرين، لأنه أول من أعاد طرح سؤال **الكينونة**، وأخرجه إلى النور. سؤال الكينونة، هو عنوان لمسيرة طويلة تميزت ببصمة خاصة لمسناها من خلال قراءتنا لنصوص هذا المفكر، وهي نصوص تقاطعت فيها كثير من النصوص الفلسفية الكبرى، حيث أراد هيدغر تأسيس ميتافيزيقا جديدة انطلاقا من قراءاته لتاريخ الميتافيزيقا الغربية ابتداء من مرحلة فجر الفكر اليوناني. مثلت هذه المرحلة التاريخية بحق، حلقة انبثق فيها نور الفهم مع المفكرين القبـسقراطيين، أمثال أنكسيمندر وبرمنيدس وهيرقليطس... وغيرهم.

لقد تعددت وتنوعت اهتمامات هذا المفكر، المنشغل بأمور عصره وبتاريخ الفلسفة ككل، فكان القاريء المتميز والمتمحص لنصوص الفكر اليوناني بمقارباته الأنطولوجية والفينومينولوجية للغة الشعرية. لقد كانت عودة هيدغر إلى الشعر القبسقراطي عودة ضرورية، من أجل تجاوز الفلسفة التقليدية، القائمة على مركزية الخطاب العقلي الموجه إلى الكائن الماثل أمامها، والتي اتخذت من العقل الإنساني مصدرا لكل حقيقة، غير مبالية بحقيقة الكينونة المتخفية وراء حضور الكائن. ولهذا السبب وضع مفكر الغابة السوداء تاريخ الفلسفة الغربية بين قوسين، ليكشف ما يستدعي المراجعة، فكان ناقدا ومقوضا لتاريخ الفلسفة الغربية، فتجاوز هيدغر من خلال تقويض الميتافيزيقا الغربية المفكرين الذين وضعوا قواعد الفكر الغربي لآلاف السنين، فكانت نصوصهم من أبرز وأقوى النصوص، مثل أفلاطون وأرسطو وديكارت وليبنتز وكانط ونيتشه.

انغمس هيدغر في أشعار الإغريق الأوائل، وكذلك الشعراء الألمان، مثل ريلك وبول سيلان وشاعر الشعراء هلدرلين. وأضاف الكثير إلى الفكر والفن، بتأويله للنصوص الشعرية، بوصفها كشفا أنطولوجيا فتح لنا أفق عالم جديد وجميل وأصيل. كان الشعر ولا يزال من أقوى النصوص الفلسفية والفنية، التي تناولت سؤال حقيقة الكينونة. أراد هيدغر من خلال البعد الأنطولوجي للشعر، أن يعود بنا إلى المسكن الروحي المفقود والغائب، وهو

المسكن الشعري. الشاعر في نظر هيدغر هو المختار الذي منّت عليه الكينونة بعطائها، فلا ينبثق نورها إلا في حضوره الأكثر حميمية. تتكشف الكينونة للشاعر طوعا، فتسترسل كلماتها في أشعاره.

لقد كان الإغريق هم أول من أبدعوا في اللغة الشعرية من خلال أشعار هوميروس، هيزيود، برمنيدس وهيرقليطس وغيرهم، حيث تفتحت اللغة من خلال كينونة الشعر في العالم. وإضافة إلى البعد الأنطولوجي والفني والتاريخي للشعر، لا ينبغي أبدا إهمال الأبعاد الجمالية والتعليمية التربوية له، إذ يمكن استخلاص الفلسفة من الميثولوجيا، والميثولوجيا من الفلسفة. ومن أجل هذه الغاية سيبحث هيدغر في سؤال حقيقة الكينونة من خلال النصوص الشعرية عامة، وفي النصوص الشعرية الميثولوجية خاصة، وهو مشروعه التأسيسي لميتافيزيقا جديدة تهدف إلى إنارة حقيقة الكينونة وهو ما أطلق عليه هيدغر المصطلح الألماني Dichtung ويقصد به الشعر الفلسفي أو الشعر المفكر في حقيقة الكينونة.

كان المفكرون الأوائل يشعرون بوجود سر يخفي حقيقة العالم المرئي، فكانوا يطلقون العنان لمخيلتهم، فأنتجوا وأبدعوا أعمالا وأقوالا فنية ، عبروا فيها عن الغموض والتيه الذي حيّر الإنسان الذي كان يأمل في الخروج من حالة الضياع والفوضى التي يعيشها، ليصل إلى حالة من الاستقرار والتناغم، حيث تكون هذه الحالة هي إقامته أو سكنه الذي يمكنه أن يرتاح ويستقر فيه. ولكن مع سقراط، عرف الفكر نمطا جديدا، تميز بالبحث عن الحقيقة كمطابقة، مستعملا الخطاب العقلي الإستدلالي، فتربع العقل على عرش التفكير، وطرد أفلاطون الشعر والشعراء من جمهوريته بحجة أن الشعر يبعدنا عن الحقيقة. في هذه اللحظة الأفلاطونية كان الشعر مجرد محاكاة. وبهذا أصبح العقل هو مركز الحقيقة. واستمرت مركزيته في تاريخ الفلسفة الغربية ككل. سيكشف لنا هيدغر من خلال نقده للميتافيزيقا التقليدية، أن مسار العقل هو الذي جعل الميتافيزيقا تحجب حقيقة الكينونة المنسحبة خلف ظهور الكائنات، فالتفكير في الكائن على حساب الكينونة هو تفكير حسابي ونفعي بحت. وهنا سنلمس لغة جديدة تختلف عن لغة العلم، إنها اللغة الشعرية التي تدعونا

إلى الإنصات لنداء الكينونة، وتلبية هذا النداء، والدخول في علاقة حميمة مع الكينونة ككينونة.

إن شغف البحث في جوار هيدغر، يجعلنا نزيح إمكانية اختيار أو تفضيل دراسة فيلسوف عن فيلسوف آخر، حيث ينبغي أن نكون على إطلاع بتاريخ الفلسفة ككل. وهو شرط أساسي للدخول في عالم الفكر الهيدغري. هذا الأخير يستوجب أن نلم برؤية شاملة، تجمع بين علم النفس والعلم الأنطي والميتافيزيقا واللغة والتاريخ والفن، وربما هذا ما جعل هيدغر يميز بين الفكر والفلسفة.

لقد انتقد هيدغر كُل ما أنجزته الفلسفة الغربية. وهذا ما فتح باب الدهشة على مصراعيه وزاد من رغبتنا الشديدة في اكتشاف البدائل التي جاءت مخالفة لكل ما تعلمناه سابقا، فندخل بهذا عالما جديدا، تحكمه لغة جديدة، لغة مستعصية على الفهم نظرا لصعوبة مصطلحاتها، ولكن ينبغي علينا أن نتقنها أولا قبل أن نسلك دروب الغموض والعدم، وهما في نظر هيدغر جوهرا الكينونة.

لقد جعل هيدغر علاقة اللغة بالفكر، علاقة تحايث وتلازم. ثم إن علاقة كهذه، تجعلنا نقف منتبهين أمام باب التجربة الحياتية الخاصة، لننتقي بعناية كبيرة كلماتنا. فما نقوله هو أساس كينونتنا. قوة الكلمة من قوة الكينونة. فاللغة، على قول شاعر الشعراء هلدرلين، هي أخطر النعم جميعا، لأنها تشكل بنية التفكير الإنساني.

لقد عاد هيدغر في دروب بحثه عن **الكينونة** إلى الشعر الإغريقي الأول ليقول ما لم يسبق قوله. كما أنه تنبه إلى أن اللغة الشعرية قادرة على التوقف والكف عن كونها أداة للتبليغ والتواصل. فهي ليست لغة إخبارية دلالية، بقدر ما هي لغة إنشائية. وهنا، يبرز لنا هيدغر قدرة اللغة وإمكانياتها في إحالتنا وهدايتنا إلى "حقيقة الكينونة"، مهمة القول الشعري هي الإظهار وإفساح المجال لإنكشاف الكينونة.

للكلمة الشعرية أفق فهم الكينونة بكليتها، بمعان مختلفة ومغايرة للغة المنطق. ولهذا أعاد هيدغر طرح سؤال الكينونة، رافضا ومقوضا نسيان الفلاسفة له، ورفع نداءه عاليا

ليكون التحقيق الأنطلوجي فينومينولوجيا، حيث يقوم المنهج الفينومينولوجي وفقا لمؤسسه إيدموند هسرل، على قاعدة توجهنا صوبا نحو الأشياء ذاتها، أي تدعونا إلى الدخول في علاقة مباشرة مع الأشياء ذاتها، فالمنهج الفينومينولوجي هو السبيل الوحيد لمعرفة حيثيات هذه العلاقة في كل أبعادها، وهو الأمر الذي سيكشف ويوضح لنا الفرق بين الكائن والكينونة. لقد تمكن هيدغر من تحديد الفرق الأنطلوجي، بتطبيقه لهذا المنهج، وكشف ما كان مختبئا خلف النصوص الكلاسيكية القديمة، والشذرات الشعرية القليلة المتبقية في الفلسفة اليونانية القبسقراطية، لينتشل سؤال البداية والنهاية من النسيان. أراد هيدغر أن يوضح لنا التاريخ التطوري لفكرة الكينونة، ابتداء من مرحلة ما قبل سقراط، حيث عالج سؤال الكينونة من خلال هذه النصوص القديمة، وهي نصوص مُؤَسِسَة أسهمت إلى حد كبير في نشأة الفلسفة الغربية.

وبناء على ما سبق، حددنا إشكالية بحثنا كالآتي:

كيف عالج هيدغر سؤال الكينونة شعريا؟ ولماذا الشعر بالتحديد؟ هل يمكن للقول الشعري أن يكون وجها من أوجه الفكر؟ ما هي حقيقة الكينونة في نظر هيدغر وما علاقة الشاعر بحقيقة الكينونة؟

لمقاربة الإشكالية الأساسية في بحثنا، سنعمل على تحليلها من خلال فك الأسئلة الجزئية المتفرعة عنها وهي كالآتي:

ما هي الأطر الميتافيزيقية التي تأسس عليها مفهوم الكينونة في الفلسفة الغربية عامة، وفي الفكر اليوناني القبسقراطي خاصة؟ إذا كنا قد تعودنا في تاريخ الفلسفة الغربية على أن الخطاب العقلي هو الخطاب المؤسس والوحيد للحقيقة كتطابق، فهل يمكن أن يوجد خطاب آخر يوصلنا إلى الحقيقة، تحت نمط يختلف عن نمط الخطاب العقلي؟ ما هي أنواع القول عند هيدغر؟ وما محل الشعر من هذه الأقوال والخطابات؟ هل تكمن الحقيقة فيما نقول أم فيما نرى؟ وإذا كان الخطاب ملازما للفكر، فما نوع الخطاب الذي يمكنه أن يخوض تجربة غموض الكينونة؟ إذا كان الشعر هو الخطاب الذي تحدث بامتياز عن الكينونة ككينونة، هذا يعني أنه هناك إمكانية مجاورة الشاعر للمفكر، باعتبار أن القول الشعري هو الطريق الذي

يسلكه الشاعر في فهم حقيقة الكينونة. هل انتقل هيدغر، في مساره الفكري، من ظاهرة الكينونة إلى ظاهرة اللغة، لأن حقيقة الكينونة مطابقة للفكر ولا وجود لفكر في غياب اللغة؟ ولبلوغ هدفنا ومحاولة مقاربة هذه الإشكالية خصصنا لبحثنا أربعة فصول :

تناولنا في **الفصل الأول** الموسوم ب: **"سؤال الكينونة"** مبحثين: عالجنا في المبحث الأول المعنون ب: **"التحري الأنطلوجي"**، الموضوع الأساسي للتحري الأنطلوجي وهو "الكينونة". ومن ثمة مشكلة الأنطلوجيا كعلم. وكيف تناولت الأنطلوجيا التقليدية سؤال الكينونة. أما المبحث الثاني الموسوم ب: **"تفكيك هيدغر لمقاربات الكينونة"** تطرقنا فيه إلى المقاربتين الأنطية والأنطوثيولوجية وكذلك المقاربة الأنطلوجية الهيدغيرية التي تقتضي تقويض الميتافيزيقا الكلاسيكية وذلك بفتح باب الزمانية. في **الفصل الثاني** الموسوم ب: **"حقيقة الكينونة وعلاقتها بالدازين"**، فقسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول الموسوم: "من الأنطلوجيا إلى الفينومينولوجيا" تناولنا فيه منهج البحث الأنطلوجي، فإذا كانت الكينونة هي ظاهرة الظواهر، فإن طريقة البحث والتحري عن ظاهرة الكينونة هي الطريقة الفينومينولوجية، التي أسفرت عن مفارقات الكينونة والتي توصل هيدغر من خلالها إلى أن ضرورة فهم الكينونة يستلزم تحليل أنماط الدازين الوجودوية لأنه الكائن الوحيد الذي تعلن الكينونة ككينونة عن نفسها من خلاله. سلطنا الضوء في المبحث الثاني المعنون **"مفارقات الكينونة وعلاقتها بالدازين"** عن معضلة فهم الكينونة ككينونة، فالكينونة هي الفراغ والامتلاء في الوقت نفسه، وهي التي لا تتوقف عن الكلام وهي التي تحتفظ بالصمت، وهي الأكثر نسيانا وهي الذاكرة، وهي الحجب واللاحجب في آن واحد. بعد معضلة فهم الكينونة، إنتقلنا إلى التحليل الوجودوي لنستعرض البنية الوجودوية للدازين، إن "الكينونة-الإنسانية " والتي أطلق عليها هيدغر لفظ "دازين"، هي كينونة مندمجة في مجموعة علاقات، فالدازين ليس مرادفا للإنسان بل لنمط كينونة خاص يجعله يتميز عن نمط كينونة الكائنات الأخرى لإنشغاله بسؤال الكينونة. الكينونة قبل كل شيء هي كينونة الكائنات. ولكن لا يمكن أن نقول ما الكينونة؟ لأن سؤال الماهية هو سؤال الكائن لا الكينونة؟ ولهذا سنجيب عن سؤال ماذا تعني الكينونة بالنسبة لكينونة هذا الكائن الخاص المسمى بالدازين؟

أما **الفصل الثالث**، الذي أسميناه **"حقيقة الكينونة في مسرح اللغة"**، فقسمناه إلى مبحثين، أبرزنا في المبحث الأول المعنون "حقيقة الكينونة"، ظاهرة نسيان الكينونة التي جاءت كنتيجة لانسحاب الكينونة وتواريها، وهي ظاهرة متجذرة منذ آلاف السنين وعلة نسيان الكينونة هي اللغة الميتافيزيقية التي اعتمدت مركزية الخطاب العقلي دون سواه. أما المبحث الثاني الموسوم ب: **"العودة إلى لغة الإغريق الأوائل"**، فعالجنا فيه المقاربات اللغوية لدى الإغريق في مرحلة ما قبل سقراط وما بعده. كما أبرزنا كيف تحول جوهر اللغة لدى الإغريق من القول إلى العقل. وتطرقنا أيضا إلى ماهية اللغة بالنسبة لهيدغر، فالقول الشعري هو مأوى الكينونة. الشاعر هو المختار، حيث تسفر الكلمة الشعرية عن وجود علاقة حميمة تربط الشاعر بالمفكر. وهذا هو فحوى المبحث الثالث المعنون ب: **"العلاقة بين الشعر والفكر"** حيث عالجنا فيه ضرورة العودة إلى كينونة اللغة في فجر الفكر الإغريقي لأن اللغة الشعرية التي اعتمدها المفكرون الأوائل هي اللغة المفكرة في حقيقة الكينونة. حيث يحدد لنا القول الشعري طبيعة العلاقة بين الشعر والفكر، فاللغة الشعرية هي المأوى والوطن. كما بيّنا أيضا في هذا المبحث كيف فتح لنا باب الشعر المفكر في حقيقة الكينونة إمكانية التفكير إنطلاقا من العودة إلى النصوص اليونانية القبسقراطية لأن التفكير في حقيقة الكينونة لا يمكن أن يتحقق إلا بالوقوف عند اليونان وبالأخص المفكرون الأوائل.

أما في **الفصل الرابع** الموسوم ب: **"سؤال الكينونة في شعر الأوائل"** فقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول المعنون **"سؤال الكينونة وماهية الشعر"**، بتحديد علاقة الإنسان الأول بالكينونة الشعرية. واستعرضنا بعض قراءات هيدغر فيما يخص أشعار كل من أنكسمندر وهرقليطس وبرمنيدس. وكانت البداية مع أنكسمندر حيث بينا أن توجه الكينونة والزمان واحد من خلال بعص المقاطع الشعرية لأنكسمندر. سنغوص أبعد مع هيدغر في أعماق التجربة الإغريقية القبسقراطية، وهي نفسها تجربة إختباء الكينونة وظهورها مع هرقليطس، فالكينونة بالنسبة لهرقليطس هي الفيزيس φυσις بمعنى الانبثاق والتجلي، حيث يدعونا إلى رفع الحجاب عن الطبيعة المحتجبة. لننتقل فيما بعد إلى شرح معاني اللوغوس λογος في شعر هرقليطس. لننتهي في هذا المبحث بتحديد علاقة الفكر بحقيقة الكينونة في أشعار برمنيدس حيث سلطنا الضوء على شعر **القدر أو المصير** *Μοιρα* لنوضح طبيعة

علاقة الفكر بالكينونة القادمة. كما تناولنا مشكلة الترجمة كحركة فكرية، فالتفكير كترجمة، تتخلله عوائق إبستيمولوجية كثيرة، حيث أن الانتقال من لغة إلى أخرى دون الإنتباه إلى خصائص اللغة، قد يُحدث تغييرا وإنحرافا جذريا في المعنى الأصلي. الفكر واللغة مرتبطان إرتباطا وثيقا بالترجمة. ولأن الفكر متعدد اللغات، فإن الانتقال من لغة إلى لغة أخرى يتطلب التفكير بنفس طريقة تفكير لغة الأصل. إن اللغة هي كينونة حية كونها في علاقة بالكينونة الإنسانية التي ينبغي أن تعبر عنها في كليتها.

ننتهي في الأخير إلى أن اللغة الشعرية هي انبثاق للفكر. اللوغوس هو قول يفكر في الكينونة والشعر يسمي المقدس. وهنا، يبرز الشعراء بعد القداسة في أقوالهم الشعرية. كل فن أو كل عمل فني هو شعر في نظر هيدغر، واللغة الشعرية هي اللغة التي تكشف الكينونة، ونشاط العمل الفني هو صدى الكينونة الذي يكشف الكائن. ولكن العمل كعمل فني يُبرز بعد المقدس. والمقدس هو صدى الكينونة، وهو الحضور الدائم للغياب، فالكينونة تتكلم وتنطق شعرا وتتكشف في العمل الفني. وهكذا سنرى من خلال هذا البحث كيف كان الشعر اليوناني بصوره الجمالية والميثولوجية قالبا أنتج فكرا مجاورا لغموض الكينونة المتحجبة. وما يزال هذا الفكر مستمرا ومفتوحا لقراءات جديدة إلى يومنا هذا، حيث عاد الكثير من الفلاسفة المعاصرين إلى هذه المرحلة التاريخية بالتحديد، فالشعر كعمل فني وتاريخي وفلسفي شكل قاعدة للفكر الغربي عامة، ولكنه إنحرف عن مساره الصحيح إبتداء من اللحظة الأفلاطونية.

وأخيرا، وضعنا **خاتمة** حددنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا في فكر هيدغر.

وملحقا شرحنا فيه بعض المصطلحات اليونانية التي وظفناها في هذا البحث وإستعرضنا كذلك دروس هيدغر كرونولوجيا وتوبولوجيا.

إستعملنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي اللغوي، الذي حاولنا من خلاله تحليل وتفكيك لغة هيدغر في معالجته لسؤال الكينونة. إن عملية القلب والتفكيك التي قام بها هيدغر في مسيرة بحثه للأسس السابقة للفكر الغربي كانت من خلال عودته إلى إتيمولوجيا اللغة، وذلك من أجل البحث في أصل الكلمات وفحص الترجمات التي وصلتنا ليعيد طرح سؤال

حقيقة الكينونة من جديد وفق أسس جديدة. وهو وضع تَطَلَّب إيجاد لغة تتوافق مع نمط فكرهيدغر الجديد والخاص. مما جعل قراءة وفهم أفكار هذا المفكر أمرا مستعصيا. كما إستعملنا أيضا المنهج التاريخي، لنبرز ونتتبع تطور المسار الفكري الهيدغري، لأن هيدغر عندما إنتقد الميتافيزيقا والتقنية وإنتهى إلى ضرورة التقويض، كان قد قرأ بعين المتفحص تاريخ الميتافيزيقا الغربية ككل. هيدغر، هو طبيب متميز لأمراض هذا العصر، قام بتشخيص أزماته التي لم نخرج منها بعد، ويبدو أننا لن نخرج منها إلا إذا سلكنا طريق الفن، أي أن ندخل طواعية عالما شاعريا، تعزف لحنه الكينونة ذاتها، فنرقص على نفس إيقاعها. فعلاقتنا بالكينونة، تشبه فرقة موسيقية، يعزف فيها الجميع، في تناغم، متتبعين حركات قائدها، فتتشابك الموسيقى مع النظر، والإنصات مع الكلمة، والحركة مع السكون لتكتمل لعبة الإيقاع والنغم. شعار هيدغر هو ترك الكينونة تتجلى وتنبثق من ذاتها. وفي هذا تحرر من قانون السلطة والتحكم.

لغة هيدغر الفريدة تجعل من إمكانية الفهم صعبة، إذ يستحيل قراءة النصوص الهيدغرية دون العودة إلى القواميس الألمانية والإغريقية واللاتينية، وعلى الأخص قاموسه الشخصي، لأن محور تفكيره يكمن في حقل اللغة، وهو بحث في اللامفكر فيه مما دفعه إلى التفكير في لغة فريدة يصل من خلالها إلى تحديد حقيقة الكينونة.

نتج عن نحت هيدغر لمصطلحات جديدة صعوبة في الفهم وغموضا في المصطلحات، أبانت عن ترجمات عديدة لأعماله، إختلفت الواحدة عن الأخرى، فخلق هذا صعوبة في توحيد الترجمة. هذا ما لاحظناه نتيجة إطلاعنا على أعمال المفكر باللغتين الفرنسية والعربية، باعتبارهما اللغتان المعتمدتان لإنجاز هذا البحث. كذلك، تعذر علينا في كثير من الأحيان، الوصول إلى المعنى المقصود. فهناك مثلا من ترجم كلمة Être في اللسان العربي إلى "وجود"، وهناك من ترجمها إلى "كينونة". وقد اعتمدنا الترجمة الثانية، لأن كلمة "وجود" يقابلها في القاموس الفرنسي مصطلح Existence وتعني "الوجود العيني الواقعي"، وهو مصطلح يختلف في معناه عن كلمة Être ، التي تعني "ثمة"، Il y a. تقابل كلمة وجود Existence في اللغة اللاتينية كلمة existere وتعني "الخروج من.." Sortir

Existence كلمة .., Être hors de soi أي أنه ذلك المتواجد في الخارج مع الأشياء. تخص الكينونة الإنسانية وحدها وخصها هيدغر بالمصطلح الألماني Existenz. وهذا ما يؤكده لنا هيدغر في كتاب **الكينونة والزمان** (ص.589) وكان قد أقرّ إيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas ذلك في كتاب *En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger : suivi d'Essais nouveaux*[1].

كما لاحظنا أيضا أن كلمتي، "وجود" و"كينونة"، في اللغة الإنجليزية، يقابلهما مصطلح واحد وهو Being. فكيف يميز المفكرون الإنجليز بين المعنيين؟ إن دقة اللغة تعبر عن صرامة الفكر، كلما كانت اللغة دقيقة كان الفكر صارما.

لقد كان إستعمال هيدغر للغة دقيقا جدا، فهو يميز بين الفكر والتفكر وبين السمع والإستماع، وبين القول والكلام، وبين الإنسان والدازين، وبين البنية الوجودية والبنية الوجودَوية، وبين التاريخية والتاريخانية، وبين الزمان والزمانية. والأهم، هو بين الوجود Existence والكينونة Être، وبين كينونة الكائن L'être de l'étant والكينونة ككينونة Seyn.

لقد تناول العديد من الباحثين الأكاديميين الجزائريين الفكر الهيدغري كمشروع، من بينهم الدكتور، بشير ربوح- رحمه الله- من جامعة الجزائر2، كان قد قدم أطروحة دكتوراه، عنوانها: "المساءلة النقدية لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هيدغر"، سنة 2017. وكان قد تطرق فيها إلى اللغة الشعرية باعتبارها لغة الكينونة. وأيضا من قسم الفلسفة، بجامعة مستغانم، نجد أطروحة دكتوراه، لأحمد ابراهيم من جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، تحمل عنوان: **"أنطولوجية اللغة عند مارتن هيدغر"**. كذلك رسالة ماجستير، تحمل نفس العنوان السابق للباحثة الخربة فتيحة من جامعة الجزائر 2 سنة 2012-2013 والتي إعتمدت شعر هلدرلين نموذجا. كذلك نجد من جامعة وهران أطروحة دكتوراه، لكرد محمد الموسومة ب: **الشعر والوجود عند هيدغر** سنة 2011-2012. ولكن بعد قراءتنا لهذه المقاربات والإستفادة مما قدمه هؤلاء في مسالك البحث الهيدغيري، إكتشفنا أنهم لم يتعمقوا في

1 Emmanuel Levinas, *En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger* : Suivi d'Essais nouveaux, J. Vrin, 1988, p. 236

اللغة الشعرية وبالأخص اللغة الإغريقية، مع العلم أن هيدغر كان قد قرر العودة إلى فكر الشعراء الإغريق الأوائل في مرحلة ما قبل سقراط بعد تحديده لماهية الشعر من خلال درسه سنة 1936 الموسوم ب: هلدرلين وماهية الشعر، فكان تحديده لماهية الشعر من خلال قراءاته المعمقة لأشعار هلدرلين، هو الخط الموجه لطريق العودة إلى فجر الفكر الأول. ولهذا السبب أردنا أن نسلك مسلك سؤال حقيقة الكينونة على ضوء الشعر الإغريقي القبسقراطي بإعتباره الشعر المفكر في الكينونة ككينونة، وعرض بعض النماذج منها مع إبراز قراءة هيدغر لها محاولا فك لغز الكينونة المختبأة في أقوالهم. لقد كانت العودة أساسية لبعض النصوص الإغريقية في لغتها الأم لأن البحث يتطلب ذلك. وبالرغم من عدم تمكني من ناصية اللغة الإغريقية كما يجب، فإنني عزمت على خوض هذه المغامرة الصعبة بعد أن قررت تعلم هذه اللغة -التي أدرجت في قائمة اللغات الميتة في أيامنا هذه- إلا أنه لا يمكن التغاضي عن أهميتها، فهي أكثر من أساسية وخاصة في أقسام الفلسفة، وأتمنى أن تدرج هذه اللغة مستقبلا فهي ضرورة بالموازاة مع اللغة اللاتينية والألمانية.

الفصل الأول

سؤال الكينونة

المبحث الأول: التحري الأنولوجي

1- فلسفة الكينونة

يبين جلسون Etienne Henry Gilso ، أن لفظ "أنطولوجيا" نشأ على يد الديكارتي كلاوبارغ Johann Clauberg (1622-1665)، حيث يقول: "فكما أن العلم الذي يتناول الإله يسمى "الثيوصوفيا" أو الثيولوجيا"، فكذلك يمكننا أن نسمي - من دون ضرر- "الأنطوصوفيا" أو "الأنطولوجيا" العلم الذي يتناول العلم بعامة."[2] إن كلمة صوفيا σοφια التي ينبغي على الفيلسوف أن يحبها، هي في الحقيقة "التحري عن الطبيعة". والطبيعة في فلسفة الإيليين والأيونيين هي الفيزيس φυσις، فهل التحري الفلسفي هو تاريخ الفيزيس؟ لقد إستعمل مفهوم الفلسفة عند الأيونيين في معنى النظرية θεωρια وكذلك في معنى التاريخ ويعني البحث والتحري. كلمة النظرية مربوطة ب "النظر"، والنظر هو نشاط الرؤية. أي أن الذات الإنسانية هي الذات المعنية بالنظر والبحث والتحري.

بدأ أول إستعمال لكلمة "فيلسوف" في القرن الخامس V في مرحلة سقراط، أما قبله أي في القرن الرابع IV فقد كانت كلمة "صوفوي" σοφοι، هي الكلمة الرائجة وكانت تعني العلم وحده. ولكن كانت هناك حيرة فيما يخص تحديد هذا المفهوم في مرحلة ما قبل سقراط، عَرّف أفلاطون الحكمة التي ينبغي على الفيلسوف أن يحبها في محاورة **فيدون** (Phédon 96a) ب : التحري - Historia ιστορια- عن الطبيعة. وهذا يعني أن الفلسفة كانت تُسْتَعمل أيضا في معنى التاريخ.[3] في نظر فيدون " الفلسفة هي الموسيقى الأكثر سموا وهي التي كان يسلك وفقها".[4]

---

2 فيليب كابيل، **الفلسفة والتيولوجيا في فكر مارتن هيدغر**، ترجمة، الدكتور فؤاد مليت، إبن النديم، ص. 91
إيتيان جيلسون، 1884- 1978 فيلسوف ومؤرخ فرنسي وعضو في الأكاديمية الفرنسية.
كلاوبارغ، 1622- 1665 فيلسوف ولاهوتي ألماني، تأثر بالديكارتية.
صوفوي، σοφια- sapientia-sagesse وأيضا هي العلم المطلق، الخاص بالمباديء الأولى. (*Physique et Métaphysique*, p. 175)
محاورة فيدون هي المحاورة التي تعالج محاكمة سقراط واللحظات الأخيرة قبل موته.

[3] Jean François Revel , *Histoire de la philosophie occidentale de Thalès à Kant*, Nil, 1994, p. 24
« Ταυτης της σοφιας ην δη καλουσι περι φυσεως ιστοριαν »

[4] Platon, *Apologie de Socrate Criton Phédon*, trad. E. Chambry, Garnier Flammarion p.108

إن التحري عن الكينونة هو الموضوع الأساسي في التحري الأنطلوجي. والتحري الأنطلوجي هو نفسه التحري الفلسفي ويقتضي البحث في تاريخ الكينونة لنتفحصها، فإذا عدنا إلى تاريخ الأديان مثلا، نجد بأنه قصة وصفت الظواهر الدينية. وإذا فحصنا الفن، وجدناه يشمل كل الأعمال التي قد تجعل من الفن خَلْقًا حرا ومستقلا عن كل مظاهر الإنسان المختلفة. أما إذا عدنا إلى تاريخ الفلسفة، وجدنا أنها تدعونا إلى مراجعة كل نسق فلسفي، كما لو كُنّا نفحص برهانا رياضيا أو ملاحظة علمية حسب قوتها ومتانتها الداخلية أو مطابقتها مع الأحداث والظواهر الخارجية. ولكن في مسيرة التحري الفلسفي الطويل واللامتناهي، إقتربت الفلسفة في بحثها عن حقيقة الكينونة من العلم والدين والفن، فديكارت René Descartes مثلا جعل من "الإله" أساس نسقه الميتافيزيقي والضامن الوحيد للحقيقة العقلية، فإقتربت الفلسفة من الدين. وحاول هسرل Edmund Husserl بتطبيقه للمنهج الفينومينولوجي، أن يجعل من الفلسفة علما صارما، فإقتربت الفلسفة من العلم. كما أكدت الرومانسية على قوة العاطفة والخيال والإبداع، وعلى دورها في عملية التحرر من قيود وسلطة العقل. ولكن من جهة أخرى هل يمكن للعاطفة أن تحكم دون توجيه من الإرادة الواعية؟ كيف يكون التحري الفلسفي؟ هل يكون على نمط العلم أو الفن أو الدين؟ هل يمكن أن يكون التحري الفلسفي على أساس هذه الأنماط مجتمعة، ألا يمكن أن يكون للتحري الفلسفي نمط خاص به؟

في **ميتافيزيقا** أرسطو، الكتاب الرابع، ميز أرسطو اللاهوتيين، ثم قال فيما بعد أنصاف لاهوتيين وأنصاف فلاسفة، وكان يقصد بهذا القول الفلاسفة، عندما تطرق إلى نظرية ميلاد العالم (théogonie- cosmogonie). ولكن ينبهنا أرسطو في التحري الفسفي الخاص بالأيونيين إلى أن شروحاتهم كانت تختلف عن شروحات الثيولوجيين، كما أن الثيولوجيا اليونانية لم تُؤَسّس على وحي، بل كانت مجموعة من أساطير، ألّفها مجموعة من الشعراء أمثال هوميروس Homère وهيزيود Hésiode وغيرهم، حيث برز في أشعارهم رابط بين الفلسفة واللاهوت، فإنتقلوا من النظر إلى الظاهرة التي تقتضي سببا، أي من فعل

الرؤية إلى ما يُظهر نفسه أو إلى ذلك الذي يتجلى من تلقاء نفسه (ce qui se manifeste à partir de lui même).[5]

تختلف الفلسفة عن العلم المبني على النظر التجريبي والحقيقة المحايثة في بحثه عن الكائن، وعن علم اللاهوت القائم على الحقيقة المتعالية. إذ لا يمكن للفلسفة أن تكون مثل العلم التجريبي ولا عدوته. كما لا يمكنها أن تسلك مسلك اللاهوت، وهكذا بقيت الفلسفة تتأرجح بين العلم المُؤَسّس على مبدأ العقل وبين الثيولوجيا المشروطة بالتسليم بحقيقة مطلقة ومتعالية.

لقد شهد عصر التنوير حركة واسعة، هدفت إلى الإعلاء من قيمة العقل مع الإعتراف بحدوده، فبعد أن إتُهمت العاطفة بإبعاد الإنسان عن الحقيقة في اللحظة الأفلاطونية، باعتبارها منتجة للدوكسا Δοχα أي الرأي. إحتلت الحواس مكانة أدنى من العقل. فأخذ هذا الأخير موقع الوصاية عليها. ولكنها، بدأت تستعيد مكانتها وقدرتها على امتلاك المعرفة، مع جون لوك John Locke، الذي انتقد روني ديكارت، ورفض القول بالأفكار الفطرية. وقال بولادة العقل صفحة بيضاء، وأن الحواس هي الأعضاء المسؤولة عن التعلم والإدراك. جاء فيما بعد دافيد هيوم David Hume، الذي توصل، عن طريق الشك في بحثه عن الحقيقة، إلى أنه لا وجود لمعقولية مفارقة. ففي المنهج التجريبي، وهو منهج العلوم الوضعية، لا توجد معقولية مفارقة. إن الرغبة في الحصول على معرفة متعالية أو عقيدة إنسانية، هي رغبة صعبة المنال. وهذا، في حد ذاته، يعد إنجازا عظيما لهيوم. مصدر المعرفة، هو عالم التجربة القائم على المنهج العلمي وعلى منطق الوقائع، وأيضا الأفكار في علاقتها المنسجمة فيما بينها كالرياضيات مثلا وهو علم يقيني. ولكن، ماذا عن الأفكار المجردة من عالم الحس، كفكرة "الله" مثلا؟

وجود الله هو ضرورة، أعادت فتح باب مبدأ العلة من جديد. هل "الله" هو علة كل الموجودات؟ يرى باروخ سبينوزا Baruch Spinoza بأنه إذا كان نظام الأشياء نظاما ضروريا وثابتا، فإنه أيضا نظام إلهي، حيث يقول: "أنظر إلى الفوضى البادية في الطبيعة،

5 Léon Brunschvicg, *Le progrès de la conscience dans la philosophie occidentale*, Tome II, Livre V, *L'évolution de la métaphysique allemande*, 2ème Edition, 1953, p. 25

فإن كان الحس يراها منفصلة ومشتتة ووقائع جزئية لا قيمة لها، فإن العقل يرى القانون الأزلي فيها، إنه قانون العقل الإلهي".[6]

هل هذا يعني أن فكرة "الله"، هي مسلمة لا تحتاج إلى برهان؟ فالمسلمات في الرياضيات تتفق كل العقول حولها، على خلاف مسلمات الميتافيزيقا. هل فَشَلَ العقل في إثبات وجود "الله"؟ وهل يقتضي عجزه في إثبات وجوده، التسليم بوجوده، لأننا نشعر بتوحدنا به وأننا جزء منه؟

أتى ليبنتز Leibniz بمبدإ المونادا Monade[7] وتعني الوحدة. وأثبت وجود الله ببرهانين، الأول أنطولوجي، والثاني كوسمولوجي، عكس سبينوزا، الذي اعتبر الله ملازما للوجود، وليس متعاليا عليه. كما ظهرت موجة من الشك في القرن الثامن عشر، طالت مناهج المعرفة وقواعدها. وبدأت الرحلة مع كانط Kant، في إمكانيات العقل وحدوده، بعد أن أيقظه هيوم من سباته. فقام كانط بنقد العقل المحض. ورسم حدوده في عالم الفينومين، فالعقل غير قادر على إثبات وجود العالم الأزلي، بل لا يستطيع الوصول إليه. يئس كانط - بعد نقد هيوم- من تلك المحاولات المتواصلة، للوصول إلى معرفة الأشياء في ذاتها بالمنطق. توصل هيوم إلى أننا قد نعرف الإنطباعات والأفكار، ولكن، من منا رأى السببية أو الضرورة؟ ثم من يستطيع أن يدرك أن هذا السبب أو ذاك هو السبب الحقيقي في حدوث الأشياء. ففي عالم الحس لا وجود إلا للوقائع. وهي أحداث ووقائع متتابعة، ولا وجود لعلاقة تربط بينها.

لا تتم المعرفة بالنسبة لكانط، إلا بالإدراك، والإدراك محكوم بصورتي الزمان والمكان، إذ لا بُدّ أن يكون للمادة مهما كان نوعها، مكان توضع فيه، ولكن، ماذا عن اللامادة؟ أليست بحاجة هي الأخرى إلى مكان توضع فيه، أليست بحاجة إلى مأوى؟ هل مأواها هو اللامأوى؟

فكرة "الله" مثلا، هي فكرة مجردة، ولكنها وجدت مكانا لها في القانون الخُلُقي لدى كانط. ليس للمكان والزمان وجود مستقل عن الأشياء، فالمكان شرط من شروط الوعي

6 جوزيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، ترجمة أحمد الأنصارى، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ط2، ص. 182.

7 المونادا هي ذرات روحية وليست مادية وهي في الأساس طاقة دينامية غير قابلة للتجزئة أو الفناء.

الباطني بالموضوعات الخارجية، إذ لا يمكن معرفة الأشياء خارج إطارها المكاني والزماني، أي أن الطبيعة تحكمها قوانين الهندسة، إلا أن المنهج التجريبي، وهو منهج العلوم الوضعية، لا يمكنه إدراك الأشياء في ذاتها. يقول كانط حسب ما نقله لنا جوزيا رويس : "إننا جاهلون بطبيعة الأشياء".[8] فنحن معنيون فقط بعالم الظاهر Mundus phaenomenon[9]. هذا العالم، هو الوحيد المعطى لنا، أما العالم المعقول Mundus intelligibilis، فليس سوى المفهوم العام للعالم بعامة.

إذا كان الإنسان مصرّا على معرفة الأشياء في ذاتها، ألا يمكن أن يكون هذا إندفاعا غير محسوب، وراء معرفة هي في الأصل غير ممكنة، أو على الأقل غير متوفرة لهذا الكائن المحدود بالزمان والمكان، الذي هو نحن؟ إن قوالب الفهم، كالسببية والجوهرية، هي مفاهيم فارغة لا معنى لها،[10] إلا إذا كان الغرض منها تحقيق التماسك لعالم الحس. ولتفسير حركية الكون.

وَجَد الفلاسفة القدماء، باستثناء المدرسة الأبيقورية، أنفسهم مرغمين على القبول بوجود محرك أول. ولكن، ليس هناك سوى الطبيعة التي يجب أن نبحث فيها عن إرتباط ونظام لأحوال العالم.[11] فالحقيقة صعبة المنال، وصفها كانط بمعشوقة لم تفض بكل أسرارها. وطريق البحث عن الحقيقة طويل وشاق، وتتخلله مظاهر التشاؤم والإحباط في العزم على امتلاكها. فهل تكمن الحقيقة فيما نراه؟ وإذا كان البحث في حقيقة الأشياء لا يتجاوز عالم الحس، فكيف أوجدنا إذن ما لا يوجد؟ هذا الكائن الأزلي المطلق، الموجود في الشق الآخر من عالم الحس، والمقابل له، ما هو سر ظهوره في عالم الإنسان؟ أليس من الغريب أن نفكر في وجود عالم لا نراه ونعمل وفقا لوجوده. أم أن وجود الفكرة في حد ذاتها يوافق وجودها الفعلي؟ ولكن يبقى السؤال لماذا يميل هذا التوافق إلى الغياب، فيبقى أحد طرفيه مختبأ ويأبى

8 جوزيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، ص. 15

9 يقول العالم يوهان جورج سولتزر Sulzer بأن فشل اللاهوت العقلي راجع لضعف وقصور الأدلة المستعملة في زمانه وكان مقتنعا بامكان العثور على براهين أفضل عن وجود الله وخلود النفس وعنوان مؤلفه الرئيسي **النظرية العامة للفنون الجميلة**، أنظر **نقد العقل المحض**، في الهامش ص. 732.

إيمانويل كنت، **نقد العقل المحض**، ترجمة غانم هنا، بغداد، المنظمة العربية للترجمة، ص. 500

10 المصدر نفسه، ص ص. 506-507

11 المصدر نفسه، ص. 509

الظهور الفعلي؟ يرى كانط حسب ما نقله لنا جوزيا رويس: "العالم، هو القصيدة التي ألّفتها حياتنا الباطنية، ولا علاقة لنا بأي عالم يقوم وراء الحس".[12]

إذا عدنا إلى مبدئي الزمان والمكان، بمفهوم كانط، فإن وجود الله غير ممكن، إذ لا يمكن أن يوجد شيء في اللامكان واللازمان إلا العدم. ثم، لماذا علينا أن نسلم بوجود "الله"؟

قام كانط في كتاب **نقد العقل المحض** بتهديم كل صور الإيمان التقليدي، الذي يقتضي وجود كائن مطلق. فكان ناقدا ومحطما لأوهام الميتافيزيقا وهادما لها، كما أنه يرى بأن اللجوء إلى مبدع إلهي هو مبدأ العقل الكسول ignora ratio.[13] ولكن هل العقل قادر على إدراك وفهم أساس كينونته الخالصة وأساس كينونة العالم؟

2- مشكلة الأنطولوجيا كعلم

هناك تعدد في مقابل الواحد وثبات يقابل التغير، فتضعنا الحيرة في مأزق الفهم والتساءل، فلا نعرف فيما إذا كان هناك علم وحيد لكل العلوم، أم هناك علوم. وهل هناك كينونة، أم كينونات؟

يفضي لنا إستقراء التاريخ عن علوم كثيرة ومتنوعة، إختلفت بإختلاف مواضيع بحثها. ولكن ما يشد إنتباهنا أكثر هما علمان لم نعرف بعد كيف نصنفهما في سلم نظام المعرفة، إنهما العلم الفيزيائي والميتافيزيقا. منذ القرن السادس ق.م إلى غاية القرن السابع عشر كان من الصعب في كثير من الأحيان تمييز نمط الكائن وما سيظهر فيما بعد ككائن. إذا كانت الفيزياء في نظر أرسطو هي العلم الذي يهتم بالكينونة المتحركة من خلال الأشكال الملزومة بمادتها ويقصد الأشكال الخالصة، أي أنها منفصلة عن مادتها، فإن الميتافيزيقا هي العلم الذي يدرس الكينونة اللامتحركة. ولكن كيف يمكن دراسة الأشكال المتحركة في إنفصالها عن مادتها؟ وكيف يمكن أن ندرس الكينونة اللامتحركة؟ فهي كينونة لا تحكمها الحركة ومفارقة لعالم الحس ومحرومة من المادة؟ لو لم تكن هناك ماهية مستقلة عن الحسي لما كانت ستكون هناك كينونة مفارقة، ولا علم بهذه الكينونة أيا كان إسمه.

---

12 جوازيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، 2009، ص. 13.
13 إيمانويل كنت، **نقد العقل المحض**، ص. 756

ولكان العلم الفيزيائي هو العلم الأول الذي تعود إليه الأولوية في نظام المعرفة. ولكننا نرى ضمنيا علم الكينونة ككينونة وإن كان المضمون غير ذلك. إذن يكمن النزاع هنا في تحديد وضع علم بالنسبة لعلم آخر حسب نوع الكينونة التي يبحث فيها، ولكن يبدو أن علم الكينونة ككينونة ليس طرفا في هذا النزاع.[14]

يقول بيير أوبانك Pierre Aubenque: إذا أردنا تحديد وضع الميتافيزيقا بالنسبة للعلم الفيزيائي، فإنها جاءت متأخرة عن الفيزياء كرونولوجيا، حيث كان أرسطو قد عالج المواضيع الفيزيائية أولا. كما أن تسمية "ميتافيزيقا" لم يضعها أرسطو بل وضعها شراحه. أرسطو، كان يستعمل في كتاباته تسمية الفلسفة الأولى أو العلم الأول. ولكن هل تسمية "العلم الأول" تجعله يتصدر كل العلوم؟ هل الفلسفة الأولى هي كل الفلسفة؟ [15]

أراد أرسطو من خلال الفلسفة الأولى أن يعالج الكينونة ككينونة، ولكن طريقة تحرّيه أبانت في الأخير عن الكينونة الإلهية (المحرك الأول)، فالعلم الذي يتناول الكينونة الإلهية في مسيرة بحثه، هو العلم الثيولوجي. وهكذا إختلطت الفلسفة الأولى بالعلم الثيولوجي. وهذا ما أعطاه كانط فيما بعد تسمية الأنطوثيولوجيا. يُعرّف أرسطو الفلسفة الأولى بعلم الكينونة ككينونة ولم يكن يشير بهذه التسمية إلى العلم الثيولوجي.[16] وهنا تدفعنا الحيرة إلى التساؤل عن النوع الخاص والمحدد للكينونة التي يقصدها أرسطو.

طرح أرسطو مشكلة الكينونة المتعددة [17] في كتابه **الميتافيزيقا**، حيث يتحاور الفيلسوف مع نفسه أولا ثم مع الأشياء المحيطة به، لينتقل فيما بعد إلى حوار بين الفلاسفة أنفسهم. هؤلاء الذين جمعتهم وحدة البحث. إنه حوار حول ما قيل وما سيقال. فقد يفضي الحوار بين الفلاسفة عن جديد لم يسبق لأحد قوله ، وقد يدحض هذا الفكر الجديد ما كان سائدا من قبل، فكل الفلاسفة في طريق بحثهم عن الحقيقة لم يجتمعوا على رأي واحد. هناك ثغرة متروكة وفارغة لم تملأها الكلمات بعد.

14 Pierre Aubenque, *Le problème de l'être chez Aristote,* presses universitaires de France, Paris, 1972, p. 38
15 Ibid., p. 32
16 Ibid., p. 41
17 Aristote, *Métaphysique (Meta ta phusika) livre Δ,* Trad. Bernard Sichère, Poket, 2017. P. 151

في التقابل الموجود بين العلم الفيزيائي والميتافيزيقا، نجد أنفسنا متورطين في تحديد مفهوم كلمة "ميتا" Méta، فهل تحمل هذه الكلمة معنى "التعالي" على الفيزيائي Trans-physique أو تعني الأولوية؟ أي أن الميتافيزيقا هي العلم الأول الذي سيجعلنا نرتقي في بحثنا عن الكينونة ككينونة؟ يقول أوبانك "من الصعب تحديد الفلسفة الأولى كعلم يبحث في الكينونة ككينونة".[18] فالعلم الأول هو الذي يبحث في الكينونة حسب الماهية والطبيعة، بمعنى الكينونة التي لا تحتاج إلى غيرها لتكون. هذه الكينونة المخيرة أو المفضلة أو المتميزة priviligiée هي ذات وقاعدة Sujet et substance. وهذا يعني أن البحث النظري والتطبيقي الخاص بالإنسان سيبدأ من جديد وبشكل مقلوب، لأنه يحدث في الزمان الذي يعد مجموع الحركة الطبيعية. كما أن نظام المعرفة هو سلوك إنساني يحدث في الزمان. نظام المعرفة هو نفسه نظام كرونولوجي، لأن الزمان هو الذي نحدد من خلاله ما كان من قبل وما سيكون فيما بعد. ووفق هذا النظام سيتحدد ما هو قادم. وإذا كانت المعرفة السابقة قد قلبت ما كان سيأتي، فهي أيضا معرفة في الزمان الذي يُعَدّ مجموع الحركة الطبيعية. هل دراسة الكينونة ككينونة هي دراسة تهتم بالكينونة المتحركة في العالم أم الكينونة اللامتحركة؟

إذا كان مجال البحث في الكينونة ككينونة هو الكينونة المتحركة في العالم، فإن هذا سيقودنا إلى عمق التاريخ لنكشف عن الأسباب التي تجعل الكينونة متغيرة. إلا أن نهاية هذا البحث لا محدودة، إنها اللانهاية L'infini. كيف يمكن أن نشرح التغيير من دون أن نقع في تناقض مع النسق الكوني الذي يقبل بفكرة أنه من اللاكائن لا يمكن لأي كينونة أن تكون، ولكن ما هو مصدر هذا القول؟ وكيف نرتب نظام المعرفة؟

يرى أفلاطون أن نظام المعرفة هو نظام دائري، فإما أن تكون أو لا تكون. أما أرسطو فيرى بأن المعرفة إستقراء Déduction. ولكن هذا الإستقراء لا يكون من فراغ، بل من مقدمات سابقة. إلا أن هذه الأخيرة لم تكن إستنتاجا لما سبق، فهل نقول في هذه الحالة أن المعرفة تستقي أصلها من اللامعرفة؟ بهذا المعنى، تحطم المعرفة نفسها بنفسها. ربما هناك نمط آخر من المعرفة، أعلى مرتبة من العلم نفسه، فليس هناك مخرج غير هذا. إنه الحدس.

18 Pierre Aubenque, *Le problème de l'être chez Aristote*, p. 44

الحدس هو القاعدة المفكرة في المبدأ.[19] L'intuition est le corrélat cognitif du principe.

الفلسفة والميتافيزيقا والأنطولوجيا، ألفاظ تتكرر باستمرار في الفكر الهيدغري، فالأنطولوجيا، هي سمة الفلسفة، باعتبار الكينونة موضوعها الوحيد، وبالتالي فهي علم الكينونة.[20] الأنطولوجيا هي علم الكينونة، منظور إليها على أنها في ذاتها، بقطع النظر عن كل مسألة متعلقة بتحققها الفعلي أو عدمه، وبكل صرامة. ولهذا على الفلسفة أن تهز أركان الكينونة الأربعة وهي الظهور والصيرورة و التفكير والواجب (كيف يجب للكينونة أن تكون؟).[21]

عندما نريد ان نستفسر عن شيء ما، فإننا نطرح سؤال " ما الشيء؟" وبما أن الكينونة هي موضوع الإستفسار الذي تهدف الأنطلوجيا إلى إيضاحه فإننا سنطرح سؤال: "ما الكينونة؟". إن إعادة طرح سؤال، ما الكينونة؟ من طرف هيدغر، تعني إعادة مراجعة وضع السؤال نفسه، فكل سؤال هو عبارة عن بحث، وكل بحث سيقودنا أو سيوجهنا من بدايته إلى الطريق الذي سلكه من سبقونا. ولكن هذا السؤال هو سؤال يبحث عن ماذا؟ هل هو سؤال يبحث عن الكائن أم عن الكينونة؟ يقول هيدغر في الفقرة الثانية من **الكينونة والزمان**: " فهم الكينونة، هو الذي نجده في كل مرة، في تمسكنا بالكائن".[22] نحن لا نعرف ما يتواجد في فهمنا لكلمة "كينونة".[23] ولكن، بمجرد طرح سؤال "ما الكينونة"؟ وفي اللحظة التي نتساءل فيها، نحن نتمسك بفهم فعل الكينونة « Est »، ولكن دون إمكانية تحديد مفهوم لمعنى هذا الفعل. كأن نقول مثلا: "كان الطفل ملقا على الأرض". في هذه الجملة فعل الكينونة يصف حالة الطفل بإعطائه كينونة معينة أو وضعا معينا. وبالتالي فإن فعل الكينونة يصف الشيء أنطلوجيا. ماذا تعني الكينونة بالنسبة لهذا الطفل؟ أو ماذا تعني الكينونة بالنسبة لهذا الطفل في نمط وجود معين؟

19 Ibid., p. 56
20 Jean-Marie Vaysse, *Le dictionnaire Martin Heidegger*, article Être, Editions Ellipses, 2007, p. 115
21 Martin Heidegger, *Introduction à la métaphysique*, trad. Gilbert Kahn, Edition, Gallimard, 1967, pp. 103-104
22 Martin Heidegger, *Être et Temps*, Trad. François Vezin, Gallimard, 1986, p. 26.
23 Ibid., p. 29

يقول هيدغر نحن لا نعرف بعد الأفق الذي علينا أن ننطلق منه للقبض على معنى الكينونة. ففهمنا المألوف والواسع للكينونة هو واقع Un fait، ولكن، كيف تمّ تفعيل وتحديد هذا الفهم لمعنى كلمة "كينونة"؟ إن فهمنا المشترك لسؤال الكينونة هو فهم عام، فكل واحد منا يدرك كينونته وكينونة الأشياء من حوله وبالتالي فهي بديهية. ولكن إذا كانت الكينونة بديهية فهي معروفة وبالتالي هي ليست في حاجة إلى تحر أنطلوجي.

تعود الكينونة في نظر هيدغر في كل مرة إلى الكائنات، فالكينونة قبل كل شيء هي كينونة الكائنات. في هذا القول تعبير عن علاقة الكينونة ككينونة (الماهية) بأنماط وجود الكائنات (الموجود). للكينونة ماهيتها الخاصة، حيث لا تشبه ماهية الكائن ولا يماثل وجودها وجود الكائن ولكن ثمة علاقة بينهما.[24] يرفض هيدغر في الأنطلوجيا الوسيطية، الفكرة القائلة، الكينونة متعالية عن الكائن. كذلك في الكوجيتو الديكارتي، Ego cogito، "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، وجّه ديكارت نظره في عبارة "أنا موجود" إلى الذات أو الأنا، ولكنه لم يفكر في الفعل الذي يحدد الكائن الموجود أمامنا. كلمة "أنطلوجيا" هي محاولة لجعل الكينونة تتجلى وتتمظهر بذاتها. وللقيام بهذا، على الكائن ككائن أن يقف وسط الكينونة أو معها. ولكن كيف للكائن أن يقف مع الكينونة؟ [25]

يؤكد هيدغر أن الكينونة غامضة ولكن هذا لا يمنع من محاولة فهمها. كما يرى أنه من الضروري أن نجلبها إلى النور من خلال تحليل وجودوي لشيء ما، يجعل من إمكانية فهمها ممكنا. يرى هيدغر أن الكينونة ليست شيئا يشبه الكائن.[26] وأن طريقة تحديد الكائن في الأنطلوجيا التقليدية تختلف عن طريقة تحديد الكينونة. ولهذا فإن مفهوم الكينونة هو مفهوم لا يمكن تحديده Indéfinissable لأنه مفهوم عام Général، وإذا حددناه فإننا سنُلْحِقه بالكائن، لأننا سنعطيه صفات، والصفات تخص الكائن.

يبدو ان سؤال الكينونة أكثر صعوبة من سؤال الكائن، فعندما نسأل ما الكينونة؟ فإن الإجابة عن هذا السؤال تبدو مستحيلة. هذا يعني أن كينونة الكائن Être de l'étant تختلف

24 Alparslan Açikgenç, *Being and existence in Ṣadra and Heidegger, A comparative ontology*, Ibn Haldun university press, 2020, p. 52

25 M. H, *Introduction à la métaphysique*, pp. 87-88

26 *Être et Temps*., p. 27

عن الكينونة ككينونة Estre. ولكن هل إستحالة تعريف الكينونة، تُعفينا من طرح سؤال، ما الكينونة؟

يرى هيدغر أن إستحالة تعريف الكينونة سيقودنا بطريقة حتمية إلى طرح السؤال نفسه، حيث يقول في **الكينونة والزمان** بأن "فَهْمَنا المألوف للكينونة، هو فهم تُغَطِيه سحابة ضبابية، ولكن ظاهرة الفهم هذه، هي ظاهرة إيجابية لأنها تطالبنا بإيضاح معنى الكينونة".[27] نجد في الفهم العام للكينونة، نظريات وآراء تقليدية، ولكنها لا تضع أصول هذا الفهم. إن ما يبحث عنه هيدغر من خلال سؤال الكينونة ليس مجهولا كلية، حتى وإن كان لا يستطيع الإمساك به.

في درسه الموسوم **هرمينوطيقا الوقائعية** في سداسي صيف 1923 بجامعة فريبورغ في بريسغو، عَرّف هيدغر الأنطلوجيا قائلا: "الأنطلوجيا هي مذهب الكينونة".[28] كلمة "أنطلوجيا" هي التساؤل والتحديد الذي يُشْرِف على الكينونة كما هي. ولكن ما هي الكينونة المقصودة هنا؟ وكيف عالجها هيدغر؟ هل الكينونة هي الوجود العيني الواقعي؟ فالوجود العيني لا يمكنه أن يكون هنا إلا إذا كانت هناك عين تراه. ولكن إذا كانت الكينونة هي نفسها الوجود العيني، فهذا يعني أن الموضوع الأساسي للأنطلوجيا هو الكينونة كموضوع مادي « Une substance »، إلا أن العلوم الطبيعة عالجت هي الأخرى موضوع الوجود العيني الواقعي، من خلال النظر في الكائن ككينونة.

أجابت الفلسفة كأنطلوجيا على السؤال الذي طرحه أرسطو لأول مرة το τε ον، ما هو الكائن؟ ولكن مع هيدغر ستتوجه الإشكالية المركزية للأنطلوجيا من الكائن إلى الكينونة.

تختلف الكينونة عن الكائن العيني Existence. يقول هيدغر:" كينونة الكائن، ليست هي الكائن".[29] الكينونة لا تعني شيئا ملموسا أو ماديا. كان نيتشه يقول: "مفهوم الكينونة، هو أثر لآخر غيمة لهذا الواقع المتبخر والمتلاشي".[30] في السؤال ما الكينونة؟ - يقول هيدغر-

27 Ibid., p. 30
28 M. H, *Ontologie Herméneutique de la factivité*, trad. Alain Boulot, Gallimard, 2012, p. 15
29 *Être et Temps*, p. 29
30 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 95

المسئول هو الكينونة التي تحدد الكائن ككائن. والكينونة لا تشبه الكائن في شيء. هنا فقط نكون قد تقدمنا خطوة في فهمنا لسؤال الكينونة، أي ينبغي عدم تحديد حدوث كائن من كائن آخر وكأن الكينونة هي كائن ممكن.[31] هذا يعني أن طريقة البحث عن الكينونة، لها نمط تجل خاص ومختلف عن نمط تجلي الكائن. الأنطولوجيا بالنسبة لهيدغر هي علم الكينونة وليست علم الكائن.

إذا عدنا إلى الأصل اليوناني لكلمة أنطولوجيا οντολογια، فهي كلمة مركبة من كلمتين "أونتوس" و"لوغوس"، وكلمة "أون" οντως،ον باليونانية، تعني الكائن بمعنى الواقع réalité،[32] فلماذا نقول إذن بأن الأنطلوجيا هي علم الكينونة؟ هل كلمة "أون" باليونانية تحمل معنى الكائن أوالكينونة أو الإثنين معا، فَتَمّ تحديد مفهوم الأنطلوجيا كعلم الكينونة بحكم أسبقية الكينونة على الكائن؟ فالمتساءَل عنه في سؤال الكينونة، هو ما يحدد هذا الكائن المتسائل. هذا يعني أن الكينونة تسبق الكائن. ولكن أين نرى الكينونة؟ نحن نرى الكائن فقط، لا الكينونة؟

يبين لنا هيدغر في كتاب **الكينونة والزمان**، في الفقرتين الثالثة والرابعة، أسبقية سؤال الكينونة على سؤال الكائن، حيث يقول: "يُعْطي التحري الأنطولوجي لسؤال الكينونة الأولوية الأنطولوجية"،[33] فإذا كان لكل كائن سبب كاف يحدثه، فإن العدم لا يحتاج إلى سبب. هل يمكن أن نقول، على ضوء ذلك، أن الكينونة هي العدم؟ وإذا كانت كذلك، فما هي الطريقة التي نسلكها لمعرفة العدم وإختراق كنهه؟

3- سؤال الكينونة هو سؤال ميتافيزيقي

إهتم هيدغر بتاريخ ميتافيزيقا الغرب، أثناء انشغاله بالبحث في سؤال الكينونة، حيث قام بقراءة شاملة، بداية من القبسقراطيين وصولا إلى آخر ميتافيزيقي ألا وهو "نيتشه" حسب رأيه. وقد كتب في درس سنة 1927 المسمى: **عيون مسائل الفينومينولوجيا**، في

31 M. H, *Ontologie Herméneutique de la factivité*, p. 29
[32] Ch. Georgin, Dictionnaire Grec Français, Hatier, nouvelle Edition Augmentée, article οντως, Paris, 1959, p. 531
33 M. H, *Ontologie herméneutique de la factivité*., p. 35

الفقرة الثانية، المعنونة بـ: الفلسفة والرؤية الشاملة للعالم: "ليست الفلسفة في ماهيتها إنشاء لرؤية العالم، الانشغال الأوحد للفلسفة هو سؤال الكينونة".[34] يقول هيدغر حسب ما نقله لنا جون فال Jean Wahl : "إنها الفلسفة، هي أساس طبيعتنا. وإذا قلنا ما الفلسفة؟ نجيب، هي الحدث الذي يجعلنا نطرح سؤال الكينونة."[35]

كان هيدغر يذكر باستمرار الجملة التي قالها أرسطو في الكتاب الرابع من **الميتافيزيقا**، الكينونة متعددة في مظهرها، واحدة في حقيقتها، حيث مثلت هذه العبارة الشرارة التي أشعلت فكر هيدغر. وكان برينتانو Franz Brentano قد سلط الضوء على هذه المقولة، في أطروحته سنة 1862، التي تحمل عنوان **المعنى المتعدد للكينونة عند أرسطو**. كانت هذه العبارة الأرسطية نقطة الإنطلاق، التي إنبثق منها فكر هيدغر وحددت له معالم تفكيره، فقراءته لهذا الكتاب بالذات هي التي رسمت لهيدغر طريقه. وهكذا، نستنتج أن سؤال الكينونة هو ما يستحق أن تفكر فيه الفلسفة، لا الكائن. التفكير هو تفكير في الكينونة، وهنا فقط، يمكن أن نقول هناك فلسفة، وغير ذلك فالفلسفة مؤسسة عقيمة.[36]

لا يتوقف الإنسان عن النظر والتأمل والتساؤل، هو في حالة مستمرة من القلق والتوتر، يعتريه الشك في كل لحظة، ليعود من جديد متفحصا معارفه السابقة. هذا التساؤل والبحث الدائم دليل على عدم إكتمال المعرفة، وعدم إكتمال الإنسان أيضا. هناك فجوة تجعل من إمكانية الفهم تسقط في كل محاولاتها في الهاوية. مبدأ هيدغر في الفكر يشبه إلى حد ما، مبدأ الطاولة الممسوحة La tabula rasa، حيث أعاد فحص وتفكيك كل المعارف السابقة، فإذا كان الشك هو مبدأ لا يفارق الفيلسوف بالنسبة لديكارت، فإن أهمية النظر والنقد والتفكيك وضرورة التقويض فيما بعد هي الأصل في التحري الفلسفي في نظر هيدغر. يقول نيتشه في هذا الصدد: "الفيلسوف هو إنسان لا يتوقف عن الحياة والنظر، متشكك دائما، يأمل ويحلم بأشياء خارقة".[37]

34 فيليب كابيل، **الفلسفة والتيولوجيا في فكر مارتن هيدغر**، ص. 40

35 Jean Wahl, *introduction à la pensée de Heidegger*, Cours donnés *en* Sorbonne de Janvier à Juin 1946, Biblio Essais, p. 123

36 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 20

37 Ibid., p. 25

الميتافيزيقا هي تاريخ نسيان الكينونة. ماذا يقصد هيدغر بقوله هذا؟ يتهم هيدغر الميتافيزيقا بنسيان كيفية وجود الكائنات. ولكن هذا لا يعني أن كيفية وجود الكائنات لم تكن حاضرة في الميتافيزيقا التقليدية. في إجاباتها عن سؤال الكائن ككائن، عبّرت الميتافيزيقا مسبقا عن كيفية وجود الكائن، الذي يقتضي وضع الكائن أمام ذاته Vor-stellen، الشيء الذي تعجز عن فعله الميتافيزيقا، لأنها لا تتذكر كيفية وجود الكائن في حقيقته. لم تر الميتافيزيقا الحقيقة كانكشاف، أو بمعنى اللااختباء. فهي ليست ذاكرة. ولهذا، لا يمكنها أن تتذكر أو أن تحفظ كيفية وجود هذه الكائنات، فنسيت كيفية وجودها.[38] وهذا، الذي نسيته الميتافيزيقا هو في الأصل أساسها. لا تقدم الميتافيزيقا كيفية وجود الكائن، بل تقدم كيفية وجود الكائن ككائن. وقعت الميتافيزيقا الغربية في تناقض، حيث، تقصد الكائن ككائن، ولكنها تتحدث عن كيفية وجود الكائنات. وتذكر كيفية وجود الكائنات، وتقصد الكائن ككائن في كليته، وهكذا. لا بد للفكر أن يستعيد مهمتة التي أعرضت عنها الميتافيزيقا، ليبحث مجددا في الأساس، وإن كان موقف هيدغر قد تغير تجاه الميتافيزيقا. في درسه سنة 1929 كان سؤال الميتافيزيقا الأساسي: لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ بينما في درسه سنة 1949، بدأت تستمد الميتافيزيقا كيانها من النسيان بعينه.

يدخل جوهر الحقيقة بالنسبة إلى الميتافيزيقا، في إطار حقيقة المعرفة والحكم المتعلق بها. إلا أن الحقيقة كانكشاف αληθεια، هي أكثر أصالة من الحقيقة بمعنى الصدق Veritas. وبهذا، تكون الحقيقة كانكشاف مقابلة للنسيان. هذا الجوهر المنسي هو الذي يدعونا هيدغر إلى التفكر فيه، من أجل إحياء سؤال الكينونة من جديد، لأن الميتافيزيقا الكلاسيكية لم تعرف الجوهر الأصيل للحقيقة، وهو اللاحجب. كما أن سؤال الكينونة سابق على سؤال الحقيقة Wahrheit أنطولوجيا. إنتزع سؤال الكينونة في الميتافيزيقا الكلاسيكية وهو ما يُكَوِّن ماهية الدازين نفسه، ولكن إعطاء جواب لهذا السؤال لا يعني إعطاء قاعدة إنطلاق لأجل إستنتاجات نضعها وفق ذلك ولكن على العكس، علينا أن نحرر العمق الذي منه ستتجلى الكينونة من ذاتها.

38- مارتن هيدغر، **معضلة الحقيقة**، ترجمة، شهاب الدي اللعلاعي، الدار التونسية للنشر، 1986، ص. 17.

تكمن مهمة هيدغر في إظهار معنى ورسم حدود للأنطلوجيا الكلاسيكية -أي الإبتعاد عن المساءلة الأفلاطونية- ليعيد طرح سؤال الكينونة بطريقة جديدة، ولكن كيف وعلى ضوء ماذا؟ يعيد هيدغر طرح سؤال الكينونة على ضوء إشكالية الزمانية لأن سؤال الكينونة لا يعني الإستعلام عما هو مشترك لكل ما هو كائن، بل حول ما يؤلف الكائن ككائن أي البحث عن شرط إمكانيته.[39]

الميتافيزيقا هي التساؤل الذي يتجاوز الكائن ككائن، هذا الكائن الذي يتجلى من خلال العدم، حيث يحضر العدم مع وفي الكائن، في آن واحد. يتجلى الكائن من خلال العدم، وهو الإنكشاف الأصلي للكائن ككائن.[40] العدم هو التساؤل الذي يقدم لنا الميتافيزيقا وهو الذي يجعل الظهور ممكنا. إذن هناك إنبثاق للكائن وليس للعدم، فلماذا ثمة كائن وليس العدم؟

لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ هو سؤال طرحه هيدغر في محاضرة ألقاها في سداسي صيف 1935 في جامعة فريبورغ الموسومة **مدخل إلى الميتافيزيقا**. سنقوم بفحص وتفكيك هذا السؤال إلى عناصره البسيطة المكونة له واحدة بواحدة، وهي أربعة عناصر مكونة لأهم سؤال ميتافيزيقي:

أ- لماذا: هو سؤال الدهشة، سؤال ميتافيزيقي، يبحث عن السبب. دهشة فتح بابها القلق الميتافيزيقي، فالقلق هو الحالة العاطفية أو الشعورية الوحيدة القادرة على فتح باب الدهشة الميتافيزقية (الفلسفية).

ب- ثمة، Es gibt- Il y a: هي الكينونة بتعبير هيدغر. الضمير « Es, Il » في العبارة Il y a أو العبارة الألمانية Es gibt، هو الذي يعطي الكينونة، وسيعطيه هيدغر فيما بعد تسمية Ereignis [41]. ثمة كينونة يعني ثمة زمان، فليست الكينونة كائنة إلا بقدر ما يكون الزمان.[42]

ت- كائن: هو كائن يشغل حيزا في المكان والزمان، ويدخل في دائرة العلوم الوضعية.

39 فرانسواز داستور، **هيدغر والسؤال عن الزمن**، ترجمة، سامي أدهم، المطبوعات الجامعية، فرنسا، 1993، ص. 40

40 M.H, *Qu'est-ce que* la *métaphysique* ? Nathan, 1998, p. 52

41 **الفلسفة والتيولوجيا في فكر مارتن هيدغر**، ص. 110

42 المصدر نفسه، ص. 109

ث- العدم: هو ما يناقض الكائن أي اللاكائن، ولكن ما يقابل الكائن ليس اللاكائن وإنما الكينونة، إذن العدم هو الكينونة.[43]

إن إثارة هذا السؤال هي تعبير عن إرادة المعرفة، فالإنسان الذي يريد أن يعرف، هو من يضع كل كينونته في هذه الإرادة لإظهار الكينونة المختبئة، حيث نجد في هذا السؤال الميتافيزيقي دهشتين، دهشة علمية، والثانية ميتافيزيقية (فلسفية). عندما يطرح العالِم السؤال: "لماذا؟"، يكون بصدد البحث عن السبب المسؤول عن حدوث شيء ما. مثلا، العالِم في مخبره لا يشغله لماذا هناك أمراض، ما يهمه حقا هو السبب المسؤول عن حدوث هذه الأمراض. أما ذلك الجانب المظلم والمتخفي والمنسحب، فلا يهمه في شيء، ولا يريد معرفة شيء عنه.[44] أما الميتافيزيقي، الذي يقف وقفة المندهش أمام فعل الكينونة، عندما يسأل: "لماذا ثمة كائن؟"، هو يطرح إمكانية العدم عوض ما هو كائن. وهذا يعني أن العالم هو شيء عارض. كان من الممكن ألّا يكون. ولهذا، فإن إمكانية فهم الكينونة تبدأ من إمكانية العدم. وهنا يوضح هيدغر الفرق بين الفلسفة والعلم، فإذا كان الإهتمام الأوحد للفلسفة هو سؤال الكينونة، فإن العلم لا يفكر في الكينونة بل في الكائن.

إن دهشة الفيلسوف تدفعه إلى التساؤل: لماذا هناك كائن وليس العدم؟ هذا الغموض الذي يلف العالم، هو غموض حول وجود الكائنات، مما جعل الميتافيزيقي يتتبع سلسلة لا متناهية من الأسباب التي تُحْدِثها. وذلك بتطبيقه لمبدإ السبب الكافي. يُقرّ هذا السبب بلاإمكانية وجود شيء دون وجود سبب كاف لوجوده (ليبنتز). ويجيب في الأخير بجواب أساسي في الميتافيزيقا الكلاسيكية وفي الثيولوجيا، وهو ذلك الكائن المطلق "الله". الله هو خالق العالم، وهو الذي أوجد هذه الكائنات. وهكذا، أزيل كل غموض حول مسألة الكينونة.

إذا كان وجود الكائنات يقتضي وجود سبب، فإن العدم لا سبب له. إن سلسلة الأسباب اللامتناهية، تقتضي الوقوف عند سبب أول لا سبب له، حتى يكون فهم الكينونة ممكنا، وهو شيء يناقض المبدأ نفسه. فهل يَقْبَل الفيلسوف الحقائق الأزلية، لِيُزِيحَ عن طريقه كل غموض، بالرغم من التناقض الذي يقع فيه. فالتناقض مرفوض منطقيا، ثم إن العلم لا يقبل

43 M. H, *Introduction à la métaphysique*, pp. 93-94
44 M. H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p. 27

التناقض. إذن، كيف يمكن أن نقبض على مفهوم الكينونة خارج نطاق مبدأ السبب الكافي لليبنتز؟ توصلنا سلسلة الأسباب التي يفترض أن تجعل من فهم الكينونة ممكنا، في الأخير، إلى نفق طويل ومظلم، لا مخرج منه إلا إليه، فنرجع مرة أخرى إلى طرح السؤال نفسه: لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ في هذا السؤال، العدم شيء تم تجاهله ونسيانه. فإذا كان هذا السؤال يفترض وجود إمكانية العدم، وأن وجود العالم هو شيء عارض، كان من الممكن ألا يكون، هذا يعني أن هناك إمكانية العدم. وإذا كانت هذه الإمكانية ممكنة، فهي حقيقة. وبهذا، يمكن فهم أغوار وأسرار هذه الكينونة، إنطلاقا من العدم. العدم هو الأفق الذي يفتح إمكانية فهم الغموض، الذي يلف الكينونة، فالعدم هو جزء مكوّن للكائن وللكينونة.[45] وبما أن العالم يحمل إمكانيتين: إمكانية الوجود وإمكانية العدم، فإن الكينونة الإنسانية تحمل هي الأخرى إمكانيتين، فإمكانية غياب العالم، تقتضي إمكانية غياب الكينونة الإنسانية، ولكن غياب الكينونة الإنسانية لا يعني على الإطلاق غياب العالم.

بما أن الكينونة التي نبحث عنها هي كينونة الكائن، فإن المتسائل سيجد نفسه طرفا في السؤال. هناك تبادل في العلاقات، هناك حركة ذهاب وإياب بين المتسائل والمتساءل عنه، فالتساؤل هو نمط كينونة خاص بالكائن، حيث يريد هذا التساؤل أن يوصلنا إلى المنطقة الأكثر حميمية في الكائن عن طريق المتساءل عنه. والمهم هو إيجاد الطريقة الصحيحة للوصول إلى هذا الكائن. ولكن من هو الكائن الذي علينا أن ننطلق منه للبحث عن معنى الكينونة. هل هناك كائن خاص له الأولوية في طرح سؤال معنى الكينونة، ويعتبر نقطة البداية في بحثنا؟ إن النظر بإتجاه الكينونة، والإنصات إلى نداءها وإرادة الوصول إلى حقيقتها، وإختبار الكائن المخصوص للإنطلاق في مشروع بحثنا عن معنى الكينونة، هي كلها سلوكات مُكَوِّنة للسؤال. وفي الوقت نفسه، هي أنماط الكينونة الخاصة بكائن معين. هذا الكائن هو "نحن". لأننا نحن من نتساءل. وهكذا فإن معالجة سؤال الكينونة تقتضي معالجة الكائن، وجعل كينونته كينونة شفافة. هذا الكائن الذي هو "نحن" يقول هيدغر هو الكائن الذي أطلقنا عليه لفظ "دازين".[46]

45 Ibid., p. 30
46 *Être et Temps*, p. 31

توجد الكينونة الخاصة بالكائن في الواقع. أي في الكينونة-هنا الماثلة أمامنا، في عمقها الجوهري، في "ثمة"، وفي "الدازين" Existenz.[47] فمن هو الدازين؟ فقبل أن نضع سؤال الكينونة صوب أعيننا، علينا أن نُوَضِّح أولا ما تعنيه كلمة "دازين" وذلك بمعالجة كينونته. ولكن ربما بهذه الطريقة سنسقط مرة أخرى في غموض الكينونة، وهي الدائرة نفسها منذ البداية، فتحديد الكائن في كينونته، هي نفسها تحديد الكينونة. ألا يمكن تحديد الكينونة من دون العبور على الكائن؟ إن الدخول في مشروع البحث عن الكينونة يتطلب منا معالجة ملموسة في مشروع بحث آخر يخص الدازين. ولكن ألا يمكن تحديد الكائن الواقعي دون العودة إلى معنى كينونته؟

يُعَرِّف هيدغر الميتافيزيقا، في محاضرته سنة 1929، الموسومة **ما هي الميتافيزيقا؟** ونلاحظ إضافة إلى كونه عنوان محاضرته، فهو أيضا تساؤل يبحث عن طبيعة أو ماهية الميتافيزيقا: كما أنهى هيدغر محاضرته بالسؤال الأساسي للميتافيزيقا وهو: لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ وهو سؤال يبحث عن العلة أو الأساس، لأن كلمة "Grund" في اللغة الألمانية تحمل معنى "العلة" ومعنى "الأساس".[48]

سؤال "ما الميتافيزيقا؟"هو السؤال الأساسي للميتافيزيقا، لأنه يركز على أساس الكائن في كليته، أي في مجموعه. أما محور إهتمام السؤال المُوَّجِه للميتافيزيقا: "لماذا ثمة كائن وليس العدم؟" فهو الكائن نفسه ككائن. يشترك السؤالان في البحث عن الكائن، رغم أن السؤال الأول "ما الميتافيزيقا؟" يبحث في ماهية الميتافيزيقا وليس في ماهية الكائن.

47 دازين Da-sein هي كلمة ألمانية استخدمها كانط في معنى الكلمة اللاتينية existentia واستمر هذا المعنى إلى غاية هيجل. ولكنه أضاف له صبغة جديدة في كتابه **العلم والمنطق.** هذه الإضافة تكمن في وحدته مع الكينونة والعدم التي تنتج ما هو قادم. أي أن الدازين هو الانفتاح أمام الغريب. كلمة دازين تعني وجود الشيء. ويقابلها احتمال وجود الشيء أو إمكانه أو ضرورته. فالإنسان هو الوضع الذي تؤضل فيه علاقته بالكينونة باعتباره انفتاحا. تقبل الكينونة على الإنسان بطريقة عفوية باعتبارها هي الأخرى انفتاحا (**الكينونة والزمان**، ترجمة وتقديم، فتحي المسكيني، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2012، ص.73) ولكنه في محاضرته المعنونة **"الشيء"** سنة 1950 يستبدل هيدغر كلمة Da-sein ب Mensch ويقصد به الفاني Le mortel. أي المحكوم بالزمان، فالوجود الإنساني هو الدازين وهو الوضع الذي تتكشف فيه الكينونة وتختفي كحركة في الزمان، وقد سماها بالإمتلاك Ereignis ثم أعطاها إسم الإنارة L'éclaircie ثم الضوء الخافت الإنارة La clairière. يعرف هيدغر كلمة دازين في **الكينونة والزمان**، ص. 42 وأيضا في الفقرة 25، ص. 156.

48 M. H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p. 66

في إشكالية المتسائِل (الإنسان) والمتساءل عنه (الكينونة)، يجد المتسائل نفسه طرفا في السؤال،[49] إذ لا يمكن فهم وتحديد وضع الكائن دون تحديد وضع الكينونة. ولأن الإنسان هو الكائن الوحيد والمتسائل عن معنى الكينونة، فهذا يدفعنا للتساؤل لماذا لم يستعمل هيدغر مصطلح "إنسان" أو "كينونة إنسانية" بدل "كائن"؟ فالكائنات متعددة، الحيوان كائن، والنبات كائن، والإنسان أيضا كائن. إذن من هو الكائن الذي يُلَمِّح له هيدغر في السؤال المُوَجِّه للميتافيزيقا؟ من هو الكائن المتميز والمخصوص بسؤال الكينونة؟ فإذا كُنتُ مثلا في بلد غريب، وأردت الذهاب إلى مكان لا أعرفه، فإنني لن أسأل شخصا غريبا، بل أوجه سؤالي إلى السكان الأصليين لهذا البلد. ولأن كل تساؤل ميتافيزيقي يشمل مجموع الميتافيزيقا، فإن أول ما ينبغي علينا أن نضعه موضع الفحص والمراجعة هو ميتافيزيقا الكينونة الإنسانية، حيث تحمل هذه الأخيرة في ذاتها رؤية مسبقة للكينونة. تشير هذه الرؤية إلى الطريق الذي ظهر فيه الفهم الشائع للكينونة وإلى الدائرة التي تَحَرّك فيها سؤال الكينونة، وهي دائرة الميتافيزيقا الكلاسيكية التي حدّدت الكينونة الإنسانية بالعقل. ولكن كيف تحول الإنسان إلى دازين؟ وهل حذفت هذه التسمية الجديدة جانبه الإنساني؟ عندما ارادت الميتافيزيقا الكلاسيكية أن تعرف الإنسان، عرفته أولا بنوعه (الحيوان) وبعدها بالخاصية التي تميزه عن بقية الأصناف التي تنتمي إلى هذا النوع (عاقل)، ولكن هل يمكن تعريف الكينونة على هذا النحو؟ فإذا أردنا إتباع نفس الطريقة فإنه ينبغي علينا تحديد نوع للكينونة وبعدها ما يميزها ولكن الكينونة لا نوع لها وبالتالي لا يمكن تحديد ما يميزها.

يجيبنا هيدغر عن سؤاله ما الميتافيزيقا؟ قائلا: "الميتافيزيقا هي الدازين التاريخاني".[50] فما معنى كلمة "دازين" Da-Sein، وماذا يقصد هيدغر بصفة التاريخانية؟

أراد هيدغر من خلال كلمة "دازين" أن يُسَلّط الضوء على فعل الكينونة. وقد تمّت ترجمة هذه الكلمة إلى "الواقع الإنساني" من طرف جون بول سارتر في **الكينونة والعدم**. صحيح أنه وحده الإنسان يمكن أن يكون دازين. ولكن هذه الكلمة غير قابلة للترجمة حتى في لغتها الأم، باعتبار أن الدازين يختلف عن أي واقعية حتى وإن كانت إنسانية. الدازين هو

49 Ibid., p. 56
50 Ibid., p. 39

المكان الذي ينكشف فيه نور الكينونة هذا يعني أن الكينونة تمتنع عن الظهور ولا تنفتح إلا لمن ينفتح لها أولا، فلا ينبثق نورها إلا لمن خاض تجربة البحث عنها في المسالك الأكثر وحشة وظلمة. الدازين، هو قلب الفكر الهيدغيري. الدازين هو فلسفة هيدغر الخاصة.[51] أما التاريخانية فهي الصفات الكيرولوجية* التي تميز الحياة في وقائعيتها تماما، لأنها تحدّد العلاقة التي تقيمها الحياة مع الزمان، والتي تُعَدّ علاقة إنجاز. هذا يعني أن الكينونة الإنسانية، هي كينونة تتميز بعلاقة خاصة جدا بالزمان. وهذا يدفعنا إلى الكشف عن المعنى الزماني الدقيق لنمط الوجود الإنساني، أي المعنى الزماني للدازين.

وهنا نتساءل: ما هي اعتراضات هيدغر على الأنطولوجيا التقليدية؟ وما هو منهجه في تقويض هذه الأنطولوجيا؟ كيف حدد هيدغر خطابه النقدي؟ وما هي البدائل التي يقترحها لوضع أسس جديدة في معالجته لسؤال الكينونة؟

تكمن قوة سؤال الكينونة كإنجاز هيدغيري بحث في تفكيكه وتقويضه للميتافيزيقا الكلاسيكية،[52]حيث تَبَيّن لهيدغر من خلال تحقيقه في تاريخ الميتافيزيقا الغربية، إختلاط فهم الكينونة بالكائن، وسؤال الميتافيزيقا العامة أي الأنطلوجيا التي تبحث في سؤال كينونة الكائن، والميتافيزيقا الخاصة التي تهتم بأسس الكائن. فأُعْطِيَ نصيب أكبر للكائن، على حساب الكينونة. وربما هذا ما نختبره في قول نيتشة: "كلهم يتحدثون عني، ولكن لا أحد يفكر في".[53]

تعالج كلمة "ميتافيزيقا" نوعين من الأسئلة وهي الأسئلة التي تبحث في ماهية كل ما هو كائن، على نحو سؤال أرسطو: "ما هو الكائن؟" والأسئلة التي تريد تحديد الأسس النهائية والأولى fondements ultimes et premières لكل ما هو كائن. ونضرب مثال الهرم الثلاثي الكلاسيكي والمتمثل في، الله، النفس والعالم.[54] وبالفعل شَكَّلَ هذا الهرم في الفلسفة الكلاسيكية قاعدة للثيولوجيا المسيحية. ونخص على وجه التحديد، الفلسفة الإغريقية

51 Ibid., p. 25 (voir *Questions III*, p. 157)

* الصفات الكيرولوجية هي اللحظات الزمانية، بمعنى أن الكائن الإنساني هو الكائن الذي يملك القدرة على إستقبال مصيره، فالكائن الإنساني هو المقام الذي ينفتح فيه الزمان بكل أبعاده، الزمان هو من يملكنا ولسنا نحن من نملكه.

52 *Être et Temps*, p. 26

53 نادية بونفقة، **ماذا يعني التفكير؟** ديوان المطبوعات الجامعية، 2008-2009، ص. 75

54 M. H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p. 71

الأفلاطو-أرسطية platonico-aristotélicienne. فهل الميتافيزيقا الكلاسيكية هي حقا ميتافيزيقا خالصة؟

بدأ نسيان الكينونة مع أفلاطون وإستمر نسيان الكينونة في التكوين الفلسفي لمفهوم الحقيقة كمطابقة مع أرسطو. وبعدها، مع ديكارت، في إكتشافه لمفهوم الذاتية. وأخيرا، في كل نظريات التمثيل، مع شوبنهاور، وإرادة الإرادة لنيتشة. تخرج الكينونة في كل مرة تقوم فيها الميتافيزيقا بتمثيل الكائن، إلى منطقة النور والإضاءة، ولكنها تبقى متحجبة، لأن الميتافيزيقا لم تفكر أبدا في جوهرها اللامتحجب، أي في حقيقتها. ففي كل مرة تبحث فيها الميتافيزيقا عن الكائن ككائن، تتمسك بالكائن وتنسى الكينونة ككينونة. وبهذا، كتبت أو أعلنت الميتافيزيقا نهايتها. [55]

أعلن هيدغر نهاية الميتافيزيقا بعد أن تفطن إلى تحديد الفرق بين الكائن والكينونة. فمجال البحث في الكائن هو المجال العلمي، أما مجال البحث في الكينونة، التي تحمل صفة الإنسحاب والتخفي وراء تجلي الأشياء -هذا الحاضر الغائب- يعد موضوعا للبحث الأنطولوجي. وبهذا، جعل هيدغر من العدم أفقا للإنفتاح على سؤال معنى الكينونة. إن الفرق بين الكائن والكينونة، الذي نبّهنا إليه هيدغر، جعله يتجه- في كتابه **الكينونة والزمان**- إلى كائن خاص أطلق عليه إسم الكينونة-هنا Dasein.[56]

فُهم مصطلح دازين في اللغة الألمانية في معنى "الآني" ويراد به قول "الكينونة الحاضرة"، واستعمل هذا المصطلح عند الفلاسفة وعند الشعراء أيضا أمثال ريلك Rilke.[57] الدازين، هذا الكائن المنفتح على فهم الكينونة، هو الوحيد المتميز عن باقي الكائنات، لأنه يعي أو يدرك بأنه كينونة متزمنة. الدازين ليس كينونة أزلية، ولكنه الوحيد القادر على طرح سؤال الكينونة. وكأنه يريد أن يقول: إن هذا العالم، كان من الممكن ألا يكون، ولكنه وُجد فقط لكي يحظى باهتمام ورعاية الإنسان، هذا الإنسان الذي أُلْقِيَ أو قُذف لا إراديا في هذا

55 M. H, *Questions I et II*, Gallimard, 1968, p. 24

56 Sylvain Auroux et Yvonne Weil, *Dictionnaire des auteurs et des thèmes de la philosophie*, Article Dasein, Hachette, 1991.

[57] Philippe Arjakovsky, Dictionnaire Martin Heidegger, article Dasein, Editions des Cerfs, Paris, 2013 p. 301

العالم، هو الدازين، وهو نفسه المعني بمهمة الرعاية، أي رعاية الكينونة. فهو ليس سيّدا عليها. ولكن هل يعي كل إنسان دوره وحقيقة كينونته؟

بعد أن حددت الثيولوجيا معنى الكينونة بكائن مطلق "الله"، تحوّلت الأنطولوجيا إلى ثيولوجيا، فعوض أن نسكن الغموض أزحناه جانبا، لندخل بذلك عالم الأنطوثيولوجيا. فالإجابة عن السؤال لماذا ثمة كائن؟ هو لأن "الله" خلقه. هذا الجواب، يدخلنا في دائرة الثيولوجيا. وهي بعيدة كل البعد عن الأنطولوجيا. هذا الجواب هو نفسه الذي شكل البنية المؤسسة للميتافيزيقا التقليدية. ولهذا، وقع سؤال الكينونة في النسيان. فقد تم نسيان الغموض الذي يلف العالم.

يرفض هيدغر هذا الجواب، لأنه يوصل الميتافيزيقا في مسار بحثها إلى خط النهاية (نهاية الميتافيزيقا). يريد هيدغر أن ينبهنا إلى وجود غموض تسكنه الأنطولوجيا الأساسية. وهي في مهمة غير منقطعة، يدفعها الاندهاش المستمر إلى التساؤل عن الكائن ككائن وعن الكينونة ككينونة. إن الإجابة على سؤال الكينونة في الميتافيزيقا الكلاسيكية بكائن مطلق ens summum بإعتباره السبب الأول، الذي تعود إليه كل الموجودات، أصبح أمرا مألوفا، وقد أزال هذا القول كل غموض، ولم يعد هناك حاجة إلى التساؤل عن معنى الكينونة. ولكن الكينونة التي يريد هيدغر التحقق منها هي لاكائن واللاكائن هو العدم، فكيف يمكن التحقق من العدم؟ وإذا كانت الميتافيزيقا الكلاسيكية قد عرّفت العدم باللاكائن، أي بالمادة المحرومة من الشكل، فكيف يعرّف هيدغر العدم؟

في **ميتافيزيقا** أرسطو الكتاب الرابع IV يقول حسب ما نقلته إلينا سيلفان Sylvain: "يفترض أن تكون الكائنات في مكان ما، والعدم ليس له مكان. أي أنه ليس موجودا في أي مكان".[58] كذلك يرى هيدغر بأن الإنعدام يأتي من الكينونة وليس من نمط وجود الكائنات.[59] يتكشف العدم من خلال القلق. والقلق هو النغمة العاطفية التي تتواجد في حركة تراجعية أمام العدم. ولكن لا تُعَدّ هذه الحركة التراجعية هروبا، بل هي الراحة بعد الإندهاش والإعجاب،

58 Ibid., p. 30
59 Ibid., p. 33

حيث يأخذ القلق من العدم وجهة له. وهكذا لا يبقى العدم كنقيض للكائن. ولكنه يتجلى كمُكَوِّن لكينونة الكائن. الكينونة الخاصة والعدم الخالص متطابقان.

المبحث الثاني: تفكيك هيدغر للمقاربات الكلاسيكية

يقول هيدغر: "نحن نفكر في حقيقة الكينونة، إنطلاقا من ماهية وحقيقة الميتافيزيقا".[60] مشكل إمكانية الميتافيزيقا سيصبح مشكل إمكانية الأنطولوجيا، بمعنى الميتافيزيقا العامة. وهو المشكل الأساسي في **نقد العقل المحض** لكانط.[61]

موضوع المعرفة المتناهية la connaissance finie هو الظهور apparence عند كانط، بينما موضوع المعرفة المطلقة هو الشيء في ذاته. هناك شيء في ذاته Ding an sich، لا يمكننا الوصول إليه. ما يمكننا رؤيته هو الظهور. ولكن، كيف يمكن لكائن متناه أن يعرف ما هو قبلي a priori؟ هنا تكمن مشكلة ماهية المعرفة المحضة، المستقلة عن التجربة، والسابقة لكل معرفة.[62]

قدم هيدغر، في كتاب **كانط ومشكل الميتافيزيقا**، قراءة ورؤية جديدة، تجاوز فيها نقد كانط للميتافيزيقا. فبدأ بالبحث عن أساس أنطولوجي خالص، من خلال نقده لفلسفة كانط، القائمة على أساس علمي للميتافيزيقا، لأن الفلسفة الكانطية هي الأخرى جزء من تاريخ نسيان الكينونة. ولكن الفيلسوف الوحيد في كل تاريخ الأنطلوجيا، الذي شعر بإمكانية وجود علاقة حميمة لفهم حقيقة الكينونة مع الزمان، هو كانط.[63]

إنشغلت الميتافيزيقا عن سؤال الكينونة، وإهتمت بسؤال الكائن. كانت الميتافيزيقا في كل مرة تتساءل فيها عن الكينونة، تأخذ منحى الكائن. وهذا إن دلّ على شيء، فهو دليل على مدى صعوبة هذا السؤال، وعلى حالة الضياع والحيرة التي تنتاب المتسائل. فلطالما اختلط سؤال الكينونة بسؤال الكائن.

60 M.H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p.113.
61 Jean Wahl, *introduction à la pensée de Heidegger*, p. 143 (La marge)
62 Ibid., p 147
63 فرانسواز داستور، **هيدغر والسؤال عن الزمن**، ص 30

إن أسئلة كانط الثلاثة، أي سؤال إمكانية المعرفة والفعل والأمل، هي أسئلة توحي بالتناهي والمحدودية. فالإنسان كائن محدود ومتناه. عندما يسأل: ماذا يمكنني أن أعرف؟ وماذا يمكنني أن أفعل؟ وماذا يمكنني أن آمل؟ كلها أسئلة تصب في دائرة المنفعة. هذه الأخيرة، هي خاصية العقل الإنساني. تصب الأسئلة الثلاثة كلها في السؤال الرابع، الذي أضافه كانط، في الطبعة الثانية لكتابه **نقد العقل المحض:** ما هو الإنسان؟ أين يمكن أن نجد مركز كل هذه الأسئلة الفلسفية؟ هل تصب كل منابعها في الإنسان؟ أم إنها فقط مطروحة من قبله؟ هل سؤال ماهية الإنسان هو سؤال فلسفي أو أنثروبولوجي؟ هل في البحث عن ماهية الإنسان، نكون قد إنخرطنا في المجال الأنثروبولوجي؟ أليس لهذا السؤال بعدا أنطولوجيا؟

يرى هيدغر أن البحث في سؤال الإنسان هو بحث يجمع بين الأنثروبولوجيا والميتافيزيقا. إنها أنثروبولوجيا ميتافيزقية.[64] لا يمكن أن يكون السؤال سؤالا أنثروبولوجيا بحتا. إذا كان الإنسان محدّدا بعلاقة لا نظير لها، لا في العالم ولا في الحياة، ولا في السيكولوجيا، باعتباره كشفا للكائن، فهو المكان الذي تتكشف فيه الكينونة. ثمة كينونة خاصة وخالصة في الإنسان، وما يريده هيدغر هو إعادة تصحيح التأسيس الميتافيزيقي من خلال كتاب **نقد العقل المحض** لكانط. من هو الإنسان؟ هو سؤال يبحث في البنية الوجودَوية existentiale للإنسان.

يوحي التساؤل الميتافيزيقي لكانط، ماذا يمكنني أن أعرف؟ إلى المقدرة واللامقدرة. هذا السؤال يبرز الوجه الآخر للإمكان وهو اللاإمكان، واللاإمكان ليس عيبا، اللاإمكان هو غياب وفقدان. من يسأل عن إمكاناته يكشف التناهي، ويلمسه في أكثر شيء خاص في كينونته. إن التناهي ليس خاصية عرضية للعقل الإنساني المحض، ولكن تحديده بالتناهي هو ضرورة تجعله متناهيا. بمعنى القلق والهم المتعلق بقدرة-كينونة-متناهية. وهكذا، فإن سؤال الكائن يكشف سؤال الكينونة، لأن ما يحدد الكائن هو كينونته.[65] مع هيدغر، سيتحول سؤال

64 M. H, *Kant et le problème de la métaphysique,* Trad. Alphonse De Waelhens et Walter Biemel, Gallimard, p. 262

65 Ibid., p. 279

كانط كيف تكون معرفة الكائن بعامة ممكنة، إلى كيف يمكن أن تكون المعرفة بالكينونة ممكنة؟ [66]

يحوي "سؤال ما الكائن؟" السؤال الأصلي: "ما الكينونة" τι εστιν وهو سؤال مضمر. إن كان سؤال الكائن ككائن صعبا، فإن سؤال الكينونة ككينونة سيكون أصعب بكثير، لأنه أكثر تجريدا من سؤال الكائن. الكينونة هي التي تجعل من الكائن ممكنا، وهي الواقعية المكونة للشيء كما هو. الكينونة هي الماهية الجوهرية للكائن المشار إليه realitas. فلكي نعرف ما هو الكائن، نستعلم عن الشكل الذي يأخذه الكائن، أيدوس ειδος. ولذلك، سميت ماهية الكائن بالفكرة، ιδεα. وهكذا، يكون الكائن منسوبا إلى حدث الكينونة. وهذا ما فسرته الفلسفة إصطلاحا بـالوجود existentia[67] ، ولكن لا يمكننا الإستمرار في إعتبار الكينونة ك"واقع" un fait.[68] وعليه فإنه يتوجب علينا وضع الكينونة في موضع التساؤل والبحث.

يرى هيدغر أن الفكر الغربي، منذ أفلاطون وصولا إلى نيتشة، قد وقع في فخ نسيان الكينونة. إنحرف تاريخ الكينونة عن مساره الصحيح، وإنساق في طرح الأسئلة السطحية دون النظر في الأعماق، فجاءت أجوبته على نفس المساق. وهكذا بقي سؤال معنى الكينونة متحجبا بالنسبة للميتافيزيقا، لأنها كانت تفكر في الكينونة كتَمَثُّل للكائن ككائن. وهنا حَدَثٌ خلط بين الكائن والكينونة.[69]

إن الأمر الذي لم يتنبه إليه الفلاسفة السابقون، أو ربما تنبهوا إليه دون إعطائه حق قدره، هو ذلك الفرق بين الكائن والكينونة. وهو ما يطلق عليه هيدغر الفرق الأنطولوجي. وهو حجر الزاوية في فكره. فأنطولوجيا الكائن، تختلف عن أنطولوجيا الكينونة. ولهذا، أراد هيدغر توضيح هذا الفرق، وإعادة النظر في الموروث القديم، وتقديم قراءة أنطلوجية جديدة في مراجعته وقراءته لأعمال الفلاسفة القدامى والمعاصرين. فكرة العود الأبدي لنيتشة، وإرادة القوة، هي قمة الميتافيزيقا الغربية، حيث تَحَوَّلَت الكينونة مع نيتشة إلى إرادة القوة.

66 Jean Wahl, *introduction à la pensée de Heidegger*, p. 144
67 Ibid., p. 280
68 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 93
69 M. H, *Questions I et II*, pp. 28-29

أراد هيدغر وضع أسس جديدة للكائن المتزمن، وإبراز شروط تواجد الدازين المنفتح على حقيقة الكينونة من خلال سلبية العدم ومطلقيته، هذا الدَّيْنُ الذي لم يفكر فيه فلاسفة الغرب، فالكثير من الفلاسفة كانوا يقصدون الكينونة، ولكنهم تحدثوا عن الكائن بدل الكينونة. إن الفرق موجود، ولكنه متخفي مع الدازين نفسه، [70] الفرق بين الكائن والكينونة متزمن في زمانية الزمان.[71]

يحمل الفرق بين الكائن والكينونة مجموعة من المقاربات الأنطلوجية من بينها المقاربة الأنطية (العلمية) والمقاربة الأنطوثيولوجية، حيث توضح لنا جليا كل من هاتين المقاربتين الفرق بين العلم والثيولوجيا والأنطلوجيا كعلوم تختلف باختلاف مواضيع بحثها.

1- المقاربة الأنطية (Ontique)

تعني كلمة أونتوس، [72] οντως في اللغة اليونانية الكائن. في هذه المقاربة، نرى كيف تم تقليص العالم وإختصاره في الكائن το ον، حيث يشترك في الدائرة الأنطية، معظم الناس الذين أرادوا تحصيل المعرفة المتعلقة بالكائن. إنها المقاربة العلمية للعالم. لا تطرح هذه الدائرة البحثية سؤال الكينونة، بل تبقى أسيرة الكائن. فالعالِم في مخبره يبحث ويفحص موضوع بحثه، بكل الوسائل المتاحة تقنيا، فيضع الفرضيات ويقيم التجارب، ليصل في الأخير إلى نتائج تطبيقية، تخص دائما موضوع بحثه الذي ينطلق من كائن ليحلل كائنا آخر. العالم في مخبره لا يريد معرفة شيء عن العدم. هذا الأخير، لا يهمه في شيء، تنحصر دائرة إهتمامه في الكائن الواقع تحت النظر. سؤال الميتافيزيقا هو سؤال الكينونة: لماذا ثمة كائن وليس بالأحرى العدم؟[73] هو مطلب أشد عمقا من سؤال الأساس، لأنه يطرح إمكانية العدم، أي إمكانية اللاكينونة. ولهذا، إتخذ هيدغر من العدم مدخلا لعالم الكينونة. إنه عالم منفتح في أفق الزمانية. ويفرق هنا هيدغر بين الكينونة والكائن، الأمر الذي غفل عنه اليونان، بل كل فلاسفة الغرب

70 Ibid., p. 383 (La différence est présente d'une manière latente à travers l'existence du Dasein.)
71 Ibid., p. 338 (La différence entre l'être et l'étant est temporalisée dans la temporalisation de la temporalité.)
72 Ch. Georgin, *Dictionnaire Grec Français*, Augmentée, Article, οντως=en réalité, p. 151
73 Bruno Bérard, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? Edition, L'Harmattan, 2010, p. 19

الذين إهتموا بالكائن على حساب الكينونة، لأنهم كانوا قد إنطلقوا من المبدإ القائل: "كل شيء هو شيء ناتج عن شيء ما".[74]

أعلن برمنيدس تصريحه الأكثر شهرة في تاريخ الأفكار: "ما هو كائن، هو كائن، وما هو غير كائن هو غير كائن"،[75] فتعتقد للوهلة الأولى أنها أسخف عبارة تسمعها على الإطلاق، ومن شخص يقال عنه: "مفكر عظيم"، ولكن، إذا تأملت فيها جيدا وبطريقة تكون أكثر تدقيقا وانتباها ستطرح سؤالا: ماذا يقصد الأب الروحي للأنطولوجيا بتصريحه هذا؟ ما هو كائن هو كائن، وما هو غير كائن هو غير كائن ولا يمكنه أن يكون. يقصد برمنيدس بهذه العبارة أن ما هو كائن حقا لا يمكنه أن يتغير، فكل ما يتغير هو ليس أبدا كائنا حقا، ولكنه كينونة في العالم. ألا ينبغي أن أقول أنا صائر في العالم، لأنني ربما كنت كذلك، لكنني لم أعد كذلك، وحتى حين كنت لم أكن، لأنني حين كنت، كنت أتغير، إذ لا يمكن تجميد الزمان في شيء متغير باستمرار، كما لا يمكن تجميد شيء يحكمه الزمان؟ لذلك، فإن تصريح برميندس هو تصريح عميق جدا. فالزمان لا يمكن تحديده أو تجميده، وحتى اللحظة الزمانية الحاضرة تنفلت بسرعة البرق، ولا يمكن القبض عليها. هذه اللحظة، لا هي بماض ذهب وولى، ولا بمستقبل آت، ولا بلحظة زمانية حاضرة وممتلئة. بالنسبة إلى أرسطو، إذا كان الشيء احتماليا، أي أنه "متغير باستمرار"، لا يمكن أن يكون "فعليا"، هو "لا شيء"، إذن لا يمكن أن تكون هناك احتمالية خالصة، فكل ما أنت عليه هو صيرورة. وهذا يعني أنك لست سوى وهم لا يجب التعلق به، بل يجب التحرر منه، لأنه ليس لديك شيء موجود. إن كينونة الكائن بالنسبة لهيدغر هي الأكثر لمعانا وبريقا بالرغم من أننا لا نراها عادة أو ربما نكاد نراها.[76] كما يرى هيدغر أن الكائن بمعنى الظاهر للعيان هو موضوع العلم لا الفكر، والإنسان هو كائن محدود في سلم الزمان، فالإنسان المحدد بالعقل هو تحديد ثانوي، والدازين بمعنى الآنية

74 Aristote, *La métaphysique*, (Livre Z, chapitre 8), Trad. Jules Barthélemy- Saint Hilaire, Edition, Presses Pocket,1991, p. 249

75 Philippe Arjakovsky, *Le Dictionnaire, Martin Heidegger*, Article Parménide, fragment VI, Editions des Cerfs, Paris, 2013, p. 437

76 Martin Heidegger, *Qu'appelle-t-on penser* ? Trad. Aloys Becker et Gérard Granel, Puf, 2014, Paris, p. 91

أو الزمانية، هو الوحيد من بين الكائنات جميعا الذي يعي صيرورته نحو الموت، فما يميز الدازين هو توجهه نحو الموت. وهذه الفكرة هي في الحقيقة فكرة قديمة لهرقليطس.[77]

ليس هناك ما يضاهي أهمية سؤال الكينونة. حتى لو قلنا أن للفلسفة لغتها الخاصة، فإننا سندرك بعد ملاحظتنا وسماعنا لما نقول، أنه لا يمكن الاستغناء عن فعل الكينونة، فهو موجود بلا انقطاع وفي كل ما نقول، إذ يصعب تأليف جملة من دون هذا الفعل "كان ويكون وسيكون وكن... إلخ. ولكن، إذا عدنا إلى مسألة الكينونة، فإننا نجدها غامضة مبهمة،في مرحلة ما قبل سقراط. فقبل مجيء سقراط إلى الساحة الفكرية الآثينية، كان هناك مفكرون بارزون جدا في العالم القديم، من بينهم برمينيدس وهيرقليطس وأنكسيمندر، وغيرهم كثر، وقد كان إهتمامهم بمسألة الكينونة عظيما.

ندرك جميعنا معنى التقدم في السن ونقترب كلنا ودون استثناء شيئا فشيئا، من لحظة النهاية، أي "لحظة الموت". كلنا ندرك التلف الناتج عن مرور الزمن. فنحن خاضعون لقانون التغير. قد يكون هذا التغير غير مدرك، ولكن إذا رأيت شخصا تعرفه وقد غاب لمدة طويلة، فإنك ستعرفه رغم التغير الكبير الذي طرأ عليه، فهو نفس الشخص، ولكنه مختلف، وستتعجب لهذا التغير الكبير، لأنك لم تكن تراه ولم تكن تراقبه وهو يكبر. إنها صورة مختلفة عن الصورة القديمة، ولكنها تشبهها. إن الشبه والإختلاف هما المتقابلان اللذان يحددان الواقع. توصل هرقليطس إلى مفهوم الصيرورة، وهو مهم جدا، فلا وجود لشيء مستقر وثابت. لا يوجد شيء لا يتغير، لا يوجد شيء أبدي، يوجد فقط ما هو آني، كما يعتقد هرقليطس بوجود تعدد أبدي في الواحد. وهذا، يعني وجود صراع داخلي ضمن الحقيقة الأساسية، وهو أمر ضروري لبنيتها، ثمة حركة دينامية في الحقيقة بحد ذاتها، والنار هي أعظم مثال على ذلك بالنسبة لهرقليطس.

2- المقاربة الأنطوثيولوجية Onto-théologique

في هذه المقاربة، تمت الإجابة عن الأنتوس بـالثيوس θεος وهو الكائن المثالي، كما فعل ليبنتز وكل الذين بحثوا عن السبب، ومن ثم في السبب المتسبب في السبب، وهكذا. وهي

77 *Être et temps*, p. 286

سلسلة غير متناهية، إلى أن توقعوا وجود سبب أول، ليس ثمة قبله سبب. وُجد العالَم لأن الله أوجده. هو جواب بسيط، يزيل كل غموض ويمحو القلق الميتافيزيقي، ويضمن هناء العيش، لأن أقصى طموح للإنسان هو ضمان حياة سعيدة ومستقرة. فالدِّين يملك إجابات لكل الأسئلة الميتافيزيقية. وهذا، ما يسميه هيدغر بنسيان الكينونة. والنسيان هو عنوان ضخم وطويل لكل تاريخ الميتافيزيقا. لقد أخفى هذا الجواب الأنطوثيولوجي سؤال الكينونة، فلم تعد هناك حاجة أو ضرورة لطرحه. فالكائن المثالي هو بمثابة النور الدافئ الذي أضاء الظلمة الحالكة في ليل شتاء بارد. الله هو كينونة مُعَرّفة. وبالتالي، فهو كائن بمجرد تحديده. الله هو كائن، ولكن مع هيدغر الكينونة هي لاكائن، وهي غير قابلة للتعريف، إذ لا يمكن تحديدها. ولأجل هذا السبب، إنتقد هيدغر الميتافيزيقا التقليدية، التي أحالت الكينونة إلى كائن مطلق، وهو"الله". بعد أن حدّدت الثيولوجيا معنى الكينونة بكائن مطلق "الله"، تحولت الأنطولوجيا إلى ثيولوجيا، وعوض أن نسكن الغموض أزحناه جانبا، لندخل بذلك عالم الأنطوثيولوجيا. فالإجابة عن السؤال لماذا ثمة كائن؟ هي وبكل بساطة، لأن "الله" أوجده.

يؤكد هيدغر أن إرجاع الكينونة إلى كائن مطلق، لا يمكن أبدا أن يكون موضوع الأنطولوجيا. الكائنية هي العنصر الذي تلتقي فيه كل الكائنات، والعدم هو شرط كينونة الدازين، وعنصر أساسي ومكون له. نقول مثلا: الكرسي موجود، والطاولة موجودة، والحيوان موجود، والإنسان أيضا موجود، ونحن ندرك قبليا أن كل الكائنات يحددها الزمان والمكان، فكل كائن له شكل ينبغي عليه أن يكون موجودا في مكان وزمان محددين. هذا هو الفهم الأول للأنطولوجيا. فالإنسان يدرك مسبقا شروط وجود الكائنات.

يبين لنا هيدغر، من خلال تفكيكه للمقاربة الأنطية والأنطوثيولوجية ، أن أي تأسيس أو تأصيل أو أي إمكانية تأصيل، ستهوي بالكينونة إلى مرتبة الكائن. الكينونة ككينونة تبقى بلا أصل أو بلا أساس.[78] ولكن إذا كانت الميتافيزيقا قد فشلت في فهم معنى الكينونة وتحديد أساس لها، فما هي شروط إمكانيات فهمها؟ نحن أيضا في حاجة إلى الخروج من الكهف، لرؤية النور. فالفكرة الأفلاطونية جعلت من الخير الأسمى أساسا للكينونة. ولكن لا يهتم

78 مارتن هيدغر، **مبدأ العلة**، ص. 112

هيدغر بأنطلوجيا التكوين، هيدغر يبحث عن معنى للعبارة: Epekeina tès ousias [79] هذه العبارة، الموجودة في كتاب **الجمهورية** لأفلاطون، (VI-509b)، والتي تعني "ما فوق الكينونة".

تُعرف الفلسفة (الميتافيزيقا) بالأسئلة الكبرى حول الأشياء الموجودة، أي الكائنات. فالفلسفة الأولى هي الميتافيزيقا العامة التي إرتكزت على الأنطولوجيا وسؤال كينونة الكائن. البحث عن الحقيقة هو تساؤل عن الحقيقة الواقعة تحت النظر، وهذا يعني أن الفلسفة لا تلامس الكينونة، وإنما تبدأ من الكائن. إن سؤال الكينونة هو أهم الأسئلة جميعها. ولهذا، سيحاول هيدغر في كتابه **الكينونة والزمان**، أن يتقدم خطوة نحو محو منطق الكائنات، للوصول إلى إنبثاق الكينونة التي ظلت أسيرة الكائنات لزمن طويل. الكائنات محصورة ومقيدة بين أسوار الإنكماش الفيزيقي المحدد بالزمان والمكان. تولي الميتافيزيقا إهتماما أكبر للتساؤلات في مقابل الأجوبة. ولهذا، فإن كل جواب سيتحول فيما بعد إلى سؤال جديد، يبحث له عن إجابات أخرى. هي سلسلة من التساؤلات، لا نهاية لها. وكأن الجواب يعبر عن لحظة آنية متوازنة في لحظتها الزمانية، وغير مستقرة (ثابتة) في اللحظات الزمانية القادمة، لأنها محكومة بقانون التغير. تقوم اللغة بتجميد الأفكار، أي تحددها في زمان قبل أن تعبر من خلاله إلى أفكار جديدة. وكأن هيدغر يلمح إلى أن الحقيقة زئبقية، حقيقة ليست في متناول اليد، وإن توهمنا للحظة أننا نمتلكها، فإنها لا تلبث أن تنفلت، فالحقيقة والعدم سواء. ولكن هذا القول هو تعبير عن فوضى وحيرة في الفكر وهدف الفلاسفة هو الوصول إلى نظام عالمي للفكر.

لقد إتُّهِمَ هيدغر بخرق قواعد المنطق، لأنه تساءل عن العدم Das Nichts. ونقصد هنا كارناب Rodolf Carnap* الذي كان قد حضر محاضرة هيدغر في فرايبورغ سنة 1929، **ما الميتافيزيقا؟** ويقول بأن التحليل المنطقي، يحكم باللامعنى على كل معرفة مزعومة، تدعي الوصول إلى ما هو فوق التجربة. إن إحتكاك هيدغر بأستاذه هسرل هو ما جعله يمارس منهج "الرؤية الفينومينولوجية"، التي تقتضي التخلص من إستعمال المعرفة

79 M. H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p. 73

*Rodolf Carnap 1891-1970, est un philosophe allemand, il est le plus célèbre représentant du positivisme logique

الفلسفية غير الممحصة. فقبل محاضرته سنة 1964 الموسومة **نهاية الفلسفة ومهمة الفكر**، وأيضا في نصوصه التي نشرها تحت موضوع **نهاية الفلسفة**، كلها تعد ملاحظات كان قد كتبها بين 1936-1946 وجمعها تحت عنوان **تجاوز الميتافيزيقا**، ليعلن بذلك نهاية الفلسفة. فهل التجاوز هو التخلي والرفض التام للميتافيزيقا الكلاسيكية؟ بمعنى، أنها قامت بدورة كاملة لكل الممكنات المخصصة لها. إنها نهاية الميتافيزيقا، التي كانت نظاما وقاعدة لنمط تفكير كوني دام طويلا. وهذا النظام هو في الأصل ليس في حاجة إلى الفلسفة، لأنه نظام موجود في الأصل منذ البداية.[80] فماذا بقي من الفلسفة؟ عندما تنتهي الفلسفة يبدأ الفكر.

لقد إهتمت الفلسفة الكلاسيكية بسؤال الكائن، وهو موضوع العلم لا الفلسفة، وأهملت سؤال الكينونة. إن البحث في الكائنات تقاسمته علوم اليوم فيما بينها. فالفيزيائي هو الأجدر بالحديث عن الذرة من الفيلسوف. بينما تكتفي الميتافيزيقا دائما بوضع الكائن ككائن أمامها، لترتئي كيفية وجود الكائنات نفسها. في كتاب **كانط ومشكلة الميتافيزيقا** 1929 يتحدث هيدغر عن مشكلة الميتافيزيقا حيث يقول، بأنه يريد أن يشرح **نقد العقل المحض** لكانط، بصفته أساس الميتافيزيقا. وذلك من أجل عرض مشكلة الميتافيزيقا، بصفتها مشكلة الأنطولوجيا الأساسية.

يرفض هيدغر رفضا مطلقا الذاتية المتعالية، ما يعني أن نص **الكينونة والزمان** جاء مهدما لوضع فلسفي قائم، إتهمه هيدغر بنسيان الكينونة، حيث تغاضى الموروث الفلسفي عن الزمان الذي يدخل نسيج الكينونة. في **الكينونة والزمان**، وضع هيدغر تشخيصه وقراءته الخاصة والمميزة فيما يخص تاريخ الغرب كنسيان للكينونة، والذي كان سببا في تحول الإنسان الغربي عن مهمته الأصيلة. وبلا شك أنه تأثر بسيناريو شبنجلر Spengler الذي تحدث عن الانحطاط والتراجع القاتل للغرب.[81] يبحث هيدغرعن تحديد وضعية الإنسان الذي يعاني من الغرابة وصعوبة الفهم، وأيضا الإنسان العارف والمنفتح على حقيقة ما.

3- ضرورة تقويض الميتافيزيقا

80 M. H, *Essais et conférences*, Gallimard, 1958, pp. 95-96.
81 George Steiner, *Martin Heidegger*, Champs Flammarion, 1978, p. 101.

يقول هيدغر في محاضرة ألقاها في سداسي صيف 1929، الميتافيزيقا مذهب يجب تجاوزه، لأنها تتضمن تصورات فارغة وخالية من شعور الدهشة والقلق والتوتر الدائم، الذي يدفع ويحفز على طرح الإشكالات الفلسفية الكبرى. الميتافيزيقا التقليدية هي عنوان الكينونة المنسية. ويقول أيضا، ليجيب عن التساؤل: ما هو التفكير؟ "التفلسف هو التساؤل خارج النظام."[82] وحتى نتعلم كيف نفكر خارج النظام، علينا أن نمحو وبصفة مطلقة ماهية الفكر التقليدية. أي، محو ما يشبه الحقيقة.[83] فما يدفعنا إلى التفكير هو كوننا لا نفكر بعد. ولكن كيف ذلك؟ إن ما يدفعنا إلى التفكير، هو رغبتنا في التفكير. والرغبة إرادة، وهي أيضا تعبير عن الفقد، حيث لا نرغب في الأشياء التي نملكها. نحن نرغب فقط في ما لا نملك. وكون الإنسان يرغب ويريد، هذا لا يعني أنه يملك المقدرة على فعل ذلك، لأن ما يدفعه إلى التفكير قد هرب وإنفلت من قبضة الإنسان، وأشاح بوجهه عنه منذ زمن بعيد.[84] يرى هيدغر أنه لا بد للفكر أن يوجه توجيها صائبا. فإذا أخطأ وجهته أخطأ طريقه. إن التاريخ وعلم الرياضيات، مثلها مثل العلوم الأخرى، غير قادرة على التفكير في ماهيتها الخاصة. هذه الأخيرة، هي التي يجب أن ننجح في التفكير فيها (الماهية) حتى نخرج من المتاهة التي أدخلنا فيها طريق العقل الأداتي الذي يجهل وجهته. نحن لم نجهز بعد ولسنا قادرين على التفكير، وما زلنا ندور في حلقة مفرغة".[85] يقول هيدغر: "نحن لم نفكر بعد، ولكننا في علاقة مع الذي يدفعنا إلى التفكير".[86] ولكن، إذا كنا لم نفكر بعد في الكينونة، فالكينونة هي اللامفكر فيه. وإذا لم يكن التفكير هو الرابط الذي يربطنا بالكينونة، فما طبيعة العلاقة التي تجمعنا؟

صحيح أن اليونان، هم أول من إهتم بسؤال الكينونة، إلا أنه لم يتم طرح السؤال كما ينبغي، فاهتموا بالأجوبة أكثر من إهتمامهم بالأسئلة. وإعتبروا الإنسان جوهر الكينونة، والسبب هو الإمتيازات التي يملكها. ولكن هناك فرق بين الكينونة الخاصة بالإنسان والكينونة ككينونة، إذ لا يمكن مقارنة الكينونة مع أي شيء آخر، لا يوجد إلا العدم الذي

82 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 25.
83 M. H, *Qu'appelle-t-on penser* ? p. 29
84 Ibid., p. 27.
85 Christophe Courtin, *Lire Heidegger aujourd'hui,* Golias, 2012, p. 25.
86 Ibid., p. 26.

يمكن أن يكون طرفها الآخر،[87] فجاءت الأجوبة متعددة ومختلفة، بل ومتناقضة للسؤال نفسه.

هناك من إعتبر العقل وحده قادرا على إدراك الكينونة، وكأنه جزء قائم بذاته خارج دائرة الكينونة. وهناك من ذهب إلى أن الإحساس والشعور بمعزل عن العقل هو الجزء المسؤول عن إدراك الكينونة. وتبنى فريق آخر منطق المصالحة بين ملكة الفهم وملكة الشعور، من أجل فهم سؤال الكينونة. بل لم يتوقف الأمر فقط على تحديد الجهة المسؤولة في عملية إدراك الكينونة. وإنما تضاربت الأجوبة أيضا بين منطقي العقل والعاطفة، في مشكلة الذاتية والموضوعية، وفي منطق الثنائيات أيضا. هذا المشكل الذي عمل هيدغر على التخلص منه.

يرى هيدغر في درسه **مدخل إلى الميتافيزيقا** أن كلمة "كينونة" هي كلمة عامة وفارغة وغير محددة. ولكننا نميز جيدا بين الكينونة واللاكينونة. كيف يمكن للكائن أن يكون في كل مرة ودائما كائنا، دون أن نفهم أو أن نكون قادرين على التمييز بين كينونته ولاكينونته؟ أي الكائن في كينونته So-sein وفي لاكينونته Anders-sein. نحن نستطيع أن نحكم متى تكون الكينونة ومتى لا تكون. قد يُلقي بنا هذا القول في تناقض تام، فمن جهة الكينونة غير محددة، ومن جهة أخرى فهمنا لها محدّد.

كلمة "كينونة" ليست كلمة فارغة من المعنى. كلمة "كينونة" هي كلمة متفرّدة في نوعها ومازالت تحتفظ بقوة تسميتها.[88] لا وجود لكلمات فارغة، هناك فقط كلمات منهكة أو مُسْتَهلكة usées. ولكن مازالت تحتفظ هذه الكلمات بمحتواها. تكمن الطريقة الوحيدة للخروج من هذا الفراغ في العودة إلى المعنى العام لكلمة "كينونة"، وهو إرتداد réplique لذلك الفراغ الموجود في المعنى المستهلك لكلمة "كينونة". ولهذا علينا أن نتتبع مسار الدراسة التاريخية واللغوية لهذه الكلمة. الكينونة في الميتافيزيقا الكلاسيكية هي L'ens in genere أي أنها تُعَبِّر عن نوع الكائن. وأعطى لنا هيدغر مثال الشجرة، فهي كائن ولكن يدخل في هذا النوع مجموعة كبيرة من الأجناس، أي أنه هناك تعدد في النوع الواحد. ولهذا

87 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 88
88 Ibid., p. 89

فإن الكينونة العامة التي تحدد الشجرة في مفهومها العام، ستغطي الكينونة الفردية الخاصة بالشجرة كشجرة. وبهذا يبقى التعريف العام غامضا وغير محدّد. ويبقى تعريف الشجرة متعدّدا وغير محدّد في ماهيته، ففي عالم النبات، هناك تعدّد وتنوّع. وبالتالي يخفي المفهوم العام للشجرة ما تَكُونُه الشجرة كشجرة. علينا أن نَعْرِف أولا ما تعنيه كلمة "شجرة" لكي نستطيع فيما بعد البحث في خصائصها.[89] كما أن الكائن في تمثله، لا يمكنه أن يرقى إلى ما هو أعلى، وحتى ننتصر على الفراغ الموجود في معنى كلمة "كينونة"، علينا أن نتجه إلى ما هو موجود تحت هذا العلو، فهو المنفذ الوحيد.

إذن كلمة "كينونة"، هي كلمة عامة générale متعلقة ب"النوع" Genre-genus. كان أرسطو يشك في هذه العبارة، وبقي يشك في أن الكائن المنفرد singulier يمكنه أن يُأْخَذ كمثال للكينونة، أرسطو كان يشك في أنماط الكينونة، فالكينونة كطبيعة مثلا تكون كأصل أو مصدر Pro-venance حيث يتكوّن هذا الأصل من الأجناس الخاصة بنوع الكينونة.

يرى هيدغر بأنه إذا كانت كلمة "كينونة" كلمة عامة، فإنه لا يمكن الإكتفاء بعمومية الكلمة، بل علينا الإنتقال من العام إلى الخاص le particulier، وذلك لمعرفة الخاصية الفريدة، ونوع هذا المسؤول عن تسميتها. مع أنّ إسم "كينونة" سيبقى بالنسبة إلينا بخارا. يقول هيدغر: "نحن نشك في أن ما أمسكنا به حتى الآن فيما يخص هذه الكلمة، هو فقط "حدث"، شيء ما ذاهب في طريقه".[90] هل الكينونة، هي فقط كلمة من بين الكلمات في اللغة، وفِعلٌ من بين الأفعال؟ أين تقيم الإمكانية الأساسية للكينونة؟

يتضمن قول الكائن كما هو، الفهم المسبق للكائن ككائن، يعني كينونته. فإن كنا لا نفهم معنى الكينونة، ففي هذه الحالة لا يمكن أن يكون هناك أي كلمة أو كلام أو متكلم، لأنه حتى نكون كينونة إنسانية، علينا أن نكون متكلّمين، فالكلام هو الذي يجعل الكينونة الإنسانية تَعِي أساسها الماهوي، حيث تستخرج الماهية من المفردات. الإنسان هو كائن متكلّم، وهنا تكمن خاصيته الأكثر قربا imminente وهي في الوقت نفسه سبب معاناته وبؤسه. خاصية الكلام هي التي تميزه عن الحجر والنبات والحيوان وحتى الإله، فلو لم تجد ماهية الإنسان

89 Ibid., p. 90
90 Ibid., p. 93

نفسها في قوة اللغة، لبقي الإنسان، هذا الكائن الذي هو نحن، مغلقا وغامضا بالنسبة لنا. يخبرنا إستقراء التاريخ أن الأشياء تحضر ك"حدث". هذا ما قُدّر في البداية. ولكن الكينونة ليست حدثا ضمن أحداث أخرى، بل هي كشيء يوضع في الرف الأعلى، الذي هو كينونتي. وإذا كانت كينونتي هي دائما كينونة تاريخانية، فهذا لن يبق شيئا غير محدّد بالنسبة لنا. ولأن فهم الكينونة ضروري، فإنه رغم ذلك يبقى غامضا ومغطى ومختبأ. وعلينا أن نوضحه ونزيح عنه غطاءه وننتزعه من إختبائه. ولكن لن يحدث هذا إلا إذا تساءلنا عن معنى الكينونة التي قُبِلَت في البداية على أنها "حدث".[91]

لإنقاذ الكينونة من النسيان، يقول هيدغر لا بد من تقويض تاريخ الميتافيزيقا. ولكن ما هي أداة التقويض؟ إنها الزمانية. ويعطيها هيدغر مكانة هامة في التقويض. هذه الزمانية التي نسيتها الميتافيزيقا هي الأفق الأنسب لفهم الكينونة.[92] ولكن، ما علاقة الزمان بالكينونة؟ إذا كان الزمان أفقا لفهم الكينونة، كيف يمكن دراسة الزمانية على ضوء الزمان؟ وكيف يمكن العبور بالزمان إلى موضع الإنارة؟

يرى هيدغر بأن الزمان والكينونة (زمانية الكينونة)، في علاقة تبادلية، فالإثنان معنيان بالأمر نفسه وهو الإحتجاب. إذا كان ثمة علاقة بينهما فهي علاقة عهد بالاحتجاب Ereignis،[93] فالزمان هو فسحة الكينونة Lichtung، وتعني الفسحة خفيفة الإنارة في نموذج الغابة الكثيفة شديدة الظلمة، التي تشبه ملعبا تشتغل فيه كل من الإضاءة والظلمة.[94] هنا، نحمل الزمان إلى موضع النور أو الإضاءة، ليكون أفقا لفهم الكينونة. ويُحمل إنطلاقا من الكينونة-هنا. تنتشر الكينونة كحضور في الدازين، ولكن لا وجود لحضور مكتمل. وبالتالي، لا وجود لإنفتاح مكتمل. وهذا ما يسميه هيدغر بـ « L'ouvertude »[95] وهو مصطلح جديد يختلف عن كلمة L'ouverture. الحجب أو الإنغلاق هو أساس الإنفتاح واللاحجب، والحضور هو أساس التكشف. هذا الأخير يحجب دائما جوهره. يتم التكشف

91 Ibid., p. 92
92 *Être et temps*, p. 397
93 محمد محجوب، **هيدغر ومشكل الميتافيزيقا**، دار الجنوب للنشر، تونس، ص. 123
94 المرجع نفسه، ص. 119
95 *Être et Temps*, p. 276

حسب مبدأ العودة إلى الأشياء ذاتها، وذلك بالعودة إلى الزمان الأصلي[96]، من خلال الدازين المتزمن في الزمان، حيث يتم البحث في أصل الزمان إنطلاقا من الزمان المتناهي في إنتمائه إلى الزمان الأصلي. الدازين هو إمتداد للزمان المحدد بلحظتي الولادة والموت. وهذا المفهوم للزمان يختلف عن المفهوم التقليدي للزمان كونه زمان حسابي، فالزمان في مفهومه التقليدي هو مجموعة من لحظات محسوبة ومتتابعة. ولكن الزمان الأصلي في نظر هيدغر ليس بالزمان الحسابي (المدة الزمنية)، إنه تجربة فريدة وخالصة Un ressenti.

تدخل خاصية الزمانية في تركيب البنية الوجودَوية للدازين،[97] وبالتالي فإن الزمانية هي الأساس، إنها عنصر أصيل في التكوين الأنطولوجي الوجودَوي existential للدازين. إلا أنه في الميتافيزيقا الكلاسيكية، يتحدد الكائن بحضوره Présence. ولكن الحضور الآني لا يلبث أن ينفلت، فلا يمكن القبض عليه في أي حال من الأحوال، الحضور هو لحظة مستقرة غير متوازنة على الإطلاق، أي إنها متغيرة باستمرار. الحضور الآني هو كينونة الزمان، وحتى لو قسمنا الزمان إلى ماض وحاضر ومستقبل، فإن الماضي قد ذهب وولى وأصبح عدما، والمستقبل لم يأت بعد، فهو في حكم العدم، والحاضر زئبقي، فكيف لنا أن نقبض على كينونة الزمان إذا كانت هي والعدم سواء؟ ولهذا، ينقل هيدغر الزمان من الحاضر إلى المستقبل، أي إلى ما هو قادم في الحضور Le devenir.[98] فتتحول الكينونة-هنا المحددة بالحضور الآني إلى الكينونة-هناك المفتوحة على إمكانيات مستقبلية.

يتم تعريف هيدغر للميتافيزيقا عن طريق سؤالها المركزي، وهو: لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ فوجود هذا السؤال يقتضي وجود متسائل داخل السؤال. والمتسائل، بلغة هيدغر، هو "الدازين" المتميز بنمط وجود فاهم لذاته، وقادر على إدراك ممكنات وجوده، لكونه كائنا متزمنا، ومقذوفا في العالم ومتورطا فيه. وربما هو أيضا قد ساهم في تورطه هذا، نتيجة عشقه وهوسه المغالى فيه لفهم الكينونة. فيستجيب لندائها طوعا. ويستضيفها في فكره وفي لغته، جاعلا من اللغة مأوى الكينونة ووضعها الأصلي. هذه الكينونة-هنا، محكوم عليها بالموت في أي لحظة، فالموت لحظة قادمة. إنها لحظة نهاية تجربة خالصة، يكون قد

96 Ibid., p.504
97 Ibid., p. 505
98 Martin Heidegger, *De l'essence de la vérité,* Gallimard, 2001, p. 254.

أكمل فيها الدازين وإستنفد دائرة إمكاناته. فالموت هو الإمكانية القصوى للا- إمكانية الدازين. ولكن، لماذا جعل هيدغر من الموت مفتاحا للدخول إلى الميتافيزيقا الأصلية؟ لماذا الموت وليست الحياة؟ الموت موجود، الموت هو ظاهرة الحياة، والحياة هي نمط كينونة تنتمي إليها الكينونة-في-العالم. نجد في الموت كظاهرة بيولوجية مشكلا أنطولوجيا، وهو: كيف نحدد ماهية الموت انطلاقا من ماهية الحياة؟ التأويل الوجودَوي للموت سابق للبيولوجيا ولأنطولوجيا الحياة. إذ لا يمكن أبدا الوصول إلى الدازين ككائن هنا-أمامنا Là devant.[99] لأن نمط كينونته الخاصة يحمل خاصية إمكانية-الكينونة. الدازين هو الزمانية، أي إنه محكوم بالموت. ونقول باللغة الألمانية الدازين Mensch أي الفاني، وهو الوضع الذي تنكشف فيه الكينونة، وتختفي، كحركة في الزمان. وهذه الحركة بين الكينونة والزمان، هي ما يسمى باللغة اليونانية كايروس καιρος[100] أي اللحظة الزمانية المناسبة التي تُقْتَنَص لِتكون. وهي لحظة القرار.[101]

كتب هيدغر، في **رسالة في النزعة الإنسية**، كلمة existence التي تعبر عن الوجود الإنساني بطريقة مختلفة ek-sistenz، لكي يبين أن الدازين، ليس هو من يحمل رؤية متعالية للعالم، ولكن الدازين هو ذلك المنفتح على العالم. بطريقة يكون فيها منفتحا، لأن العالم منفتح له. وهذا يضم أيضا "الوقائعية" الخاصة بالكائن الملقى، الذي يفهم اليوم على أنه من الكينونة نفسها، "الكينونة مصدره، نشأ عنها أو أتى منها".[102] العالم ليس إسقاطا للكينونة الإنسانية (projection du Dasein). ينفتح العالم قبل كل شيء كـ "إنارة" lichtung في علاقته التي يكون فيها الدازين موجودا. الكينونة هي ما يأتي في الحضور Anwesen-Ousia، أي ما يُعطى في الحضور أو ما يُعطى في الإنفتاح. فتَحضر الكينونة في إضاءة الظواهر الخاصة بالدازين. ما يأتي في الحضور ليس بكائن ولا بكائن مطلق ولا بمجموع الكائنات ولا بتصور، بل هو رؤية الكينونة. الكينونة والزمان يحددان بعضهما، فالكينونة ليست بكائن والزمان أيضا ليس كائنا. إذ لا يمكن أن نقول الكينونة موجودة أو الزمان

99 *Être et Temps*, p. 300

100 Kairos est un concept apparait chez les Grecs sous les traits d'un petit dieu ailé de l'opportunité qu'il faut saisir quand il passe, Kairos est un moment mesuré non pas par la montre mais par le ressenti, c'est une autre vision du temps, une vision immatérielle.

101 فرانسواز داستور، **هيدغر والزمان**، ص.25

102 Françoise Dastur, *Heidegger et la pensée à venir*, Editions, Vrin, 2011, pp. 34-35

موجود. ولكن نقول ثمة كينونة وثمة زمان. الزمان، هو الإنفتاح Das offene. ليس الزمان، من صُنْع الإنسان، كما أن الإنسان ليس من صُنْع الزمان، الزمان الأصلي هو ما يحقق الإنسان في كليته.

يرى هيدغر بأنه ربما يجب أن يكون للكينونة والزمان أساسا أكثر عمقا. ووجد أساسا لفظيا سماه إيريغنيس Ereignis. هذا الأخير، يحدد الكينونة والزمان في إحتوائهما وإمتلاكهما المشترك، فالعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية، حيث يكشفان في خضم هذه العلاقة عن الخاص فيهما. تتكشف الكينونة ككينونة في الحضور، ويتكشف الزمان كعلاقة رباعية. ولكن، هل يمكن أن نقول بأن الكينونة هي الإريغنيس؟ يحدد الإريغنيس الكينونة في أنماط مختلفة، ويعطي الإنسان الميزة الأكثر خصوصية، وهي الإنفتاح على الكينونة، أي الكينونة في الزمان الأصلي. ويقصد به الزمان كعلاقة رباعية.[103]

في كتابه *Beitrage* **إضافات إلى الفلسفة**، كتب مصطلح الإريغنيس وكان ذلك بين 1936-1938، وحتى هذا التاريخ، لم يتحدث هيدغر عن البداية بطريقة مختلفة، ولكن عن البداية مجددا، بمعنى إعادة Wiederholen. فطرح سؤال الكينونة ككينونة كما هي tel qu'il est، لأنه السؤال المحوري للفلسفة. وهذا التكرار في السؤال، لا يشمل مطلقا ما كان قد كُتب وسُجل على الطريق التي رسمها الأوائل، منذ أكثر من ألفي سنة. ولكن يبدو أن طرح هذا السؤال من جديد يتطلب تقويضا لتاريخ الميتافيزيقا، والتقويض لا يكون ممكنا إلا إذا توفرت شروطه. ولكن ما هي شروطه؟

لقد أكملت الميتافيزيقا التقليدية دورتها. فوصلت مع نيتشه إلى ذروتها، وإمتلائها. إنها اللحظة التاريخية، التي إستهلكت فيها الميتافيزيقا كل إمكانياتها. فتحددت الكينونة مع نيتشة بقوة الإرادة، ومع أرسطو بالإنرغيا ενεργεια ومع أفلاطون بالأيديا ιδεα وفي كل هذه التحديدات أخذت الكينونة وجهة الكائن، وأساسها هو الكائن. في **الكينونة والزمان**، يقترح هيدغر إزاحة الغطاء لتحرير الكينونة، والكشف عن الكينونة الأصلية المخبأة والمنسية تحت غطاء الكائن، والنهوض بسؤال الكينونة مجددا. الموضع الذي يطرح منه هيدغر سؤال

103 Revue philosophique de Louvain, « Être et temps et temps et être », 1973, 10 /pp. 247-270

الكينونة، في الفقرة الأولى من **الكينونة والزمان**، هو النسيان، الذي شكل قاعدة بُنيَ على أساسها تاريخ الكينونة إلى غاية هيدغر، فهو أول من إنتبه إلى مسألة النسيان من خلال تحديد الفرق الأونطولوجي.[104]

يريد هيدغر إفساح التجارب الأصلية الموجودة في أساس مصطلح "كينونة"، على النحو الذي ما زلنا نفهمها عليه اليوم. ولكن، هل هذا يعني الحفاظ على الفلسفة، فنبقيها حية، وذلك بإعادة ترسيخ الفلسفة في بدايتها الحقيقية؟ هل العود الأبدي هو قدرنا الذي لا مفر لنا منه إلا إليه؟[105] حتى نفهم الحقيقة علينا أن نعود إلى الخلف، إلى عين التاريخ. وكان أفلاطون قد وصف، في **السفسطائي** (a246)، سؤال الكينونة ب"معركة العمالقة" وكذلك موضوع كينونة الكائن « La gigantomakhia peritès ousias ».[106] مما يقتضي العودة إلى البداية الإغريقية. ولكن، ماذا نعني بضرورة العودة إلى البداية اليونانية، هل هي إعادة إنتاج الماضي؟

البداية اليونانية هي بداية التاريخ الأصلي.[107] ولكن هل يعني هذا أننا نعيش تاريخا غير أصلي؟ هل نعيش كينونة منسية، كينونة إقتلعت من جذورها؟ إن العودة إلى التاريخ الأصلي، هي عودة تتطلب وعيا بالنسيان Ληθη،[108] النسيان الذي وقع فيه كل من أفلاطون وأرسطو، فسؤال الكينونة كسؤال محوري للبحث الفلسفي واقع في النسيان. وهذا يعني ضرورة تحطيم التقليد وإستعادة العلاقة مع التجارب الأصلية originelles الموجودة في أساس مفهومنا للكينونة.[109]

الكينونة، في نهاية الفقرة السابعة من **الكينونة والزمان**، يقول هيدغر أنها متعالية* خالصة وعادية. الأنطولوجيا هي علم متعالي، وهذا ما سمح لهيدغر، من خلال درسه عام 1929 **ما هي الميتافيزيقا؟** على التأكيد، كما فعل ذلك كانط، بأن الميتافيزيقا هي طبيعة في

---

104 مارتن هيدغر، **معضلة الحقيقية**، ص.71.

105 العود الأبدي لفظ نيتشاوي ولكنه رمز قصد الإشارة به إلى فعل العودة والتكرار المستمر في التاريخ فالعود الأبدي خاصية تاريخية. الزمان رغم صيرورته وجريانه إلا أنه يتمتع بنوع من الثبات وكأنه محكوم بالعودة دائما إلى نقطة اللا زمن إلى العدم ليبدأ الإنسان مسار تاريخه من جديد. هل العودة هي قانون يتحكم في العالم في كليته؟

106 فرانسواز داستور، **هيدغر والزمان**، ص.33.

107 *Être et Temps* pp. 385-386

108Ληθη= fleuve de l'oubli, un des 5 fleuves de l'enfer. Dans le livre 10 de la République de Platon, voir le mythe d'Er de Pamphylie (614b-621d).

109 Ibid., p. 15, voir *Être et Temps*, p. 22 (voir §53, l'existence authentique p. 315)

الإنسان. هذا الأخير، خلق ليتجاوز ذاته. يفكر الدازين فوق الفيزيائي. ففي البنية الأنطية للدازين، ثمة كينونة سابقة أنطولوجيا. [110] فالإنسان ليس هو الحيوان العاقل، بل هو الحيوان اللامحدد بعد. تعريفه كحيوان عاقل، لم يحمله بعد إلى ماهيته التامة. وفي هذا المعنى يصف شاعر الشعراء هلدرلين في قصيدته التي تحمل عنوان **الذاكرة** *Mnémosyne* الإنسان بالوحش المحروم من المعنى.[111] ويصفه أيضا نيتشة بالحيوان الذي لم يتم تحديده بعد، والحيوان يتميز بجانبه المتوحش. وعندما يصف لنا نيتشة الإنسان الأخير يقول بأنه الإنسان المتعالي.[112] كذلك يرى هيدغرأن الإنسان هو قناع الكينونة. وهنا تظهر لنا جليا فجوة الميتافيزيقا المتمثلة في الفرق الأنطولوجي بين الكائن والكينونة، حيث فكرت الميتافيزيقا في المعنى التصوري لها. وهذا ما جعل هيدغر يتنبه للفرق بين الكينونة والكائن. لم تجعل الميتافيزيقا من الكينونة موضوعها لأنها كانت تتوجه في كل مرة نحو الكائن. ولكن فقط مع سؤال العدم، إستيقظ التساؤل الميتافيزيقي الخالص حول سؤال كينونة الكائن. إذ يمكن كشف ذلك الدَّيْن اللامفكر فيه بالعودة إلى البداية لأنه لا يمكن التفكير في كينونة الكائن، إلا عن طريق الفرق الأنطولوجي مع الكائن، كلا-كائن أي كعدم،[113] حيث ينتمي العدم إلى الكينونة. [114] يريد هيدغر فحص البداية لتهيئة ما هو قادم مستقبلا.

تتحدد الميتافيزيقا الحقيقية، أو الأصلية، بمعنى تحديد التساؤل، بعد أن تجد شروط إمكانات وجود الإنسان نفسه وعلاقته مع الكائن، التي لا يمكنها أن تكون إلا على قاعدة الإنفتاح المسبق للعدم. بمعنى كينونة هذا الكائن، لأنه عندما نريد فهم معنى الكينونة، تقابلنا ظاهرة الزمان كمشكل أنطولوجي. الزمان هو الأفق لفهم معنى الكينونة.[115] ولكن، كيف يمكن رؤية الكينونة في خاصيتها الزمانية؟

110 *Être et Temps*, p. 43
111 M. H, *Qu'appelle-t-on penser* ? p. 100
112 Ibid., p. 61
113 Françoise Dastur, *Heidegger et la pensée à venir*, p. 208.
114 M, H, *Introduction à la métaphysique*, p. 94
115 *Être et Temps*, pp. 43-44

إذا كانت الميتافيزيقا هي الدازين التاريخاني،[116] فإن كينونة هذا الأخير مرهونة بإكمال الفرق الأنطولوجي، بمعنى أن الميتافيزيقا لن تصبح مشروعا، إلا إذا إكتملت بوثبة يخرج عن طريقها الدازين من "السقوط *Verfellenheit*، فينتقل من التفكير في الكائن ككائن إلى التفكير في الكينونة ككينونة. وقبل أن نرى كيف حطم هيدغر هذه الميتافيزيقا، ليطرح سؤال الكينونة ويخرجه إلى النور من جديد، علينا أن نستحضر المقاربة الثالثة، التي تميزت عن الميتافيزيقا التقليدية منذ أفلاطون وأرسطو، وهي المقاربة الأنطولوجية.

4- **المقاربة الأنطولوجية لهيدغر**

موضوع الأنطلوجيا الهيدغيرية هو "العدم" Nichts. يكشف العدم مجموع الكائنات، والإنسان كائن. إذن، العدم يكشف الإنسان. العدم هو شرط إنكشاف الدازين. ما هو غير كائن هو لغز كبير Le grand mystère ويبقى أن نمسك به وما به. وهذا ما يسميه هيدغر بـ"ثمة" Es gibt. علينا أن نفهم معنى الكينونة، والقلق من العدم هو الذي يكشف الكائن، والعدم بدوره شرط تجلي الكائن، وبما أن مهمة العدم هي الكشف، علينا إذن طرح السؤال التالي: ما هو العدم؟ العدم ليس هو السلب وليس الكائن، العدم لا يناقض الكائن، بل يكشفه. فإذا كان العدم لا يأخذ مكان الكائن ولا يناقضه، فإنه يفضح وجوده أو يخبر عن وجوده في الكائن ومعه. العدم لا يعدم الكائن! ولكن العدم ينعدم Nichten! معضلة أو مفارقة؟ ولكن كيف يمكن حلها؟ [117]

---

116 M, H, *Qu'est-ce- que la métaphysique* ? p. 39

التعالي هو تجاوز الحدود وهذا الفن يخص الفيلسوف الميتافيزيقي بإمتياز. كما قال عنه ديكارت في كتابه **مقالة في المنهج :**"هو أن نرفع الروح فوق ما هو حسي". ولكن حتى نرتفع ينبغي أن لا ننسى الأرض التي إنطلقنا منها نحو الأعلى. وهنا يتدخل كانط في كتابه **نقد العقل المحض**، ويثبت بأن التعالي هو شرط المعرفة التجريبية، حيث يظهر التحري في البعد الترنسندنتالي، فلا نتجاوز العالم الحسي بل يكون التجاوز موجها نحوه. أما بالنسبة لهيدغر، فيظهر معنى هذه الكلمة في **الكينونة والزمان**، في شرحه للأنطلوجيا الأساسية وأيضا في درسه 1927 **المشاكل الأساسية للفينومينولوجيا** وهو عبارة عن مقارنة مع نقد كانط. بعد أن وضح لنا هيدغر الفرق بين الكائن والكينونة، فهم الكينونة هو فهم بعيد عن مجال فهم الكائن. أي أنه علينا أن نبتعد عن مجال الكائن، فنتجاوزه لفهم معنى الكينونة. ولهذا يمكن أن نسمي الأنطلوجيا الأساسية بالعلم الترنسندنتالي لأنه علم الكينونة، كعلم نقدي دون أن يكون لمصطلح "التعالي" نفس المعنى الذي تبناه كانط، فالتعالي بالنسبة لهيدغر ليس تعالي "الأنا" بل تعالي "الكينونة". وهذا ما نجده في آخر الفقرة السابعة من **الكينونة والزمان** حيث يقول: " الكينونة هي التعالي الخالص والبسيط، إن تعالي كينونة الدازين هي التي تملك في ذاتها إمكانية وضرورة التفرد الأكثر مطلقية". ويريد هيدغر بهذا أن يجعل من الحقيقة الفينومينولوجية إنفتاحا للكينونة وهي حقيقة متعالية، فالتعالي هو العلاقة التي تربط الكائن بالكينونة حيث لا ينبغي أن نفهم التعالي عموديا أو تصاعديا بل علينا فهمه أفقيا وهذا ما نجده في عمق الصفة الإغريقية لكلمة existenz. يقول هيدغر في كتاب **رسالة في النزعة الإنسية "** الكينونة المتعالية هي الكينونة **التي** تتجاوز الكائن" ubersteigt.

117 M. H, *Qu'est-ce que la métaphysique* ? p. 64

* L'ordre ontologique, 1- le néant dont l'essence est de néantir

2- le néantir produit le: Ne…pas (Nicht)

3- le « Ne….pas» produit la négation (Verneinung)

ينتج العدم السلب. مثال: ينتج الموت لا كينونة الدازين، حيث يقتضي وجود الدازين غياب الموت، أي أنه يعدم ويلغي وجود الموت. إذا وجد الموت غاب الدازين، فالموت هو الإمكانية القصوى للاإمكانية الدازين. ممارسة السلب لا تكون إلا إذا كان هناك إنعدام وعدم. إمكانية الدازين هي لاإمكانية الموت وإمكانية الموت هي لاإمكانية الدازين، وهذا يعني أن لاإمكانية الدازين هي أيضا إمكانية ضمن إمكانيات كثيرة. هل يمكن وجود علاقة بين إمكانية كينونة الكائن ولاإمكانية كينونته؟ ماذا يقول لنا هيدغر في هذا الصدد؟

إذا كان العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس عند ديكارت، أي الملكة التي يشترك فيها الجميع، وأن الفكر هو علة وجود الكائن الإنساني، فإن الكائنية، هي الخاصية التي يشترك فيها جميع الكائنات. يعتبر هيدغر الفهم حالة أو نمطا من أنماط الدازين، فالكينونة سابقة لأي شيء آخر، وما يحدد الإنسان إنما هو الزمان، وليس العقل. فالشيء الثابت في الإنسان هو التغيير، فكونه كائنا، هو كائن في لحظة زمنية معينة. وهذا لا يعني أنه بقي أو سيبقى كما كان، دون أن يطرأ عليه أي تغير. وهنا، نتذكر قول الفيلسوف غوته Goethe حيث يقول: "فوق كل القمم العالية توجد الراحة".[118] هل هذا يعني أن الحركة هي الراحة؟ والكينونة هي نفسها العدم؟ هل يعقل أن يكون الشيء ومقابله سيان؟ ولكن لا يتوقف عن الحركة إلا المتحرك، ولا يصمت إلا المتكلم، ولن يصبح عدما منسيا إلا من كان حاضرا في مكان ما. الراحة ليست نقيض الحركة، وإنما هي الحركة ذاتها، ولكن في حالة توقف. والعدم هو إمكانية من إمكانيات الدازين وليس نقيضه، ولكن هل الممكن كائن؟ فالممكن غير موجود واقعيا بعد، ولكن عدم حصوله الواقعي لا يعني لا شيء، وهكذا يكون الممكن موجودا في أفق ما هو قادم، ولكن فقط نمط وجوده يختلف عن نمط الوجود الواقعي. الكائن موجود والممكن أيضا موجود والوجود الواقعي للكائن يمنحه ثراء الممكن، كما أن الوجود الواقعي له علاقة بالوجود الإنساني.. وهكذا، فإن الممكن هو الذي يحدد الوجود الواقعي، وليس العكس؟

118 M. H, *Les concepts fondamentaux*, Trad. Pascal David, Edition Gallimard, 1985, P.50.

ما دام الوجود الإنساني، هو وجود تُغَطيه سحابة من الفوضى واللانظام، علينا إذن أن ننظمه، لا أن نتحكم فيه.[119] وعندما نتحدث عن الواقع، لا نقصد هنا الكائن في كليته، وإنما نقصد الكائن الحيني المكاني.

يُعَرّف هيدغر الكينونة الإنسانية بالآنية أو بالزمانية. إنها كينونة-في-العالم، محكوم عليها بالموت في أية لحظة. الدازين هو الكائن البشري، المتجه نحو الموت بحكم وضعه الأنطولوجي المتزمن. ولكن، لماذا يُعَرّف هيدغر الإنسان بالدازين، ويجعل من الزمان شرطا أساسيا لوجوده-في-العالم، ولا يقبل بالتعريف القائل بأنه "حيوان عاقل"؟ إذا كان العقل هو الملكة التي يشترك فيها كل البشر، فإن الموت هو أيضا مصير كل إنسان. صحيح أن العقل موزع بالتساوي بين البشر، ولكن، ما الذي يثبت أن الجميع قادرون على التفكير؟ الإنسان يريد ويرغب في التفكير. ولكن، ربما لا يقدر على ذلك. ثم هذا الذي نفكر نحن فيه، هل يرغب بدوره فينا، وبنفس القدر الذي نرغب فيه؟ هل يشدنا إليه، هذا الذي نرغب في التفكير فيه، بما أنه موضوع تفكيرنا؟

كي نجيب عن التساؤل الميتافيزيقي: لماذا ثمة كائن وليس العدم؟ نقول: هناك كائن وليس العدم، ذلك لأن العدم هو الذي يجعل من التكشف ممكنا، ولأن المتسائل نفسه متقبض عليه داخل العدم، الذي يطلق عليه هيدغر لفظ دازين. الدازين موجود في العدم والعدم هو جوهر كينونتة، مما يجعل وجود علاقة بين الكائن والعدم ممكنة. وهي علاقة نفور وإنجذاب. العدم نقطة تشترك فيها كل الكائنات. العدم هو جوهر الكينونة ذاتها. إذن في كينونة الكائن يحدث إنعدام للعدم، أي ينعدم العدم في كينونة الكائن.[120]

طبيعة العلاقة الموجودة بين العدم والكينونة هي علاقة نفور. فكلما تراجعت إنعدامية العدم إنعدم الكائن، وكلما زادت إنعدامية العدم زادت كينونة الكائن، أي كلما إنجذب الكائن إلى العدم إنعدم، وكلما نفر منه إستقرت كينونته في العالم.

119 Ibid., p. 42

120 M. H, *Qu'est- ce- que la métaphysique* ? p. 22 « C'est dans l'être de l'étant que se produit le néantir du néant. »

لم يطرح سؤال الكينونة والعدم بالشكل الصحيح، وإنما أخفى هذا السؤال، إشكالية العلاقة الموجودة بين العدم والسلب. يبقى العدم مناقضا للكائن بمعناه السلبي، ولكن عندما نضيف التساؤل الميتافيزيقي حول كينونة الكائن، لا يبقى العدم مناقضا للكائن، ولكنه سيتكشف كمكون أساسي للكائن وهو جوهر كينونته. العدم مكون أساسي للكائن. وبهذا الشكل، سنغير من العبارة القائلة: "لا وجود لشيء من لا شيء" لتصبح كالآتي:"كل كائن ككائن يحدث من عدم".[121]

هل الإله هو في كليته عدم؟ لا يقلل هيدغر من شأن العدم، بل على العكس. إنّ تعذر تسميته يعطيه طابع أو خاصية النداء. واختزال هذا الإله/ العدم، في رموز اللغة، هو دليل على أن الكائن الإنساني عاجز على الوصول إليه. إن طريقة هيدغر في التفكير في اللامفكر فيه هي طريقة مميزة لأنه إذا كان هناك إله فهو إله الفكر وأداته اللغة، فالكلمات تكشف عن وجود العدم دون أن تكون قادرة على تسميته أو تحديده تحديدا سيميائيا. ولهذا يقول هيدغر بأن اللغة هي مسكن الكينونة، والزمان هو الأفق الذي يمنحنا إمكانية إدراكها. وإذا تساءلنا للحظة: من يهب الزمان؟ يجيبنا هيدغر قائلا: هو ذلك الذي لا يغيب أبدا، ولا يحضر مطلقا. ذلك الحاضر الغائب. مع هيدغر، سنخوض تجربة جديدة، تجربة لم تتطرق إليها الميتافيزيقا من قبل، وسنتعلم معه فن جمالية المتقابلات، وهو فن قديم نجده في الشذرة 111 لهرقليطس يقول فيها: "المرض يمنح صحة البدن". وهكذا، فالعلاقة التي تجمع الصحة والمرض ليست علاقة تناقض، بل تضاد. ظاهرة التقابل تعطي إمكانية ولادة الصحة من المرض، والأمر سيان بالنسبة إلى التعب والراحة، والجوع والشبع، فالأمر متعلق بعملية التحول التي تجعل الضد يمر من خلال ضده. إن فن جمال المتقابلات هو فن لم نعتد عليه، وهو تجربة فكرية جديدة، تطرح إمكانية وجود علاقة بين الأضداد. وفي هذا المقام تضعنا العلاقة الحميمة بين الكينونة والعدم-هي الأخرى-أمام جمالية أخرى، لنتذكر قول كانط: أليست الكينونة مثلها مثل

121 Ibid., p. 23 « Ex nihilo omni ens qua ens fit. », « Du néant se fait tout étant en tant qu'étant. », c'est l'inaccessibilité de la raison à la saisie du néant.

العدم؟ ونتذكر أيضا قول هيجل Hegel: الكينونة تساوي العدم، فحقيقتهما واحدة وهي الحركة، فالعدم هو **المصير**[122] le devenir.

بالنسبة إلى هيجل، الكينونة سائرة في العدم، والعدم بدوره سائر في الكينونة. هما شيئان متساويان. إن هذا القول يثير الدهشة. إنها مُفَارَقَة وحَيْرَة، مما يجعلنا نتوقع أن سؤال الكينونة سيقودنا إلى الحدود الأكثر والأشد سوادا وظلمة، فإذا كان العدم هو أصل الكائنات جميعا، هنا يكشف لنا العدم غرابة الكائن L'étrangeté، فَتُوقِظ الدهشة الكائن، بمعنى تكشف الدهشة العدم، فيطرح الكائن الإنساني السؤال "لماذا"؟ يضعنا سؤال العدم نحن أيضا في موضع التساؤل. وهنا، سنرجع إلى الوراء قليلا، ونسلك نفس الطريق الذي سلكه هيدغر، ليعيد تأسيس الميتافيزيقا، حيث بدأ هيدغر من نقطة البداية وهي بداية تقتضي العودة إلى الإغريق الأوائل، لنرى كيف تحول العدم مع هيدغر، من نقيض للكينونة في الميتافيزيقا الكلاسيكية إلى مكون أساسي لها؟ وكيف عرف الإغريق الأوائل العدم؟ هل العدم هو لاكائن (ne ens)؟

العدم هو تصور مناقض للشيء contradictoire في الميتافيزيقا الكلاسيكية، العدم كتصور أو كمفهوم، يحمل الأطروحة المناقضة antithétique للكائن الحقيقي، أي كسلبية للكائن. فالعدم يسلب الكائن وجوده. العدم هو لاكائن في الميتافيزيقا الكلاسيكية. إلا أن الأمر يختلف تماما مع هيدغر، فالعدم ليس تصورا يفيد التناقض.

1- لا يمكننا أن نصمم العدم، أو أن نعرفه. يكشف العدم عن نفسه من خلال القلق وليس من خلال القول أو المنطق. يتكشف العدم عن طريق النبرة العاطفية la tonalité affective .

2- العدم هو من ينتج السلب وليس العكس.

3- يشكل العدم وحدة مع الكائن.

122 M. H, *Kant et le problème de la métaphysique*, p.282

4- ينعدم العدم ويكشف الكائن في كينونته الخالصة، le néant néantit. يضع العدم الدازين أمام كينونته، فيدرك وجوده في العدم خارج الكائن. الدازين يعود في كل مرة إلى الكائن. إن هذا النفور من العدم هو الذي يعبر عنه هيدغر بالسقوط اليومي للدازين.[123] ولكن ماذا يقصد هيدغر بـقوله العدم ينعدم؟

Das Nichts باللغة الألمانية، هو اللفظ الذي يقابل العدم، ويعني كشف الكائن كما هو. فالعدم يكشفه في غرابته الجذرية (sa radicale étrangeté). كشف غرابة الكائن ليس حدثا عاديا، ولكن من أين جاء فعل الإرجاع هذا؟ إنه عودة النفور إلى الكائن العائم في كليته. حدث الكشف هو حدث عظيم، يخلع الستار الذي يحجب الكائن في غرابته الجذرية، حتى يختفي، باعتباره شيئا آخر، مقارنة باللاشيء (العدم).[124]

هل نفهم من هذا أن الموت لا يسلب كينونة الدازين؟ هيدغر يجيبنا بنعم، لأن الموت هو مكوّن أساسي لبنية الدازين. وبهذا، فإن العدم موجود في قلب الكينونة، لا يناقض الكينونة- هنا، ولكن يتكشف كمُكَوّن أساسي لها، فالعدم هو طريقة ثانية يريد هيدغر ان يقول من خلالها التناهي الكينونة ككينونة La finitude même de l’ Être en tant que tel. [125]

تقودنا فكرة العدم إلى البحث في المنهج وفي نوع الخطاب التي يمكنه أن يملك القدرة على الخوض في ظاهرة جديدة لم نعرفها سابقا. لقد ركزت الأنطلوجيا التقليدية على الكائن كحضور ونسيت الكينونة التي تعد في جوهرها عدما. ومن أجل هذا أراد هيدغر في بحثه عن الكينونة أن يضعها تحت الإنارة وأن يعالجها معالجة فينومينولوجية، ولكن كيف يمكن أن نحضر الكينونة بكل مفارقاتها إلى منطقة الإضاءة؟

123 M. H, *Qu’-est-ce que la métaphysique* ? p. 64
124 Ibid., p. 64
125 Jean- Marie Vaysse, *Le vocabulaire de Heidegger*, Ellipses, 2000, p.38

الفصل الثاني

حقيقة الكينونة

وعلاقتها بالدازين

المبحث الأول: من الأنطلوجيا إلى الفينومينولوجيا

1- الفينومينولوجيا هي منهج الأنطلو

لقد تفنن هيدغر وأبدع في التمييز بين الأنطولوجيا والأنطوثيولوجيا، وبين الأنطولوجيا العامة والأنطولوجيا الأساسية، وبين الأنطولوجيا والعلم. وعليه تحولت الكينونة، وفقا لمنهج هيدغر الفينومينولوجي، من مفهوم إلى ظاهرة تتطلب البحث والتحقيق. الأنطولوجيا غير ممكنة إلا كفينومينولوجيا، وهدف الأنطولوجيا الأساسية هو تحديد إختبارات الدازين، لإعادة تنشيط سؤال معنى الكينونة من جديد. يقول هيدغر أنّ هذا السؤال لا يمكن الإجابة عنه، هو سؤال نجده في كل مكان: "مفهوم الكينونة، مفهوم عام وواسع وفارغ. مفهوم غير قابل للتعريف، بل لا ينبغي أن نحدده، فالكينونة هي الأكثر غموضا (Le plus obscure).[126] هل هذا يعني أنه لا ينبغي علينا طرح هذا السؤال؟ هل هو سؤال مغالط؟

أعاد ليبنتز، بعد زيارته لسبينوزا، التفكير في مبدأ العلة القائل أن لا وجود لشيء دون علة، متسائلا: هل العلة كافية لتماسك الموضوع؟ أي، هل هي كافية كليا بوصفها كذلك؟ [127] وهو ما يسميه ليبنتز بمبدأ العلة الكافية أو السبب الكافي. في العصر الحديث تَمّ انتزاع كينونة الأشياء، هذا العصر الذي نعيشه، لم يصل إلى مرحلة نضجه بعد، لكونه يتشكل بطريقة تعليل كل ما هو كائن. ولكن مهمة الفيلسوف لا تكمن في البحث عن العلة، البحث عن العلة هي مهمة العالم. الفيلسوف هو من يبحث عن الكينونة. تتهرب الفلسفة القائمة على بداهة المبادئ الأولى، من الإجابة عن أسئلة الفكر الصارمة. ولكن هذا لا يمنع من كون هذا المبدأ كمبدأ، هو أيضا يستدعي العلة. لقد أعطانا هيدغر فكرة في غاية الأهمية عن طابع المبدأ كنداء.

126 Ibid., p. 27.

127 مرتن هيدغر، **مبدأ العلة**، ترجمة نظير جاهل، ص. 38-39

مع مثال الوردة، سننتبه في قول الشاعر الصوفي، أونجلوس سليسيوس[128](Angelus Silesius) إلى أن الكينونة ككينونة لا يمكن البرهنة عليها. هي كينونة وفقط. لا يمكن إيجاد علة منطقية لها. فالوردة هي من دون أن نسأل لماذا، هي موجودة وكفى.

"الوردة موجودة دون أن نسأل لماذا؟ تزهر لأنها تزهر

لا تقلق بشأن ذاتها ولا ترغب في أن يراها أحد".[129]

الوردة، إن كنا قد تساءلنا عن كينونتها أو غفلنا عن طرح السؤال، هي موجودة، ولكن هذا لا يعني أنه لا سبب وراء وجودها. وكذلك العالم، هو موجود لأنه موجود، ولا ينبغي أن نسأل لماذا، لأنه كلما زاد إصرار الكائن-هنا على كشف ما وراء الحجب (كشف الغموض)، زاد إصرار اللغز في التمسك بستاره.

يرى هيدغر بأن الاستشهاد بقول هذا الشاعر الصوفي، قد يلقى معارضة، فيقول أحدهم إنه شعر صوفي وإنه لا علاقة للشعر الصوفي بالفكر، وهذا صحيح. لكن لكل من الشعر والصوفية علاقة بما هو قبل الفكر. إذا عدنا إلى مثال الوردة.. الوردة هي رمز لكل تفتح. بالرغم من أن العلة هنا قد تخلت عن سطوتها، إلا أنه في المقابل، فإن عالم النبات تحكمه شروط، ولا يمكن التغاضي عنها، ولكننا لسنا في حاجة إلى طرح السؤال: لماذا تتفتح الوردة وتنمو؟ فالخبرة اليومية تدعم الحاجة أو الضرورة للتفتح والنمو. هذا يعني أنه يمكن الاستغناء عن السؤال لماذا، ولكنها ليست دون "لِأَنَّ". تتفتح الوردة لأنها تتفتح، وهذا دليل على استحالة معرفة الماهيات. نحن نعرف فقط الظواهر. إن الدهشة التي يثيرها الوضوح، تجعلنا نتساءل فيما إذا كان مثال الوردة ينطبق على كل الكائنات، أي أن الوردة، مثلها مثل الكينونة، هي لا تقلق بشأن ذاتها، ولا ترغب في أن يراها أحد. هي لا تفكر بشأن ذاتها. إلا

128 Angelus Silesius est un poète mystique allemand (1624-1677), inspiré par les écris de Jakob Bohme
أونجلوس سيليسيوس هو شاعر صوفي ودكتور في الفلسفة والطب وذكر لايبنتز هذا الطبيب في كتاباته ورسائله حيث يقول في إحدى رسائله إلى باكسيوس سنة 1965 " نصادف عند الصوفيين بعض المقاطع الشديدة الفطنة والذكاء وهي مليئة بالاستعارات الصعبة التي تكاد تميل إلى الإلحاد ويكتب هيجل حول الجماليات قائلا هذه الوحدة الحلولية التي ظهرت الآن بوضوح للذات وهي الآن تشعر بذاتها في هذا التوحد مع الله وتشعر بالله كحضور في الوعي الذاتي فما يميز الصوفية هو أنها تملك رؤية عميقة وشعور راقي وقوة في اللغة

129 Martin Heidegger, *Le principe de raison*, Gallimard 1962, p. 104 « La rose est sans pourquoi, elle fleurit parce qu'elle fleurit, n'a souci d'elle-même, ne désire être vue. »

أن الإنسان هو على غرار الوردة، لا يكون الإنسان إنسانا إلا بقدر إهتمامه بالعالم. الوردة لا تبالي بنفسها، بينما الإنسان لا يمكنه أن يبقى دون أن يشكل في كل مرة الشروط الضرورية لكينونته، وكيفية وجود إمكانيات كينونته الجوهرية.

ما تقوله هذه الحكمة هو أن نمط وجود الوردة، يختلف عن نمط وجود الإنسان. ولكن، ليس هذا فحسب، ما يريد هيدغر قوله، هو أن الإنسان في باطن وجوده المتحجب، ليس سوى ما يجعله شبيها بالوردة، أي أن كينونة الإنسان هي أيضا من دون لماذا، فمبدأ العلة لا يصدق لا على الوردة ولا على الإنسان. ولكن هذا القول لا ينفي العلة. لأن السبب الذي يحدد كينونة الإنسان هو نفسه السبب المنبثق من كينونة السبب. ولهذا فإن هذه العلل سحيقة لا غور لها[130] .Un fond abyssal

إن الطريقة التي عالج بها هيدغر سؤال الكينونة، من خلال مثال الوردة، هي الطريقة الفينومينولوجية.[131] هيدغر، هو مفكر فينومينولوجي إعتمد طريقة الوصف في تحليله الأنطلوجي. ما قدمه لنا في طريق بحثه الأنطلوجي، هو تقرير لحالات الكينونة التاريخانية. لكن فينومينولوجيا هيدغر تختلف عن الفينومينولوجيا التي أسسها أستاذه. ظهر المنهج الفينومينولوجي في السنوات الأولى من القرن XX. وأراد مؤسسه إيدمند هسرل تطبيق هذا المنهج ليجعل من الفلسفة علما صارما، فعَمَل الفينومينولوجي، هو المعالجة والتحليل développement et analyse وذلك بالعودة إلى الأشياء ذاتها (Zu den sacgen selbst) إلا أن أصدقاء جامعة غوتينغان Gottengen، كانوا قد إتجهوا إلى الفينومينولوجيا الواقعية وهو عكس هسرل الذي إهتم بالمنعطف الترنسندنتالي.[132]

يقول هيدغر: معنى الفينومينولوجيا أولا وقبل كل شيء، هو تصور للمنهج. إنها لا تصف التركيب الواقعي لموضوع البحث الفلسفي، بل الكيفية التي يتبدى عليها... وهذا اللفظ يعبر عن شعار أستاذه هسرل، ويمكن صياغته هكذا، "الذهاب إلى الأشياء نفسها".[133] العودة

130 M. H, *Le principe de raison*, p. 106

131 *Être et Temps*, p. 53

132 Encyclopédie de la philosophie d'aujourd'hui, La pochetèque garzenti, 2002.

* الفينومينولوجيا هي كلمة مأخوذة من المعجم الفلسفي الغربي فالظاهرة هي لفظ مشتق من اللاتينية phenomenon في مقابل nomenon أي الظاهر في مقابل الباطن.

133 هيدغر، **ما الفلسفة؟** ترجمة، عبد الرحمان بدوي، ترجمة للفقرة 7 **للكينونة والزمان**، ص. 9

إلى الأشياء ذاتها، هي فكرة لها علاقة بالتجربة الحية. يريد هيدغر رؤية الأنطلوجيا بعين الفينومينولوجيا، ولكن كيف يمكن أن يقف الكائن مع الكينونة؟ أي كيف يمكن أن يقف الكائن مع العدم؟ يقول جون بوفري Jean Beaufret أن فكر هيدغر يقف بين كينونة وكائن. كما أن سؤال ليبنتز هو الذي جعله يفكر أو يُعَرِّف الكينونة بالعدم das Nichts.[134]

الفينومينولوجيا، بالمعنى الهيدغري، هي تكوين منهجي، شروطه دقيقة، بحيث تشكل مبادئ هذا المنهج علما يَصِف الظاهرة كما هي، دون البحث في القوانين أو الأسباب الخفية. تنحدر كلمة فينومين من الكلمة الإغريقية "فاينومينون"، φαινομενον والتي تنحدر هي الأخرى من الفعل "فاينيسفاي"، φαινεσθαι بمعنى "يتجلى"، أي أن حضوره يكون من ذاته. التجلي ليس تمثلا بطريقة أو بأخرى. وهكذا يتعلق الفينومين بنمط الوصول والإمساك. أي كيفية الإمساك بالظاهرة كما هي. تحدد علوم الظواهر الفيزيائية وعلوم الطبيعة الكائن كما يظهر أثناء التجربة.[135]

الفينومينولوجيا هي منهج الأنطولوجيا، والطريقة التي يعالج بها هيدغر سؤال الكينونة هي الطريقة الفينومينولوجية، الأمر متعلق بما يتكشف، ولكنه لا يظهر ويستمر في الإنسحاب بتملكه لما يظهر، وإعطائه معنى وأساسا (كينونة الكائن).

يقول هيدغر عن أستاذه هسرل، بأنه هو من فتح عينيه على سؤال الكينونة، وقد كانت له ثلاث إكتشافات عظيمة، كان لها أثر وصدى عميق في الفكر الهيدغري، وهي القصدية والحدس المقولاتي، والمعنى الأصلي للقبلية. ولكن أعاد هيدغر تأويل الأول، أي القصدية، من خلال إنفتاح الدازين ككائن في العالم، والثاني، أي الحدس المقولاتي، من خلال فينومين الكينونة، والثالث، أي المعنى الأصلي للقبلية في أفق الزمانية، وذلك بنزع الوعي للكينونة. ولكن ما هي خطوات هذا المنهج؟ حدد هيدغر ثلاث خطوات أساسية للفينومينولوجيا، وهي:

أ- وضع العالم بين قوسينن، ويطلق عليه اسم الإختزال الفينومينولوجي Epokhé*
يُصرّ هيدغر على رفض الذاتية وكذلك وضع كل الأحكام المسبقة بين قوسين.

134 Jean Michel Besnier, *Histoire de la philosophie moderne et contemporaine,* Le collège de philosophie, Grasset, 1993, p. 491
135 Martin Heidegger, *Ontologie herméneutique de la factivité,* p. 102

الإختزال الفينومينولوجي هو أول خطوة في المنهج، بمعنى إعادة النظر في كل الأشياء، وفي علاقتها الشمولية (الكلية) في العالم المحكوم بالزمان. ففكرة الوحدة والعلاقة الشمولية هي فكرة أساسية. وهي في غاية الأهمية، مع وضع أساس جديد أو إنطلاقة جديدة، ورفض كل التحليلات السابقة. ولكن، علينا أن نفترض أن الحقيقة موجودة ومن ثمة نعيد بناءها.

ب- التقويض (Destruction) وهو تحطيم المفاهيم التقليدية الموروثة، وتقتضي هذه الخطوة العودة إلى الأصول الأولى. هذه العودة هي الفهم الأصيل لتاريخ الفلسفة وهي أيضا الإنتقال من النقد التاريخي إلى تقويض تاريخ الأنطولوجيا. ويعد مبدأ التقويض من المبادئ الأساسية في المنهج الفينومينولوجي.

ت- بعد إعادة النظر في كل المفاهيم ونقدها وتفكيكها، تأتي في الأخير عملية البناء.[136]

كيف عَرَّف هيدغر المنهج الفينومينولوجي في كتابه **الكينونة والزمان؟**

2- **تعريف الفينومينولوجيا يونانيا**

عاد هيدغر في تعريفه للفينومينولوجيا إلى اليونان، وبالخصوص إلى أرسطو. عاد إلى أصل الكلمة في القاموس اليوناني، بينما هسرل، كان تعريفه ميتافيزيقيا، على منحى ديكارت. يتكون مصطلح الفينومينولوجيا من كلمتين "فينومين" و"لوغوس"، وهما من أصل إغريقي. وهي تشبه، في شكلها التمثلي، كلمة ثيولوجيا وسوسيولوجيا وبيولوجيا... إلخ. وهي أسماء نترجمها على التوالي إلى: علم الإله وعلم الاجتماع وعلم الأحياء. فهل هذا يعني أن الفينومينولوجيا هي علم الظواهر؟

يقول هيدغر: "نرى أحيانا وضعية تمتد بوضوح أمام أعيننا، ومع ذلك، لا نبصرها في متن ما يقع تحت النظر. فليس الذي يرى كالذي يبصر ما يرى".[137] ويقول أيضا إننا ننظر كثيرا، ولكن قليلا ما نتفرس في الأشياء، أي حين يعجز الفكر عن الوصول إلى كنه الأشياء،

136 Jean Marie Vaysse, *Dictionnaire Heidegger*, p. 128.

*هي كلمة يونانية ترجمت إلى اللغة الفرنسية بـ Réduction phénoménologique

137 مارتن هيدغر، **مبدأ العلة**، ص. 53

يعجز عن رؤية ما يوجد أمامه. هل هذا يعني أن تفرس الفكر يلغي السمع والنظر العاديين؟ [138]

ما ذا يعني لفظ "فينومين"؟

هذه الكلمة، المنحدرة من أصل يوناني، تعني الظهور، se montrer أي ما يُظهر ذاته، أو ما يتكشف وما يتجلى ويخرج من الظلام إلى النور. وهكذا، نُعرّف كلمة "فينومين" بـ: "ما من ذاته يتجلى في ذاته"،[139] أي الظهور الذاتي. وهذا ما أطلق عليه اليونان بالكائن. الفينومين هو ما يظهر، ولكن هذا الكائن يظهر بطرق مختلفة؟ الأمر الذي يتطلب إيجاد طرق للوصول إليه. كما أن هذا الكائن قد يظهر على غير ما هو عليه. وهكذا، فإن كلمة (فينومين) تحمل معنيين: معنى ما يُظهر ذاته، والمعنى الثاني، هو أيضا ظهور، ولكنه ظهور غير ذاتي، ويحمل معنى المتظاهر. هذا يعني أنه قد يختلط على الدازين كشف حقيقة الظاهرة، إذا كان الفينومين يظهر في ثوب شيء آخر. كيف يمكن أن نميز بين مفهوم الفينومين كتجل، وبين الفينومين كظهور أو كتحول في الفينومين، أي كشيء يشبهه، وليس كشيء يظهر ذاته؟ فالمعنى الأول لكلمة فينومين، هو ما يتجلى من ذاته وفي ذاته، وهو معنى إيجابي وأصلي. أما المعنى الثاني، فهو ثانوي، ويحمل صفة السلب.

معنى لفظ "فينومين"، باللغة الألمانية، مختلف تماما عن المعنى باللغة اليونانية. كلمة Erscheinung[140] هي كلمة نجدها بقوة عند كانط، إذ هناك إمكانية ظهور الشيء على غير ما هو عليه. فالمرض مثلا، لا يظهر إلا عن طريق مؤشرات تدل على وجوده. هذا المؤشر ليس هو المرض، وإنما يدل على شيء لا يظهر. المرض يعلن عن وجوده عن طريق تكشف عوارضه. وهكذا، فإن كلمة "فينومين" تحمل معنى مزدوجا، أي ما يتجلى ويقصد به الشيء أو الكائن بتعبير هيدغر.[141] وإعلان الشيء عن نفسه من خلال شيء آخر (إشارة).

---

138 المرجع نفسه، ص. 53

139 نعيمة حاج عبد الرحمن، "الفينومينولوجيا ومسألة العودة إلى الإغريق"، في مجلة أيس، مارتن هيدغر، العدد3، أكتوبر2008، مارس 2009، ص.24.

140 *Être et Temps*, p. 55

141 Ibid., p. 58.

الفينومين، بالمعنى الأصلي (الحقيقي)، هو شفافية الشيء وظهوره في الخارج. هذا الشيء في ظهوره يحافظ على إنسحابه.[142]

إستنادا إلى التعريف الثاني، نستنتج أن الشيء لا يظهر، وإنما يعلن عن نفسه (وجوده)، من خلال ظهور شيء آخر. إنها إشارة لما لا يظهر.

الفينومين ليس ظهورا، وقد يكون ظهور الشيء في حد ذاته، فهل هذه مفارقة؟ لكي نوضح هذه المفارقة، سنقوم بتحليل هذه العبارة، وتقسيمها إلى جزأين:

أ- الفينومين ليس ظهورا: هذه العبارة الموسومة بالسلب، هي إنتصار للعدم. إنه إنتصار للإختباء. فالعدم هو اللامفكر فيه، وهو الذي تم نسيانه، العدم هو الفكرة المحورية في فكر هيدغر في إنتمائه المشترك إلى الكينونة، بإعتبارها لاكائنا. ولهذا، فالعدم هو موضوع البحث الفيومينولوجي. فكيف يمكن أن نرى العدم بأعين الفينومينولوجيا؟ البحث في الكينونة هو بحث في العدم، الذي يعد أفقا منفتحا على فهم الكينونة.

ب- الفينومين هو ظهور الشيء في حد ذاته: هذا التعريف نجده عند اليونانيين القبسقراطيين (الطبيعيين). الفينومين يحمل صفة كينونة الكائن، وهو الكائن في حد ذاته، إنها وحدة تجعل من الكائن مرتبطا بالكينونة، ولا مجال لفصل الواحدة عن الأخرى.

ماذا يعني اللوغوس؟

اللوغوس Logos، هو القول، وهو معنى يوناني قديم، ويحمل أيضا معنى التحليل. عاد هيدغر إلى أرسطو في تعريفه للفظ "لوغوس" فينومينولوجيا، ونجده في كتاب **الميتافيزيقا** Z4 وكتاب **الأخلاق إلى نيقوماخوس** (الكتاب السادس) وكتاب **العبارة** بمعنى **"**القول"« discours »[143]. نقح أرسطوالتعريف، وجعل للقول وظيفة "التأويل". فاللوغوس يظهر لنا شيئا ما. وهذا يعني أن الكلمة تحمل صفة الإظهار والكشف. إنها تجعل ما يتكلم عنه

142 Ibid., p. 57.
143 Ibid., pp. 60-61

واضحا. فعندما نتحدث عن الكائن، فإننا نكشف عنه في القول. اللغة تحمل وظيفة الإظهار، لتصل إلى الغير Fonction apophantique.

ولكن، هل هذا يعني أن القول يكشف الحقيقة؟ هل اللوغوس هو الموضع الأصلي للحقيقة كأليثيا؟

ينقسم اللوغوس عند اليونان إلى منطق دلالي وإلى المنطق الذي يحمل وظيفة الإظهار أي اللوغوس الأبوفنتيكي عند اليونان أنفسهم. القول الأبوفنتيكي قد يكشف وقد يحجب. إن قدرة اللوغوس على رفع الحجاب ورؤية الشيء، هي في الوقت ذاته تحمل إمكانية عدم قدرته على جعل ما يتكلم عنه واضحا ومرئيا، فيحجبه بدل إظهاره، لأنه يظهر على عكس ما هو عليه. يشرح أرسطو في كتاب **العبارة (ف 1-6)** كيف أن الكلام يجعل ما يتكلم عنه واضحا وجليا، ولكن وجود إمكانية الإخفاق في عملية الكشف تجعل من المنطق ومن مفهوم الحقيقة كتطابق مبهما. وهذا ما يجعلنا نبتعد عن مفهوم الحقيقة كتطابق.[144]

القضية المنطقية تكشف الكائن، وفعل الكشف باليونانية هو الأليثيا αληθεια والرابطة المنطقية التي يعبر عنها هيدغر بـ « En –tant- que »هي المسؤولة عن عملية كشف أو حجب الحقيقة، لأنها تمثل العلاقة التي تربط المحمول بالموضوع.

في القضية المنطقية، الرابطة أو التركيب بين كائن وكائن آخر قد تحمل صفة الصدق أو الكذب في العلاقة بين الموضوع والمحمول، فهل هذا يعني أن الحقيقة تكمن في هذه العلاقة التي تربط المحمول بالموضوع؟ وماذا عن علاقة الحكم ككل بالشيء أو بالكائن؟

وجود علاقتين يجعل من عملية كشف الكائن أمرا صعبا، كما أن حقيقة التطابق تكون مبهمة، يخبرنا القول ويكشف لنا حقيقة ما، ولكن العملية التحققية تبقى مبهمة هي الأخرى، ويتساءل هيدغر: كيف يمكن فهم تطابق كائن مثالي، أي فكرة، مع كائن في متناول اليد فهما أنطولوجيا؟ هيدغر، يبحث عن الأساس الأنطولوجي لهذه العلاقة. إن الأساس الأنطلوجي في التطابق أو في علاقة الحكم بموضوعه، هو الكشف، والمنطق بمعنى الإظهار ليس الموضع

144 محاضرة نعيمة حاج عبد الرحمان في طور الدكتوراه، سنة 2016-2017

الأصلي للحقيقة، إذ يجب الابتعاد عن القول القضوي للشيء، أي عن القضية المنطقية، ولكن إذا كانت القضية المنطقية ليست المكان الأصلي للحقيقة فما هو الموضع الأساسي لها؟

سينتقل هيدغر من مفهوم الحقيقة إلى ظاهرة الحقيقة، أي من الحقيقة كتطابق إلى الحقيقة كما تظهر. ويضرب لنا مثال اللوحة المائلة، المعلقة على الحائط. فالقول بأن هذه اللوحة مائلة يستلزم فعل الرؤية، للتحقق من الوضع المائل للوحة. فالقول دون هذا الفعل فيه إلغاء للمهمة التحققية، كما أن الشخص الأعمى لا يمكنه الحكم على وضع اللوحة المعلقة على الحائط. وهكذا، نستنتج أن فعل القول يستدعي حضور الفاعل أمام الشيء المتكلم عنه. وهذا، وفقا للقاعدة الفينومينولوجية التي تستدعي الذهاب مباشرة نحو الشيء ذاته. فالنظر هو الموضع الأصلي للحقيقة. القول في غياب النظر يلغي الوظيفة التحققية. [145]

ولكن، ماذا عن موسيقى بيتهوفن؟ لقد كان أصمّا، رغم أنه فاقد لحاسة السمع، إلا أنه ألف مقطوعات موسيقية أقل ما يقال عنها بأنها رائعة؟ فهل من فقد البصر فقد التبصر؟ عندما أستمع إلى لحن موسيقي، أنا الذي أسمع وليس أذني، أنا أسمع من خلال أذني، ولكن ليس بها. فالسمع لا يتعلق بالأذن فقط، بل بالإنتماء Zugehorigheit أي بما يُعطى، فيبقى الإنسان متعلقا بـ Ge-stimmt أي متعلقا بما يتلقاه حين يناديه صوت يكون صافي اللحن، حتى وإن كان وسط الضجيج. السماع ليس إدراكا فقط، بل هو إلتقاط، ولكن شرط أن نسمع ونفكر كما يجب.

كان بيتهوفن يسمع ويدرك ما لا يدركه من يدرك حاسة السمع. فما نسمعه، لا يقتصر على ما يصلنا إلى الأذن بوصفها عضوا إحساسيا منفصلا. وهكذا نستنتج أن الأذن هي شرط ضروري للسمع، ولكنها ليست شرطا كافيا. أي أنها ليست هي التي تُعطي ما يُدرك تخصيصا، والأمر نفسه ينطبق على النظر. وهذا ما يبينه غوته، من خلال نظرية الألوان، إذ يقول: "لو لم يكن للعين بالشمس نسب، أكان للنور إلى بصيرتنا سبيل؟ ولو لم تكن قوة الله تحيا فينا، كيف كان للأشياء الإلهية أن تجذبنا؟ هناك عنصر من النور لم نتفحصه بعد بما يكفي. فما ندركه ليس مجرد تلقيا إحساسيا بسيطا. أن نفهم بالسمع والبصر، ليس فهما بما هو

145 محاضرة الدكتورة حاج عبد الرحمان نعيمة 2016-2017

إحساسي، لننقله فيما بعد إلى ما هو غير إحساسي. إن الفكر يسمع عندما يبصر، ويبصر عندما يسمع. ولهذا، غالبا ما تستعمل الاستعارة كتفسير للأعمال الفنية والشعرية.[146]

هنا، نفهم أن السمع والبصر يستعدان للفكر، لأنهما إنتقلا إلى مرتبة الإدراك اللاحِسِّي. وهذا النوع من الإنتقال يسمى μεταφερειν أي إستعارة، فيستعد كل من البصر والسمع للفكر، ففكرهما مجازي.

يكمن القول الحق في الموضع الأساسي للحقيقة وهو "النظر"، وليس القول. يرى هيدغر بأن الحق يكمن في النظر. ففي المعنى الإغريقي الأول، المكان الأصلي للحقيقة يكمن في إستقبال الكائنات كما هي. وهذا يعني أن اليونانيين كانوا في الأصل فينومينولوجيين بالممارسة قبل ظهور الفينومينولوجيا. فاستقبال الكائن يقتضي حضوره أمامي، وهو إستقبال حسي لشيء ما، أثناء تكشفه وتجليه أمامي. ولكن، ماذا يقصد هيدغر بالنظر؟ هل النظر هو العملية المتعلقة بحاسة البصر؟ هل هذه الحاسة هي المسؤولة عن رآية الأشياء؟

في نظر هيدغر، تقوم الفينومينولوجيا على دعامتين أساسيتين، وهما: الإتجاه صوبا نحو الأشياء ذاتها، والدعامة الثانية هي النظر الفينومينولوجي. وإنطلاقا من المفهوم الفينومينولوجي، الحقيقة لا تكون حقيقة إلا بالنظر، لأن النظر يحمل وظيفة تحققية من خلال التلقي، إلا أن النظر ينقسم إلى نظر عقلي (التفكير) ونظر حسي. فالحسي متناقض ومتقلب بإستمرار، والحسي عند الإغريق (أفلاطون) يحتل منزلة أدنى من النظر العقلي.

إنتقل هيدغر من مفهوم الحقيقة إلى ظاهرة الحقيقة، ليعالجها معالجة فينومينولوجية، ولكن ما هي علاقة الكينونة بالحقيقة؟

إذا كانت الحقيقة، بمعناها التقليدي تعني التطابق، فهي علاقة بين طرفين، أما الحقيقة بالمعنى الهيدغري أي كأليثيا فهي تعني فعل الكشف والخروج من الإنسحاب. إذا كانت الكينونة هي ظاهرة الفينومينولوجيا بإمتياز، وإذا كانت الفينومينولوجيا تهتم بحقيقة الكينونة، إذن هذه

146 مارتن هيدغر، **مبدأ العلة**، ص. 55

الأخيرة هي الفينومين الوحيد الذي يستحق التفكير. وبالتالي، فالفينومينولوجيا كمنهج هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى حقيقتها.

رأينا في الفقرة السابعة من**الكينونة والزمان**، المفهوم المؤقت لكلمة فينومينولوجيا، ولكن، حين يتوقف هيدغر عند مفهوم الحقيقة **كأليثيا αληθεια**، في §**44**، يكون بهذا قد أكمل مفهوم الفينومينولوجيا. فما معنى الكلمة اليونانية **أليثيا؟**

أليثيا هي لاتحجب، أي الكشف، وتعني الخروج من الحجب. ولكن النظر أيضا يعني إنكشاف، فهل يعني هذا أن الحقيقة كإنكشاف أساسها النظر؟

إن الحقيقة، بالمعنى اليوناني الأصيل هي اللاتحجب أي إنكشاف الكائن عن طريق التلقي الحسي له. فما هو أصلي في الكشف هو النظر الحسي، أي الذهاب مباشرة إلى الشيء حسب الطريقة الفينومينولوجية، أما النظر العقلي أو التفكير، فهو إستقبال الكينونة كما هي في بساطتها، ولكن الكينونة تنسحب وتتحجب. فالإشكال هنا يعترض مع من يفكر في حقيقة الكينونة، عندما تتحجب هذه الأخيرة وتأبى الظهور.

ما نستنتجه من فكر هيدغر، هو أن الظهور المحكوم منذ أكثر من ألفي سنة بالحضور ousia، يتميز عن الكينونة ككينونة، فقد يكون الظهور وَهْمًا وخداعا وقد يكون إنسحابا وتخفيا، رغم إرتباطه الحميم بالكينونة المسؤولة عن فعل الكشف والتجلي. فالظهور هو جلب الأشياء إلى منطقة الإنارة أو الضوء. ولهذا فإن الظهور يقف بالضد من الكينونة والفرق بين الظهور والكينونة هو ذلك الذي ينبثق ويتلاشى من وقت لآخر.[147]

يرى هيدغر بأن الصيرورة تقف بالتضاد مع الظهور. إلا أنهما لا يتحددان فقط من خلال مصطلح ousia أي الحضور، إذ يتحدد الحضور في طبيعة علاقته باللوغوس. أي يتحدد كل من الصيرورة والظهور في سياق التفكير. كينونة الإنسان هي "لوغوس" بالنسبة لهيدغر، وتعني هذه الكلمة الإغريقية الجمع والفهم والإدراك.[148] فرغم نسيان الإنسان لسؤال

147 Martin Heidegger, *Parménide*, Gallimard, 20011, pp. 44-45

148 هل الفهم والإدراك قرار؟ علاقة الفهم والإدراك باللوغوس هي حاجة. اللوغوس هو عملية الصراع الذي تبنى عليه كينونة الإنسان التاريخي في العالم.

الكينونة، لإنخراطه في نمط الوجود اليومي، إلا أنه يعثر على نفسه. أي أن الإنسان هو في حضرة الكلمة التي تحمل صفة الكشف والإظهار والإنارة. كما يصف أرسطو مهمة الإظهار ب apophainestai، فكلمة legein يقول هيدغر في **الكينونة والزمان** تعني أن تنتج وتقدم التكشف والتجلي بحد ذاته.

المبحث الثاني: مفارقات الكينونة وعلاقتها بالدازين

1- ما معنى الكينونة؟

في درسه سنة 1941، الذي يحمل عنوان **المفاهيم الأساسية**، أعاد هيدغر طرح سؤال الكينونة على طريقته. إعتمد هيدغر الكلمة الشعرية في معالجته لسؤال الكينونة، حيث ميز بين الكينونة والكائن، وبين حالات الكائن. فحالة الحيوان تختلف عن حالة الحجر والإنسان. فما هو مادي لا عالم له، والحيوان فقير في العالم، بينما الإنسان لا يمكنه أن يكون إلا في الإنفتاح، فالعالم كانفتاح، يعني أنه يفتح لنا أفقا للفهم.

تختلف الكينونة عن الكائن، فهي لا تماثله، بينما الكائن، وفي كل وقت، يشبه ويماثل الكائن ذاته. ولكن كيف يمكن أن يكون الكائن دائما كائنا بالنسبة لنا دون ان نفهم مسبقا ما معنى"كينونة" و "لاكينونة"؟[149] الكينونة واحدة بالنسبة إلى الشجر والحجر أو للحيوان أو حتى الإنسان والإله. فإذا كانت الكائنات متعددة، فإن الكينونة أينما كانت، هي واحدة. فما معنى الكينونة؟ يقول هيدغر في كتاب *Grammaire et étymologie du mot Être* أن الكينونة هي حكاية طويلة Une Saga. ما يريد هيدغر إبرازه هنا هو المقدرة على الكلام، وعلى قول ما لم يقله أحد من قبل. هذه الحكاية، هي القول الذي يتجاوز كل ما قيل سابقا. وهي القول الذي لا يتوقف على البوح عن نفسه، من خلال ما نقول. إنها مغامرة ترسم لنا طريق إمكانية القول باتجاه الكينونة، وحسب ما تمليه علينا هذه الحكاية، تتشكل حياتنا الخاصة. فهي تحكي لنا تاريخ الكينونة، الذي يمثل تاريخنا نحن.[150]

149 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 86

150 Martin Heidegger, *Grammaire et étymologie du mot « être »*, *Introduction à la métaphysique*, Editions, Seuil, 2005, p. 80

يتساءل هيدغر قائلا: أين الكينونة وما الكينونة؟ ويجيب قائلا: يبدو أن هذا السؤال سيبقى سؤالا فضوليا، لأنه لا يجد جوابا شافيا. فالرغبة في الحديث، أو التفكير في الكينونة هي لعبة جدال الكلمات chicaner sur les mots. وفي الحقيقة، هيدغر لاعب ماهر، ويتميز بمهارة عالية وقوة دقيقة جدا في اللعب بالكلمات. فلعبة الديالكتيك لعبته بامتياز. في نظره، نحن نتحدث عن الكينونة، ولكننا نقصد في الحقيقة الكائن، ونتحدث عن الكائن كما هو، ونقصد في الأساس الكائن. فإنه لم يتم الوقوف بعد عند الفرق بين الكينونة والكائن. كما يبدو أن تجاهل التمييز بينهما لن يترتب عليه خسائر معينة dégâts particuliers.[151]

يرى هيدغرفي **مبدأ العلة**، أن ليبنتز هو من أخرج مبدأ العلة من سباته، غير أنه ظل من جهة علاقته بالكينونة متحجبا. ودخل من جديد في سبات عميق، حيث بلغ انحجاب ماهية الكينونة حده الأقصى. فهل نبحث عن علة وجود الكائن، قبل أن نفهم ماهية كينونته؟ وهل يكفي أن يكون الكائن دون الحاجة إلى معرفة أكثر عن كينونته؟ فكينونته سابقة لعلة وجوده. ولهذا، ينبغي أن نتساءل عن هذه الكينونة، قبل أي شيء آخر. ولكن، في مبدإ العلة، ألا يمكن أن تكون الكينونة والعلة نفس الشيء؟ ثم لمن الأسبقية، هل هي للكينونة أم للزمان؟ من المسؤول عن إحضارنا في هذا العالم، الكينونة أم الزمان، أم أنهما الشيء نفسه؟ لم نعد ندرك أهي الكينونة التي دعتنا إلى ساحة الزمان أم العكس؟ من طَوَّعَنا لنعمل على إشراقة الكينونة وحفظها ورعايتها؟ [152]

يرى هيدغر بأننا لا ندرك أهمية الأشياء إلا إذا فقدناها. كذلك لم ندرك أن الفكر لا يمكنه إدراك ماهية الكينونة، إلا بعد أن أثبت مبدأ العلة عجزه في سلسلة لامتناهية ويتساءل هيدغر قائلا ما هو سبب مبدأ العلة؟ فإذا كان لكل شيء سبب كاف يحدثه[153]، فلا بد أن يكون للمبدأ نفسه سبب.[154] ولكن لا يمكن أن يكون نسيان الكينونة تنازلا عنها، لأنها تتوجه نحونا كنور. هذا الأخير، يظهر فيه الكائن ككائن. ففي علاقتنا بهذا الأخير، نحن لا نشعر أبدا

151 M. H, *les concepts fondamentaux*, p. 44

152 في **مبدأ العلة** يضع هيدغر أكثر من دلالة وأكثر من قراءة لهذا المبدأ. ففي القراءة الثانية يبين لنا جليا أن مبدأ العلة هو حكاية الوجود وأن العلة والكينونة الشيء نفسه ص.93 كما حدد خمسة نقاط جعلت الكينونة ترقد في سبات عميق وهي: رقاد مبدأ العلة، تكونه كمبدأ أعظم مما أعطاه سلطة، دعوة مبدأ العلة كمبدأ عظيم، العلة ك"لماذا" وك"لأن" وأخيرا التغير الطارئ على تلاوة المبدأ حيث تغير المبدأ من "لا وجود لشيء دون سبب" إلى " لا وجود لشيء بدون سبب كاف" فأصبح المبدأ في حد ذاته قفزة في الكينونة باعتبارها الأصل. ص. 65

153 Nihil est sine ratione = rien n'est sans raison

154 M. H, *Le principe de raison*, p. 59

بكينونة الكائن، وإنما نشعر به ككائن في مجموعة الكائنات، نحن لا نتعلق به إلا ككائن.[155] فإذا تحدثنا مثلا عن كينونة الحب، هل الأفعال الدالة عليه هي الحب؟ الجواب طبعا، لا، ولكن الحب لا يظهر إلا من خلال الأفعال الدالة عليه. لمعرفة الكائن، أو ما هو عليه الكائن نفسه، يمكننا التجريب عليه لنملك هذه المعرفة المتعلقة به، ولكن معرفة الكينونة، أين يمكن أن نجدها؟ وعلى الأخص، أين يمكننا البحث عن شيء كهذا؟ وإن كنا سنستعمل كلمة "شيء" بتحفظ شديد، لأن "الكينونة" ليست شيئا على الإطلاق.

نقول: "هذه شجرة وأوراقها خضراء". إن فعل الكينونة مضمر وغير واضح، ولا نستطيع رؤيته. يمكننا رؤية الأشجار وأوراقها الخضراء. هذا اللون ينتمي إلى الأوراق، إذ نراه فيها، ولكن ماذا عن فعل الكينونة؟ إذن، الكينونة لا هي الأشجار ولا أوراقها، ولكن أين هو هذا الفعل؟ فهل يجب أن ينتمي فعل الكينونة أيضا إلى الأوراق؟ ولكننا لا نراه عليها؟ هذا الفعل المنسحب والمتواري خلف الكائن لا نسميه كائنا، وإنما نسميه كينونة، كما أن الكائن قد يكون بطرق مختلفة.. فقولنا: أوراق الأشجار خضراء، هذا التأكيد يطرح العديد من الأسئلة: هل خضرة الأوراق هذه ستدوم؟ هل هي حقا خضراء؟ ألم تبدأ بتغيير لونها؟

أ- الكينونة هي الفراغ

يقول هيدغر: "عندما نقول الكينونة، نحن لا نقول كلاما فارغا، ولكننا نبقى عاجزين عن تفسير ما نفكر به". كما أن حيرة الإنسان تزيد وتتكثف حين نجد أننا نفكر تاريخيا بذات الشيء، رغم اختلاف الأنساق والتجارب والتعبير، إلا أننا نهرب في الحشد من الحيرة، ونلجأ إلى الرأي الشائع والعام. يقول " الكينونة بالنسبة إلينا هي عبارة عن كلمة فارغة ذات معنى ضبابي وغامض ولكن هذه العبارة تمتلك معنى".[156] ولهذا فإن هذه الكينونة التي نفتقد تشكيل أي فكرة واضحة عنها، هي أكثر ما يستحق التفكير.

155 M. H, *Les concepts fondamentaux*, p. 117
156 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p. 87

الكينونة هي قمة **الفراغ**، وهي في الوقت نفسه سيل (فيض) من **العطاء**،[157] فعندما نفكر في الفرق بين الكائن والكينونة، ألا ينبغي أن نفكر أيضا في كلمة ثالثة، لنميزها عن الاثنين، وهي **العدم**؟ باعتبار أن العدم هو لاكائن، والكينونة أيضا لاكائن، فإذا كان العدم لاكائنا، ما كنا لنقول بأنه كائن؟ ولكنه كائن، فماذا تعني هذه الكلمة؟ الكينونة ليست في حاجة إلى الوجود، الوجود هو من يحتاج إلى الكينونة من أجل أن يكون. إنه لا يمكن أن نتحدث عن العدم بسطحية، ولكن إذا قلنا بأنه كائن سيكون بذلك مساويا لنقيضه أي للاكائن. وهذا لن يكون إلا في حالة ما إذا كانت كلمة "ثمة" تعني شيئا آخر؟

الكائن كائن والعدم كائن والعدم هو لاكائن، فكيف يمكن حل هذه المفارقة؟ كلمة "كائن"، تعبر عن حيرة في الجملتين، ولا نستطيع أن نقول إن العدم كائن إلا إذا كانت كلمة "ثمة"، تعني شيئا آخر في الجملة الأولى، "الكائن كائن"، فالعدم ليس في حاجة إلى الكائن حتى يكون، على العكس تماما، هو في حاجة إلى الكينونة، ومن دونها سيكون محكوما عليه بإبطال ماهيته الخاصة، وربما هذا ما سيستمر في إزعاج الرأي العام والفهم المعتاد. هذا، إذا لم نقل إن العدم ربما يكون هو الكينونة.[158] وهكذا، يشكل العدم وحدة مع الكينونة، ولا يمكن أن يكون خطرا يهدد الكينونة. ونستنتج من تحليل مفكر الكينونة، أن هذه الأخيرة لها وجهان، فالكينونة في ماهيتها الخاصة تناقض نفسها، إنها تشير إلى الفراغ، أو هي دليل على الفراغ، لأنها لا تجد دعامة ترتكز عليها، والكينونة في الوقت نفسه، ليست سوى ما يملأ الفراغ. إنها سيل من العطاء. فعندما نقول: الأشجار خضراء، أو الطقس جميل، أو النافذة مغلقة، أو الطريق مزدحم، نحن هنا أمام نفس المعنى وهو"معنى فارغ"، لأن امتلاء الكائن وتنوعه، لا يأتي أبدا من الكينونة، بل من الكائن نفسه. وبهذا، تكون الكينونة هي ذلك الفعل الذي يملأ أو يشغل الفراغ. ورغم الفراغ هذا، فإن خلف الفراغ الخاص بكلمة "الكينونة"، يوجد عالم أو مملكة لا تقبل الشك، حيث يَعْدُ فعل الكينونة ثروة تعبر بها الكينونة عن الكائن في تنوعه. إذن، الكينونة في تنوعها الأكثر خصوصية، هي نقيض نفسها، ويجب أن نعترف، من الآن - يقول هيدغر- بأن في الكينونة توجد ثنائية، ولكنها ميزة مزدوجة تخص الكينونة ذاتها. هذه

157 *Les concepts fondamentaux*, p. 71
158 Ibid., p. 77

الثنائية تتمسك في وحدة الجوهر المنسجمة. وبهذا، تكون الكينونة هي العامل المشترك (dominateur commun) لكل الكائنات، وأيضا هي الأكثر إشتراكا.[159]

كلمة كينونة ليست أبدا كلمة فارغة، قد تتهالك يقول هيدغر ولكنها تبقى ممتلئة بالمعنى والدلالة وستظل محتفظة بقوتها الوضعية العامة.[160] يرى هيدغر بأن الكينونة تظهر كامتلاء خالص من الدوام والاستمرار.

ب- **الكينونة هي الأكثر فهما و هي الإنسحاب**

ما الذي ينبغي فعله لفهم الكينونة؟ يبدو أننا نفهم جميعنا، دون استثناء، ما تعنيه كلمة "يكون" أو "كينونة"، بفضل الشروحات الأولى التي تلقيناها بخصوص "الكينونة"، إلا أن هذا الفهم للكينونة ببساطة قد ولّى، دون أن ندرك كيف أو متى حدث ذلك. وها نحن في ذهول: كيف ضاع منا هذا الفهم فجأة، ولم نعد نملك أية فكرة عنه، بل أكثر من ذلك، لا نرى على الإطلاق إن كان هناك شيء يمكن فهمه فيما يخص "الكينونة".[161] ينبغي تحديد الحقيقة لأنها محور التراث الميتافيزيقي في بحثه عن الحقيقة، حيث تبدأ الحقيقة رحلتها من الكائن لا من الكينونة وهكذا مُلِأَ حقلها بالكائنات.

ولكن هناك دائما مخرج في قلب الكائن، وهي المسؤولية التي تشغلنا، هذا ما يراه هيدغر. فتوجيه كائن نحو كائن آخر، هو ما نظنه أكثر ألفة وأكثر وضوحا ونوضحه بفضل هذا التوجيه، لأنه يشعرنا بالراحة. بينما إذا كان الأمر يتعلق بما يتناسب مع فهم "الكينونة"، فالأمر مختلف، لأننا سنواجه جدية السؤال، أي سؤال "الكينونة".

تهرب الكينونة من كل تحديد أو تصور أو موضع للإنارة، ومن كل محاولة لفهمها أو تصورها، عن طريق الكائن. إنها تفلت من دائرة التعريف والتجلي. وبهذا، أليس أمرا مشروعا تحديد الكينونة انطلاقا من العدم؟ تنسحب الكينونة إلى مكان آمن، وتحجب نفسها.

159 Ibid., p. 73
160 Ibid., p. 77
161 M. H, *Introduction à la métaphysique*, p.77

حركة الانسحاب هاته، تنتمي إلى الكينونة ذاتها، يقول هيدغر: "إذا كنا لا نريد إنكار هذا الفعل، أي فعل الانسحاب، فينبغي أن نقول إن الكينونة في حد ذاتها حجب".[162]

ت- **الكينونة هي الأكثر إبتذالا فضلا عن كونها الأصل**

إذا اعتبرنا "الكينونة" هي "الحجب"، الذي ينتمي بدوره إلى ماهية الكينونة، يمكن أن يظهر مجددا أن الكينونة تبقى في الأساس ما انتزع منا حتما، وبصفة نهائية. ولكن هذا بدوره لا يمكن أن يكون إلا ظهورا، لأنه أينما كنا، فنحن نناشد "الكينونة" ونطلق نداءها في كل مكان وفي كل زمان. وسنعطي مثالا عن ذلك: إن عدم رغبة الإنسان في أن يكون، هذا يعني أنه سئم كينونته، ودخل دائرة اللامبالاة، إلا أن اشمئزازه هذا لا يؤثر على كينونته، فرغبته تريد أن تضع العدم مكان الكائن، إلا أن الكينونة تستمر وتبقى الاستجابة الوحيدة التي تقاوم أي هدر أو تلف، لأنه حتى في حالة ما إذا غذينا الأمل الذي يريد أن يضع العدم بديلا عن الكينونة، سنتمسك بآخر أمل بالكينونة. وهكذا، فإن "الكينونة" لا تتلف أبدا، على العكس تماما، فهناك حيث تكون الرغبة في انعدام الكائن، وحين تبلغ هذه الرغبة ذروتها، فإنه في هذه الحالة بالتحديد، لا بد للكينونة من الظهور، فتُبرز أول ظهور لها كـ"مصدر"، الذي منه يأتي الكائن وينشأ عنه أي كائن كان، إلى أن تحين إمكانية انعدامه. تعطي "الكينونة" إجازتها لكل كائن حتى يقفز نحو ذاته، بمعنى أن يفر ويندفع ليكون بفضل الوثبة. "الكينونة" هي الوثبة، إنها وثبة الأصل.[163]

ث- **الكينونة هي الركيزة وهي الغموض**

يرى هيدغر أن الكينونة مقارنة بالكائن، لا تقبل الشك (l'être est fiable, l'étant est faillible) ولكن، من أين لنا هذه الثقة المطلقة بالكينونة؟ بالرغم من أن الكينونة قد ألهمتنا ثقة عمياء، إلا أنه لا يمكن أن نؤسس عليها خططنا، فنعيد توجيه نظرنا نحو الكائن، نتيجة إستعمالنا أو تشكيلنا للكائن، لأن الكينونة لا تمنحنا قاعدة أو أرضية، هي لا تمنحنا

162 M. H, *Les concepts fondamentaux*, p. 83
163 Ibid., p. 83

أساسا واضحا. تظهر الكينونة إذن كقاعدة هاربة، تتنازل باستمرار، وسيصاب بخيبة أمل كل من كان ينتظر استخدامها كأساس، إذ ثَبُت في كل مكان بأنها من دون أساس، إنها اللاغور، الكينونة هي السر الذي يتمسك بالاختباء، إنها لا تمنحنا أية ركيزة ثابتة أو محددة، ترفض الكينونة كل قاعدة أو حَجَر أساس، "الكينونة" هي الركيزة الأكثر وثوقا، وهي سر عميق لا غور له.

أكثر شيء ثابت في الكائن هو اللاشيء، هو التغير، لكونه كائنا في لحظة زمنية معينة. هذا لا يعني أنه سيبقى على حاله كما كان في كل اللحظات القادمة، دون أن يطرأ عليه أي تغير، إذن الكينونة هي "الراحة". يقول غوته Goethe: "في أعالي القمم، توجد الراحة".[164] بينما الكائن في حركة دائمة، لا يتوقف أبدا ولا يستريح، إلا بعد انعدامه، فعندما نريد أن نتحدث عن شخص ميت مثلا، لا نقول: كان فلان مَيِّتا، أو عندما رأيت فلانا كان ميّتا، أو كان قد مات، لأن هذه العبارة تحمل إمكانية أخرى، وهي إمكانية اللاالموت، بل نقول: فلان مات.[165]

ج- **الكينونة لاتتوقف عن الكلام وهي التي تحتفظ بالصمت**

يكفي أن نقول الكينونة بأشكالها المتنوعة، كان ويكون وسيكون. هذه الكلمات التي نستعملها باستمرار، ففي ذكرنا للفعل "كان" نحن نسمي الكينونة، إذ يكفي أن نسمي الكائن لنستهدفه فكريا، إن القول هو قول الكينونة، واللغة هي أصلها.[166] ولكن كما كان الحجب انتماء للاحجب، فهو ينتمي أيضا إلى القول. وبالتالي، نجد في اللغة ذلك الجانب المسكوت عنه، فتسكت الكينونة عن ماهيتها، وتحجبها عنا، وتحت ما تمليه علينا الكينونة، نكون قد أتينا بها إلى القول.[167]

ح- **الكينونة هي الأكثر نسيانا وهي الذاكرة**

164 Ibid., p. 50, « Sur tous les sommets, c'est le repos »
165 Ibid., p. 86
166 Ibid., p. 87 « Dire, c'est toujours dire aussi l'être »
167 Ibid., p. 86

إذا كان الكائن قد أنسانا الكينونة، بالرغم من أنها الأكثر قربا في علاقتها به، إلا أنه بمجرد الانتباه إلى سؤال الكينونة، وبمجرد طرح هذا الأخير لسؤال الكينونة، وهو أهم الأسئلة جميعا، فإننا نعترض على أن الكينونة هي الأكثر بداهة. الكينونة أيضا منسية، إنها من بين الأسئلة التي تستحق أن تُسأل، وعلينا الاعتراف بأن الكينونة هي الأكثر سوادا وظلمة في النسيان. بل هي في الواقع من ماهية النسيان الذي ينسى نفسه، فإذا افترضنا أنها غارقة في العدم، هذا الأخير هو نفسه في الحجب، أي أنه محجوب عن النسيان، فنراه مشطوبا منزوعا من معرفتنا. ورغم هذا النسيان، فالكينونة باقية في علاقاتنا اليومية. تأخذنا الكينونة إلى قلب الكائن، وتضعنا في ذاكرته. الكينونة هي ما يدفعنا إلى التذكر. الكينونة هي في حد ذاتها تذكر، إنها الكينونة ذاتها التي تتذكر، حسب النظرية الأفلاطونية الخاصة بـ: التذكر« αναμνησις » وهذا بالفعل ما يستحق التأمل حقا.[168]

خ- **الكينونة هي القيد الأكثر إلزاما وهي التحرر**

تُقَيِّدنا الكينونة باستمرار وأينما ذهبنا، فهي التي تمنح شهادة أو رخصة للكائن، ليكون كائنا. إنها تتقَيِّد كل كائن ليبقى محتجزا فيها، لا يَهُّم المكان أو الزمان أو النمط الخاص بالكائن، إن "الكينونة" هي الأكثر قيدا، مع أننا لا نشعر بهذه القوة، ومع ذلك لا تبدو وكأنها "الكينونة" "هنا" بل تبدو وكأنها العدم.

إنه لمن العبث التحري عن الكينونة هنا أوهناك، الكينونة لا تتوقف عن اللعب بنا، ولكن تحتفظ هذه اللعبة بأحاديتها (Univocité) الفريدة في كل مكان، "الكينونة" لا يماثلها ولا يمثلها شيء، إنها متفردة (Unique). أليست الكينونة هي التي نقلتنا منذ البداية "هناك"، حيث الكائن كما هو، في تميزه عن بقية الكائنات؟ أليست الكينونة هي "المنفتحة"، أو هي ذلك الانفتاح الذي يرفع الانغلاق على المنفتح-هنا. هذا الانفتاح هو الذي يمنحنا إمكانية التمييز بين الكينونة والكائن. إن هذين الاثنين منفصلان (disjoints). وفي هذا "الفصل"، حررت الكينونة الكائن في انفصالها عنه، وقيدته في آن واحد.

168 Ibid., p. 89

حررت الكينونة الكائن منذ البداية. وهذا التحرر جعلنا أحرارا إزاء الكائن، وأحرارا نحوه ومنه ومن أجله وأمامه وفي قلبه. وأيضا، حررتنا في إمكانية أن نكون نحن. الانتقال نحو الكينونة ليس إلا تحررا من أجل الحرية. هذا التحرر هو ماهية الحرية.

إن الحيرة التي تسببت فيها المفارقات المختلفة التي أحاطت بمعنى الكينونة، هي التي دفعت بهيدغر للتفكير في التحليل الوجودوي للدازين، فمن خلال تحليل خصائصه الوجودوية يمكن الوصول إلى فهم حقيقة الكينونة. فيما تكمن خصائص الدازين الوجودوية؟

2- **من هو الدازين؟**

يرى هيدغر في الفقرة الرابعة من **الكينونة والزمان**، أن للدازين عدة مستويات للفهم، أولها هو المستوى الأنطي المحدد بالوجود وبالوقائع. والثاني هو المستوى الأنطلوجي، الذي لا يدخل في الفهم الخاص بنظام الدازين.[169] وهكذا تعود الأولوية لسؤال الكينونة إلى الجانب الأنطي. ولكن إذا كان الدازين هو التعبير الخالص أو المحض pure الخاص بالكينونة الإنسانية، فهل نسمي الدازين الوجود existence، حيث تستقر ماهيته فيما يملك (وجوده)؟[170] سؤال الوجود بالنسبة للدازين هو سؤال أنطي، حيث يكون الفهم وجوديا لبنية الدازين. وهي الغاية المنتظرة من هذا السؤال، فما هي إذن البنية المكونة للدازين؟ إن تحليل البنية المكونة للدازين هي ما يسميه هيدغر ب "الوجودوِية" l'existentialité، حيث تحمل هذه البنية المركبة خاصية فهم وجودوِية وليست "وجودية" existentielle. ولهذا حدد هيدغر مهمة فهم الكينونة من خلال التحليل الوجودوِي للدازين، لأن تحليل الدازين يقتضي معالجة الكينونة أنطلوجيا، فهو يخص تحليل مجموع البنيات المكونة لكينونة الدازين. وهذه هي مهمة الأنطلوجيا الأساسية. هذا يعني أنه يوجد في الدازين الأولوية الأنطية والأنطلوجية.

إن العلوم هي أنماط الكينونة الخاصة بالدازين، وأول خاصية للدازين تعود إلى إنتمائه الماهوي essentielle للعالم، ولكن ماذا يقصد هيدغر بعلاقة الإنتماء التي تربط الدازين بالعالم؟

169 *Être et Temps*, p. 38
170 Ibid., p. 589

أ- **الدازين، هو كينونة- في- العالم (In sein)**

أراد هيدغر، في استعماله لكلمة دازين، قطع الصلة مع الاستعمال الميتافيزيقي المعتاد لهذه الكلمة. أي بمعنى الحضور، أو القدوم إلى الحضور، بالمعنى السكولائي كوجود existentia يقابل الماهية essentia أو بالمعنى الحديث réalité effective. الدازين ليس مجرد شيء أمامنا. الدازين يعني الكائن الإنساني. ولكن في **الكينونة والزمان**، ما يميز الدازين هو تعبير خالص بالكينونة. الدازين هو الكينونة الخاصة بكينونة الإنسان. ويبقى المعنى غامضا، لأن الكينونة هي في حد ذاتها غامضة. وكينونة الإنسان كذلك. الدازين ليس كينونة الإنسان، كما يراه أرسطو كنفس psychè[171] أو كوعي conscience بالنسبة إلى الحداثيين. يختلف الدازين عن بقية الكائنات، حيث يختلف نمط وجوده في العالم عن نمط وجود الكائنات الأخرى، لأن الدازين، باعتباره كينونة-في-العالم، يَعْني مقام الانفتاح. كلمة دازين تخص الإنسان، ويقصد به، قبل كل شيء، أنه كينونة.[172]

ماذا يقصد هيدغر بالدازين؟ يقول جورج شتاينر George Steiner: إن الترجمة الفرنسية التي إقترحها هيدغر للكلمة الألمانية Da-sein هي « être-le-là » ولكن، لماذا إنتقلت كتابة هذه الكلمة من Dasein إلى Da- sein؟ كانت تكتب في **الكينونة والزمان** من دون علامة التقاطع، ولكن كُتبت بالشكل الثاني لتمييز صفة الإضاءة. هذه الإضاءة، هي الدازين وهي في حد ذاتها إنفتاح، إذ لا يمكن وجود إنفتاح دون إنارة.

ويقصد هيدغر ب Da التي تُرجمت إلى « le-là » بمقام الإنفتاح، حيث يعود في قراءته لكلمة Ek-sistence إلى اللغة الإغريقية. Ek وتعني الإنفتاح والتجلي الإكستاتيكي، La manifestation ek-statique، هذا الإنفتاح الذي لا يقصد به هيدغر مكانا معينا لا بالداخل ولا بالخارج، هو "العالم".

"الهنا"، le-là في اللغة الفرنسية و Da في اللغة الألمانية، هو العالم الملموس، أي العالم اليومي والعالم الواقعي الإيجابي quotidien, réel et positif. وتعني الكلمة

171 Ibid., p. 38 (voir Aristote, *De l'âme*)
172 Phylippe Arjakovsky, Le Dictionnaire Martin. Heidegger, Article Dasein, p. 301

الألمانية Sein الكينونة. هذه الكينونة هي الظاهرة المزروعة المتجذرة في الأرض، « émergé, implanté, enraciné »، ففلسفة التجريد التي تريد التعالي على اليومي، هي فلسفة "فارغة"، لا يمكنها أن تقدم لنا شيئا عن معنى الكينونة، أو عما يكون الدازين أو عما يكون العالم. الكينونة في العالم هي في الأساس "هَمّ" Sorge،[173] أي أنها كينونة قلقة ومهمومة.

إن حالة الإنبهار والتعجب Emerveillement الأولى، هي أصل كل تساؤل أنطولوجي. الكينونة هي هنا، والآن، وحولنا، وفي كل مكان نحن فيه بصفة مطلقة. وللتعبير عن هذا الإندماج الأساسي للدازين، يستعمل هيدغر الكلمة المركبة "الكينونة-في-العالم" « In-der-welt-sein » ويركز على هذه الخاصية العملية الملموسة لهذا الاندماج، ويعبر عن إندماج الإنسان في الواقع. وهذا ما عبر عنه هسرل بـ: Lebens welt أي عالم الحياة، ولكن يُعّد الفعل الهيدغري لـ"التأسيس" أكثر مطلقية.

يُعبِّر إنفتاح الدازين عن العلاقة المتبادلة بين الكينونة وكينونة الإنسان. الدازين هو الوضع الذي يختبر ويسائل الكينونة في تفتحاتها العفوية للإنسان. حيث يهدف هيدغر، من وراء هذه التسمية، إلى إستخراج البنى الأصلية الثابتة، التي تجعل أي إختبار وجودَوِي ممكنا. فالموت مثلا، هو بنية أصلية. ونقول عنها بنية وجودَوية. فالموت هو الصفة الأصلية التي تجعل من الزمان ممكنا. الإنخراط في العالم ، والكينونة - مع Mit-sein والكينونة-في، هي الأخرى بنى وجودَوية.و يقصد هيدغر بقوله، "الكينونة-في" أن الدازين يقيم بجوار الكينونة، فنمط وجود الإنسان لا يشبه نمط وجود الأشياء في العالم. كما أن لفظ « In » في اللغة الألمانية لا يعبر عن العلاقة المكانية، كلمة « In » تعني الإقامة.[174] ولهذا يضع هيدغر العالم في علاقة مع الدازين، إنه "كينونة-في". هذه البنية الوجودوية التي يسميها هيدغر ب"الكينونة-في" هي ما يُحَدِّد الدازين ككينونة في العالم. الكينونة-في، هي مكون قبلي وضروري للدازين ولكنها لا تكفي لشرح الكينونة في إمتلاءها.[175]

173 *Être et Temps*, p. 242
174 Ibid., p. 88
175 Ibid., p. 87

لا يمكن شرح الكينونة أنطولوجيا من خلال ميزات أونطية. تأويل الكينونة-في-العالم كمُكَوِّن أساسي للدازين، وحده يسمح بفهم المكان الوجودَوي للدازين، أي عالمه الحقيقي. إلا أن نمط الوجود اليومي للدازين، هو الكلية التي تُغَلِّف الكينونة وتحجبها.[176] وهو لقاء الدازين مع "العالم" الذي يعرفهما معا. وهذه الطريقة للكينونة-في-العالم على الخصوص، جديرة بالاهتمام لأن "الكينونة-في" الخاصة بالدازين تختلف عن "الكينونة-في" الخاصة بالكائن. ويعطي لنا هيدغر مثال الماء في الكأس، أي وجود كائن في كائن آخر. وهذا يعني أن الدازين ككينونة-في-العالم، يختلف عن كينونة الأشياء. حيث يُعْرَف الكائن في مجال الإنشغال اليومي تحت ما يسمى بـالنفعي l'utile. فالقلم مثلا، مربوط بمن سيستعمله لغرض الكتابة. والإستعمال هو عندما نجيب عن السؤال "لماذا القلم"؟ [177] ولكن نمط الإستعمال هو نمط يناقض نمط تأسيس الكينونة-في-العالم.[178]

ب- الدازين هو كينونة ملقاة (Die geworfenheit)

الدازين ملقى في العالم. كينونتنا في العالم هي كينونة ملقاة. إن هذا العالم الذي تم إلقاؤنا فيه دون أي اختيار منا، ومن دون أي معرفة مسبقة، بالرغم من أفلاطون، كان هنا. أي أن وجود العالم سابق لوجودنا. وسيكون أيضا هنا بعدنا. إلا أن العَالَم يتمسك بالمعنى من خلال الدازين. أي من خلال الكينونة-هنا، من خلال كينونتنا نحن، حيث ينفتح العالم في نفس اللحظة التي ينفتح فيها الدازين. ولكننا نجهل لأي غاية تم إلقاؤنا في العالم. فميزة كينونة الدازين متحجبة عن أصلها وعن غايتها، إلا في ما يخص الموت. إن جهلنا المزدوج بالأصل وبالغاية، هو ما يجعل شروط الكينونة الملقاة في الوجود الإنساني ملموسة ولافتة للنظر أكثر فأكثر، فنحن موصولون بـ...؟ ومسؤولون نحو هذا الذي نحن مرتبطون به، نحن موصولون بـ "الحاضر"، وبـ "المكان" وبـ "إلهنا"، بحضور كامل ومغطّى، وعلى الدازين أن يهتم بهذا الحضور. كل ما يمكن للدازين فعله، هو أن يواصل في كينونته، أي "في أن يكون"، وعليه أن يتولى مسؤوليته هذه.

176 Ibid., pp. 104-105.
177 George Steiner, *Martin Heidegger*, p. 114
178 *Être et Temps*, p. 118

بالنسبة إلى الكوجيتو الديكارتي: أنا أفكر إذن أنا موجود « Cogito ergo sum »، هو شكل مجسم عقلاني مبالغ فيه .Hyperbole anthropomorphique, rationaliste العكس هو الصحيح، "أنا موجود إذن أنا أفكر"، الوجود يسبقه. أي أن الوجود ضرورة سابقة، وهو الذي يجعل من الفكر ممكنا. الوجود هو شرط لعملية التفكير. ولهذا كان علينا أن نفكر أولا في الكينونة الملقاة في العالم. يأتي العالم إلينا على شكل ونمط وجود الأشياء. وهذا ما يُطلق عليه اليونان "براغماتا" πραγμάτα، ويقصدون بهذه الكلمة إستعمال الأشياء في مجال الإنشغال اليومي. ولكن من الناحية الأنطلوجية، هم يعتبرون الأشياء كأشياء خالصة، ويتركون الخاصية النفعية جانبا، فالكائن في مجال الإنشغال اليومي يُدعى L'util. وما يميز نمط وجود الأشياء، هو الاستعمال الخاص بالانشغالات، أي أن الأشياء لها منفعة، والأشياء هي أدوات في متناول اليد. وحتى نُظْهِر جليا الكائن ككائن-هنا-أمامنا là devant، نحن نراه أولا كأداة للإستعمال في مجال الإنشغال اليومي. وهنا يكمن خطر خاصية الإستعمال، التي يتماهى بموجبها الكائن ليكون فقط من أجل الإستعمال بالمعنى الخالص.[179] ولكن الفكر ليس أداة تمكننا من معرفة وإدراك أن ثمة كينونة، لأن هذه الأخيرة سابقة أنطولوجيا، إنها العطاء والانبثاق والانفتاح. ولكنها تبقى غامضة، لأنها مرتبطة إرتباطا وثيقا بالزمان. هذا الأخير، أي الزمان، ليس هناك من عين يمكنها أن تخترق كنهه وتمنحنا رؤية شاملة وواضحة، ولا يسعنا إلا أن نقول أن الزمان هو علاقة الأبعاد الإكستاتيكية Extatiques .

يرى هيدغر أن الشيء هو أداة في متناول اليد، لها منفعة، وهي مادة العلم أو موضوع العلم. أي إن الشيء خاضع للبحث العلمي. والطبيعة أيضا هي في متناول اليد بالنسبة إلى الفيزيائي، والحجارة أيضا في متناول اليد بالنسبة إلى الجيولوجي، ولكن ليست بالطريقة التي يلتقي فيها النحات بالحجر، إنها علاقته الخاصة بها، حيث يتشكل عالمه الخاص. إنها علاقة حصرية وفاصلة للكينونة-هنا، وهي نفسها كينونة حاضرة تحت اليد. الكينونة-هنا أو وجود الدازين، هو وجود ملقى وعليه هو أن يكمل كينونته.[180]

179 Ibid., p. 108
180 Ibid., p. 117

إن الاستعمال هو إستعمال الأداة. والأداة يرجى منها غاية، ويطلق عليها هيدغر لفظ Zeug. الاستعمال المناسب للأداة هو الفعل اليدوي الذي يملك طريقته الخاصة في الرؤية « prévoyance ». كل فنان أو حرفي أو رياضي، يتحسس ويروض أدوات الرغبة. فاليد ترى أسرع من العين والمخ. إنها ترى بسرعة وبرقة كبيرتين، وهذا ما يدعو إلى أهمية وتنوع النظر. ونتذكر ما قاله نيتشه حسب ما نقله إلينا هيدغر، في مقدمة **هكذا تكلم زرادشت:** "هل يجب علينا أن نحطم آذانهم حتى يتعلموا الاستماع بأعينهم"[181]. فالرؤية النظرية، على العكس، تلقي النظر على الأشياء، دون تنبؤ، وهو نظر يُنتج قواعده على شكل المنهج، إنها طريقة الفيزيائي عندما يلاحظ الأجزاء الذرية.[182] فالتجريد الممنهج يحل هنا محل السلطة الآنية للكينونة الحاضرة-تحت-اليد. إن التمييز الهيدغيري، ليس تمييزا بليغا ومقنعا فحسب، ولكنه قَلَبَ ببراعة النظام الأفلاطوني للقيم، الذي حل محل التأمل النظري على الفنان الحرفي والعامل اليدوي.[183]

ت- **الدازين هو كينونة- مع (Mit-sein)**

من هو الدازين؟ يجيب هيدغر عن هذا السؤال، في كتابه **الكينونة والزمان** في الفقرة 25 كالآتي:

"هو الكائن الذي أكونه أنا في كل مرة، أين تكون الكينونة في كل مرة كينونتي أنا"[184]. هل هذا يعني أن الدازين إذا تكلم، فهو يتكلم بضمير المتكلم "أنا"؟ فالدازين هو "كينونة-مع"، وهذا ما يسميه هيدغر بدكتاتورية الحشد Dictature du « On »، فهذا يعني أن الدازين ليس هو نفسه. لقد قلب هيدغر مبدأ الهوية الأرسطي، الذي تعودنا عليه منذ زمن بعيد، إذ كيف يمكن للشيء أن يكون شيئا آخر؟ فإن لم يكن هو وكان شيئا آخر، فهو دائما منسوب ومتعلق بشيء ما. أي ليس هناك إمكانية ليكون وحيدا، هو دائما "كينونة-مع". حتى وإن كان وحيدا معزولا عن الآخرين، فالآخرون موجودون معه. إن لم يكونوا في محيطه، كانوا في فكره، حتى في غيابهم هم حاضرون معه. إن الإجابة الأنطية أو الأنطلوجية عن سؤال من

181**ماذا يعني التفكير؟** ص. 69

182 *Être et Temps*, p. 114
183 Ibid., p. 120
184 Ibid., p 156

هو الدازين؟ تبقى محل إشكال. وإن كانت ماهية الدازين تتحدد في وجوده،[185] فإن كلمة "أنا" تحدد الدازين في ماهيته. ولهذا وجب علينا قراءة كلمة "أنا" قراءة وجودوية. يرى هيدغر في **الكينونة والزمان** أنه يوجد في العالم أنماط كينونة مختلفة ومتعددة، والدازين في وجوده المشترك هو كينونة-مع... إذ يستحيل تحديده إنطلاقا من ذاته. كينونة الدازين لا يمكنها أن تستمر في كونها كينونته الخاصة في كل مرة، أن لا يكون ذاته، هو نمط موازي لنمط أن يكون ذاته في كل مرة. الروح ليست جوهر الإنسان (لا وجود لثنائية النفس والجسد في فكر هيدغر) ولكن وجوده.[186]

يقول هيدغر: "كل شخص هو الآخر، لا أحد نفسه".[187] كيف يمكن أن أكون أنا الآخر ولا أكون أنا نفسي؟ نمط وجود الدازين هو نمط تحديد - مشترك codéterminé، لأن العالم هو شيء مشترك بين الجميع، فلا وجود لدازين وحيد. العالم مشترك بيني وبين الآخرين. والعالم هو ذلك المشترك الذي يجعلنا في علاقة مع الآخرين. وظاهرة "الهُم" هي موضوع عالم الإنشغال اليومي Le monde ambiant de la quotidienneté. "الهُم" هو الضمير الجمعي، الذي يُقصي الضمير الفردي المتكلم "أنا"، كما يقصي أيضا مسؤولية كل فرد، فندخل دائرة اللامبالاة والترفيه L'indifférence et le divertissement، فإذا أردنا معرفة من المسؤول، الإجابة تكون لا أحد. فالجميع، هو لا هذا ولا ذاك، وليس واحدا منهم ولا الجميع، الجميع هو لا أحد. إن ضمير المتكلم "أنا" ليس وحيدا على الإطلاق. ولن يكون وحيدا في تجربة الكينونة-هنا، حيث يكون لقاؤه بالآخرين من خلال العالم. وهذه العلاقة هي عنصر أساسي ومكوّن للوعي المتبادل بين الكينونة والعالم.

نحن لم نجئ هنا لنكون نحن، لم نأت إلى هنا حسب شروطنا الخاصة.[188] ولكن بالرجوع إلى الآخرين، الأنا مغترب عن نفسه، تقابله الكلمة الألمانية « Man »، فالكينونة التي هي نحن تآكلت في كينونة مشتركة في "الهُم"، أي في المشترك وفي العام وفي القطيع

185 Ibid., p. 589
186 Ibid., p. 159
187 Ibid., p. 171
188 Ibid., p. 121

وفي الجماعي grégaire، هذا الجماعي ليس الكينونة الحقيقية، بل كينونة الحشد.[189] نمط وجود الدازين هو نمط تَخَلَّى عن الأنا. أنا أنتمي إلى الآخرين، وأقوي مملكتهم. هؤلاء الآخرون في الكينونة-المشتركة-اليومية، هم - هنا. كل شكل من أشكال التعالي الروحاني اللامحسوس يعتبر ملغى، يمثل الـ"هُم"، كل حكم وكل قرار. إنه يسحب من الدازين فرديته ومسؤوليته. ولهذا، فهو لا يعرف "تأنيب الضمير الأخلاقي"، أو الشعور بالذنب La culpabilité éthique. الأنا المغترب يجد نفسه ملغى حتما من مسؤوليته الأخلاقية. وباختصار، يندرج الأنا الخاص بالدازين اليومي، تحت نمط الـ"هُم"، أو "الحشد"، وهو الأنا اللاقلق واللاأصيل.

لا يعيش الدازين اللاأصيل Un inquiétant hybride من خلال ذاته، ولكن كما يعيش الـ"هُم". إنه يعيش وفق سلم مجهول وفارغ من القيم، ومفروض عليه. في هذا النمط من الوجود الذي يعيش فيه الدازين حالة مستمرة من الخوف من آراء الآخرين، وما سيقرونه عنه، فلربما هو ليس في المستوى المطلوب، ونحن لا نفعل شيئا لمراقبتهم، أو حتى لإعدادهم. الخوف من هذا النظام يسمى: Furcht

يختلف "الهَمّ" Sorge عن الخوف. والهَمّ هو الذي يجعل سؤال كينونتنا في العالم جديرا بالتساؤل. الهَمّ والقلق Angest هو علامة الأصالة، والخوف، هو علامة أو رمز اللاأصالة في شهرة الـ"هُمْ".[190] اللاأصالة هي نمط سقوط الدازين. ولكن ماذا يقصد هيدغر بالسقوط ؟

إن نمط وجود الدازين الكائن تحت نمط الـ"هُم"، هو ما يطلق عليه هيدغر Verfall. مصطلح "السقوط"، لا علاقة له بالثيولوجيا أو بالخطيئة الأصلية. يقول هيدغر إن السقوط لا يحتوي على حكم لقيم أخلاقية. إن شرحه لهذه المفارقة يبدو غير يسير على الفهم، ولكنه يبقى إيجابيا، لأنه من خلال سلبية السقوط ومن خلال اللاأصالة يدخل الدازين في علاقة مع الكينونة ومع الآخرين، لأن نمط وجود الدازين هو نمط الكينونة في العالم والكينونة - مع.

189 Ibid., p. 122
190 Ibid., p. 125

هذا ليس صدفة أو خيارا خاطئا، إنهما مكوّنان أساسيان في الوجود الخاص بالوقائعية الوجودية لليومي.

السقوط، هو تحديد وجودَوي، لأنه هو الذي يجعل البناء الأنطولوجي الأساسي للدازين نفسه ممكنا، بعيدا عن تحديد وجهة العالم. يكون سقوط الدازين في كل يوم في نمط وجوده اليومي. السقوط هو ميزة تميز الدازين، هذا الأخير في إلتزامه مع الآخرين ومع العالم الفينومينولوجي لم يبرأ من الكينونة.[191] فما يميز الدازين ككينونة ملقاة هو السقوط والإنحدار نحو الأسفل، أين يقفز الدازين في الفراغ.[192] ولكن الوعي بالسقوط هو أول خطوة نحو الدازين العازم résolu على الخروج من حالة الضياع والإغتراب التي يعيشها.

يرى هيدغر أن السقوط إيجابي، فهو يحمل معنى عميقا. لا بد من اللاأصالة والحشد والثرثرة، حتى يعرف الدازين ضياع أناه، فيستطيع أن يعزم على العودة إلى الكينونة الأصيلة. وبهذا، يصبح السقوط شرطا ضروريا وقطعيا في هذا النزاع من أجل دازين حقيقي وأصيل ولاستعادة الأنا من خلال اللاأصالة. الدازين مطالب بالذهاب للبحث عن الأصالة. ولكن، ما هو الوجود الأصيل؟

الوجود الأصيل، ليس شيئا يطفو على سطح نمط اليومي أو على طريق السقوط أو على تخطيط وجودي، الوجود الأصيل هو تقبض تم تغييره. ولكن ما هي الآلة المناسبة لهذا القبض؟ ما هي العلاقة الطبيعية التي تُوَحِد اللاأصالة الضرورية للكينونة في العالم بالمجهود الضروري نحو الدازين الأصيل؟[193] نجد الإجابة في الفصل الأخير من القسم الأول من **الكينونة والزمان.** إنه الهَمّ. وهو مصطلح ظهر مع كيركغارد. يشعر الدازاين المهموم والغريب في العالم بغرابة وجوده في العالم. الدازين هو المهموم في العالم، وهو الغريب L'étranger. ظهر هذا المصطلح مع فرويد، وسبق ظهوره أيضا مع إبن رشد، ويُعَبِر عنه هيدغر بـ Unheimlich كائن دون مأوى، وهو نمط وجود خارج عن الـ"هُم".

191 Ibid., p. 130
192 Ibid., p. 226
193 Ibid., p. 130

تعلن هذه الغرابة عن نفسها في لحظات النقد، حين يضع الهَمّ الدازين وجها لوجه مع حريته المروعة، فإما أن يكون أو لايكون.[194] يبقى الدازين ويستمر في نمط وجوده اللاأصيل، أو يُلزم نفسه على الإتجاه نحو إمتلاك الأنا. يعرف الدازين بأنه موجود وحاضر وحرّ أمام قمع الغرابة. الدازين هو الغرابة المهمومة l'inquiétante étrangeté. ولأنه - مع... وفي- العالم، فهو يملك مأوى يفر إليه، وينسى فيه شرط كينونته أي "الموت". إنه في الألفة والتعوّد، ولكن يُلزمه الهَمّ بأن يكون" كينونة-من-أجل". إنه وسيلة التعالي على المعتاد، ليصبح بذلك كينونة دون مأوى، إنه الكائن القلق نحو... والقلق مع... والقلق على الآخر، فيظهر الدازين "كمساعد"، ولكنّه ليس هذا هو الدازين الأصيل، لأن الهَمّ هو من يُغلق باب فكرة القلق على.. والقلق مع، ليجيب عن حضور وغموض الكينونة نفسها. هذا هو الهَمّ الأصيل، الذي يجعل من الدازين أصيلا. الإنسان اللامهموم واللامبالي، هو إنسان غير حرّ وغير مسؤول، إنه إنسان لاأصيل، بينما الإنسان المهموم والمبالي، هو الإنسان الأصيل، الذي يفتح باب سؤال فهم الكينونة.[195]

إن كينونة الدازين المقصودة هنا، هي الكينونة القلقة التي أتت بتعريف لاحق للإنسان كـ "راع" وكـ" وصي" على الكينونة. يلخص لنا هيدغر، أن الهَمّ هو حالة الكينونة الأصيلة للدازين، الذي يلزم نفسه على الذهاب نحو الأصالة. فالكينونة الأصيلة هي الكينونة- من- أجل-الموت L'être- pour -la- mort لأن باب العدم، هو المفتاح الوحيد القادر على فتح باب فهم الكينونة. فماذا تعني عبارة الكينونة- من- أجل- الموت؟

ث- **الكينونة- من- أجل- الموت (sein zum tode)**

الكينونة والزمان هو تحديد متبادل بين لفظين أو مفهومين للأنطولوجيا الأساسية التي تبين لاإمكانية وجود الدازين من دون الزمان ويطلق عليه هيدغر لفظ Zeitlichkeit، أي أن الدازين محدد بالزمان، فوجوده خارج الزمان، هو وجود لا معنى له. نحن نلتقي بالكائنات في أفق الزمان.[196] تحوي الزمانية المعنى الأول لكينونة الدازين، والمعطيات المحدّدة لكل

194 ربما كان لفكر هيدغر وخاصة أثناء كتابته **الكينونة والزمان** علاقة بكتاب **هاملت**، *Hamlet* لشكسبير، William Shakespeare
195 Ibid., p. 133
196 Ibid., p. 134

معرفة هي المكان الهندسي والزمان المثالي اللانهائي بالنسبة إلى كثير من الفلاسفة، كأفلاطون وديكارت. لكن بالنسبة إلى هيدغر، الأمر مختلف تماما. الزمانية الهيدغيرية متعلقة بالزمان الفردي وإختلافه وتباينه الأسكاتولوجي.* الكينونة من أجل الموت هي أمر قطعي بالنسبة إلى الدازين نفسه. فالموت مُكَوِّنٌ وُجُودَوِي للدازين، وهو الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يفعله أي شخص آخر بدلا عنك. تجربة الموت هي تجربة الدازين الخاصة، التي يكون فيها وحيدا وأصيلا. الكينونة من أجل الموت هي التي تعدم الكينونة- في- العالم والكينونة-مع... هذا النمط من الوجود هو نمط وجود أصيل. أنطولوجيا الموت والوجود مكونان أساسيان للكينونة الخاصة. ليس الموت حدثا، الموت هو ظاهرة وجودَوية للفهم. الموت هو الحقيقة الأساسية لمعنى الكينونة. إن الكينونة الإنسانية، هي كينونة غير مكتملة لأن الدازين لم يكتمل بعد، فهو في طريق إكتماله. يشكل الدازين في كل مرة خطوة نحو نضج لم يكتمل بعد، Ernst bloch. كل كينونة أصيلة هي كينونة - نحو- نهايتها – الخاصة.

"التوجه- نحو"، هي فكرة مركزية في علاقة الدازين بالزمان. هنا يردد هيدغر عبارة من العصر الوسيط، يقول فيها: "بمجرد دخول الإنسان إلى الحياة، فهو قد شاخ منذ البداية، بما يكفي ليموت". فالموت هو ظاهرة الحياة، وهو الظاهرة الوحيدة التي تحددها الحياة، فإمكانية الدازين متعلقة بلاإمكانيته، ولا معنى للأول إلا بالثاني، كما لا يمكن للواحدة أن تكون من دون الأخرى. ليست الموت الإمكانية القصوى فقط للاإمكانية الدازين، ولكنها الأكثر خصوصية ومطلقة، ولا يمكن في أي حال من الأحوال الهروب منها أوتجاوزها. في الموت لا أحد يُمثلني ففي هذه الإمكانية القصوى للاغمكانيتي أكون وحيدا. الموت هو حالة أصيلة تُخرج الدازين من نمط وجوده اليومي الذي تميزه الكينونة-مع . يكون الدازين في نمط وجوده اليومي في الألفة التي تجعله يهرب من الموت فلا يتساءل عن حقيقة كينونته.

أن نقول: "هم يموتون"، هي جملة لا معنى لها، لأن الموت تجربة فردية وليست جماعية. في الموت، يمر كل فرد بتجربة خاصة به وحده. إن هروب الدازين من الموت، هو هروب من الذات للإختباء في الألفة وفي الحشد. هذا الهروب، هو هروب أمام الغرابة التي

تحدد في الأساس الكينونة-في-العالم ككينونة وحيدة. الدازين أمام خاصية الموت، هو كينونة وحيدة.[197]

خلاصة

يبدو أن سؤال الكينونة، قد وضع كل المعارف السابقة بين قوسين، إنطلاقا من التحقيق في كل من الأنطولوجيا والميتافيزيقا والثيولوجيا والعلم، مع تحديد موضوع بحث كل منها. إنحرفت الميتافيزيقا الكلاسيكية عن مسارها الصحيح، لتصل عن طريق العقل إلى ضرورة وجود سبب يحدث الأشياء. إلا أنه مبدأ العلم، فالكائن هو موضوع العلم لا الفلسفة. كما إنتهى البحث عن الحقيقة المطلقة في سلسلة الأسباب اللانهائية - بحكم الضرورة - إلى وجود سبب أول لا سبب له، وهو الكائن المطلق "الله"، فامتزجت الأنطولوجيا بالثيولوجيا، وتحولت الميتافيزيقا إلى أنطوثيولوجيا. ولكن أساس الأنطولوجيا التي يبحث عنها هيدغر، هو أنطلوجيا الكينونة لا الكائن، بحكم أسبقية سؤال الكينونة على سؤال الكائن. كما أن البحث في الكينونة يستدعي تثبيت أساس الدازين في العالم، وتحديد موضعه في الوجود وهو الذي يعطيه هيدغر إسم الأنطلوجيا الأساسية.

197 Ibid., p. 333

كلمة إسكاتولوجي وهي كلمة مأخوذة من الديانة المسيحية وتعني: العلم الذي يبحث في النهايات القصوى للإنسان وللإنسانية ويمكن أن نقول "المصير"أو "الخلاص". الإسكاتولوجيا هي خطاب حول نهاية الزمان.

الفصل الثالث

حقيقة الكينونة في مسرح اللغة

المبحث الأول: حقيقة الكينونة

علينا أن نكتب في الأعلى على واجهة أعمال هيدغر:"لا نستطيع الذهاب أبعد مما ذهب إليه هيدغر، نحن فقط نريد أن نبلغ أخيرا، حيث كنا نقيم."[198]

يدفعنا تفكير هيدغر إلى مسالك صعبة ومخيفة وشائكة ومتشعبة، هذا المفكر البارع في وضع التساؤلات القلقة، والشيء الذي يجعل بدوره كل من يقرؤه يطرح سؤالا قلقا، هل من الضروري أن تكون اللغة غامضة ومعقدة حتى تعبر عن فكر عميق وأصيل؟ هل ينبغي لعاشق الحقيقة أن ينتج لغة خاصة به، أي لغة متحررة، من قوالب الحس المشترك؟ لغة شاذة، تختلف عن اللغة العادية والبسيطة، لغة تشبه الطبيعة في تحررها؟ لغة لا تحب الأبواب المغلقة، لغة تأبى القضبان والأسوار حتى تعالج سؤال الكينونة؟ ألأجل هذا السبب أبدع هيدغر في نحت الألفاظ، فأبحر في هذه المهمة بعيدا؟ ثم ما هي الأبعاد التي يرمي إليها هيدغر عندما ابتدع لغة جديدة؟ ربما كان هدفه الخروج عن المعتاد والإبتعاد عن الكوني. وكأن العالم الذي نسكنه يعد بمثابة "كهف أفلاطون الثاني"،[199] فالمفكر الذي رأى النور وعاد ليخرجنا إليه ويحررنا من الظلمة لندرك ضوء النهار، هو "مارتن هيدغر". ذلك المفكر الذي إختبر تجربة أصيلة أصالة لغته، هذه اللغة التي حاول من خلالها إخراج الإنسانية من الثرثرة ومن التيه والحيرة والاغتراب.[200] هذا الكهف الذي مكثنا فيه لمدة قرون خلت، معتقدين أننا قد ملكنا فيه زمام الفكر، هو نفسه الكهف الذي مازلنا نتخبط فيه تحت أنقاض الميتافيزيقا التقليدية.

إذا كان غرض المفكر تنوير الإنسانية وإيصال فكره إلى غيره، ألا ينبغي إستخدام لغة بسيطة، يسهل على القارئ فهمها؟ فالغموض دليل على عدم الفهم والإغتراب والتيه، فالفكرة الواضحة هي التي ينبغي أن تصل في ثوب واضح وبسيط. أم أن المفكر يتعمد الغموض لأنه يخاطب فئة معينة، وهي النخبة. لا يريد هيدغر فكرا مبتذلا، وهذا ما نلمس من

198 Marlène Zarader, *Heidegger et la parole de l'origine*, Vrin, 1986, p. 183.

199 Rémi Brague, *Introduction au monde Grec*, Edition, Transparence, 2005, pp.21, 22

200حدث Claude Lévi- Strauss عن المرحلة الألمانية وذكر الكهف الثاني، تحت الكهف الأول، أي الكهف الطبيعي. أما الكهف الثاني فيحمل طبيعة تاريخية. لذلك علينا المرور بالكهف التاريخي لنصعد بعد ذلك إلى الكهف الطبيعي الأفلاطوني. وربما كانت الفلسفة من سقراط إلى غاية نيتشة بمثابة الكهف الثاني الذي سكناه لآلاف السنين. الفكرة موجودة في كتاب **ماهية الحقيقة**، *L'essence de la vérité*.

خلال قراءاتنا لكل الذين درسوا على يده، وهم كثر أمثال إمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas وجورج هانس غادمير Hans-Georg Gadamer وحنة أرنت Hannah Arendt، وهنا يرفع الاحتجاج صوته عاليا ليقول: من لا يريد أن يشاركه الآخرون فكره، فمن الأفضل ألا يكتب. ولكن ربما كان هيدغر عاشقا للتخفي وراء ألفاظه الفريدة، فيجدر بنا أن نسميه فيلسوف التخفي والإحتجاب، وهو القائل في الفقرة السابعة من **الكينونة والزمان** بأن أكثر شيء خاص في الظاهرة لا ينبغي له أن يظهر. وربما كان يريد أن يعيش تجربة أصيلة أصالة الموت، تجربة لا يشاركه فيها أحد.

هيدغر العائد إلى دروب الفلسفة الأولى، هل كانت عودته تلقائية أم ضرورية تحمل في طياتها معنى وغاية؟ هيدغر الذي يملك قناعة بأنه لا وجود لفلسفة خالصة إلا الفلسفة اليونانية وخاصة القبسقراطية. هل حكمه هذا عائد إلى اللغة اليونانية، كونها لغة فلسفية في ماهيتها، أم لأنها التجربة الفلسفية الوحيدة التي أتقنت فن الكلام عن حقيقة الكينونة؟ هيدغر المتحدث باللسان الألماني، هذه اللغة التي ساعدته كثيرا ومكنته من إبتداع لغة فلسفية خاصة لما تحمله من خصائص ومميزات، نجد أنه يستعمل أحيانا ألفاظا بمعاني مختلفة لم نعهدها سابقا، وأحيانا أخرى يُرَكِّب بين الكلمات لينتج مصطلحات جديدة. إنها مصطلحاته الخاصة، التي تحمل بصمته، فيضاف بذلك رصيد جديد إلى رصيد الفكر. مسألة المصطلحات هذه هي فكرة أصيلة أصالة صاحبها، فكرة لا تقبل التقليد. ولكن، فهل اللغة هي نتاج الفرد أم الجماعة؟ فإن كانت اللغة نتاجا وإبداعا فرديا، فهي بالتالي محل فخر صاحبها، فيشبه الفيلسوف في ذلك الموسيقي، الذي إبتكر سنفونية موسيقية، فيكون لكل حركة إيقاعها وأثرها على السمع، وفي النفس أيضا، إلا أن الموسيقى هي لغة الروح، لغة يشترك في فهمها الجميع.

هل اللغة هي ماهية الإنسان؟ هل الكلمات هي رموز ترشدنا إلى عالم لا نراه؟ هل اللغة رموز تعكس وتعبر عن الممكن وما يقابله؟ ما هي القوة التي تتمتع بها الكلمات؟ هل تملك الكلمات قوة الخلق؟ هل نخلق عالما بالكلمات؟ هل تملك الكلمات القدرة على فتح الأبواب التي لم تفتح بعد، فتكشف لنا سر حقيقة الكينونة عبر تاريخها الطويل؟ هل نستطيع

بالكلمات تسمية كل الأشياء؟ هل تستطيع الكلمات أن تَعْبُر إلى العالم اللامرئي؟ ثم كيف فكرنا في عالم لامرئي وكيف شَغَلَنا؟ ألا يفترض عدم قدرة العقل على التفكير في اللامفكر فيه، فاللاكائن هو العدم. هل يمكن للإنسان الإمساك بالعدم؟ وهل يمكن للإنسان أن يتخطى ويتجاوز إمكانياته؟ هل الفكر هو إنصات إلى صدى القول أو هو رؤية ظلاله، تماما كظلال كهف أفلاطون؟ هذه الأخيرة التي تُظهر لنا بعدا آخر للواقع، ولكنه صدى مرئي، إنها صورة نصف صامتة، وصوت مكبوت لا يسمعه إلا من كان يتقن إلتقاط إشارات الصمت.

يريد هيدغر أن يسمعنا صوت الصمت، لأن هذا الذي يتجاوزني وينسحب بعيدا وباستمرار، هو من يجذبني إليه بقوة، ويدفعني إلى التفكير فيه أكثر فأكثر. فالشيء الذي يدفعنا إلى التفكير، هو أننا لا نفكر بعد فيما يستحق التفكير حقا، أي فيما هو جدير بتفكيرنا، وهو مسار دقيق وحساس. هذا هو المسار الذي يريدنا هيدغر أن نسلكه. فالتكشف هو معطى مرئي، ولكنه لا يحيط بكل ما يظهر.[201] ولهذا، فإن الاختباء هو النمط الآخر للتكشف. هذا الأخير، يدفعنا إلى رفع الحجاب عنه، وكلما تقدمت الإنسانية خطوة إلى الأمام، زاد جموحنا ورغبتنا في رفع الحجاب عنها أكثر فأكثر. وُجد الإنسان ليتجاوز إمكانياته. ورغم علمه مسبقا أنه لن يصل أبدا فإمكانياته محدودة، إلا أنه لا يتوقف أبدا عن المحاولة. الفكر هو الديمومة وهو حركة مستمرة. الفكر حركة لا تتوقف أبدا.[202]

كانت قراءات هيدغر للنصوص القديمة عميقة، حيث كان يبحث من خلالها في أصل الكلمات. فهو لا يريد الوقوف عند المعاني الظاهرة، بل يريد أن يذهب إلى أبعد من ذلك. يريد هيدغر الوقوف عند المعاني المختبئة خلف ما يظهر لأن الحوار يتوقف وينتهي قبل أن يبدأ إذا لم نغص في الأعماق. ما يريده هيدغر هو الوقوف عند ذلك الصمت الموجود في القول، ويبحث له عن مكان، ليتحرى ويفحص العلاقة الموجودة بين الكينونة والفكر. ولكن قبل كل شيء، يجب أن ننبه إلى الشذرة VIII 34 لنص برمنيدس الشعري والمتعلق بهذه العلاقة عن قرب، حيث تتحدث هذه الشذرة عن الكائن واللاكائن.

201 Christophe Courtin, *Lire Heidegger aujourd'hui,* p. 10.
202 Ibid., p. 15.

لا يتحدث برمنيدس في الشذرة III عن الكينونة فقط، بل يتحدث أيضا عن الكائن. لا يفكر برمنيدس أبدا في الكائن في ذاته، إذ يمكن أن يكون كلامه عن كينونة الكائن εον، ولكنه يشير إلى أيناي- ειναι بمعنى الكينونة في ذاتها، وكأن المفكر هنا يريد إخراج الميزة اللاحسية للكينونة في مقابل الكائن الذي يعد حسيا.

1- **نسيان الكينونة في حقل اللغة**

يقول هيدغر، في كتابه **رسالة في النزعة الإنسية**، نسيان الكينونة هو موضوع كتاب **الكينونة والزمان** من أوله إلى آخره. تحدث كل من أفلاطون وأرسطو وتوماس الإكويني Saint Thomas d'Aquin وليبنتز عن الكينونة، ولم يخلطوا بينها وبين الكائن، وإن كان هناك لبس فهو فقط في الحدود. هذا ما سماه الإغريق "أون، أونتوس" ον، οντως، أو "أليثوس أون" αληθως ον، وهو محدد للكينونة منذ أفلاطون لأنه يوجد في الكائن أكثر ما هو حقيقي من الكائن، ولكنهم لم يفكروا فيه أبدا انطلاقا من الفرق الأنطولوجي، أي إنطلاقا من الفرق بين الكائن والكينونة.[203] هل كان نسيان الكينونة خطأ وقع فيه اليونان، فانحرفنا وأضعنا طريق الكينونة بعد إنحرافهم، فبدل التفكير في الكينونة، توجهنا بتوجههم نحو الكائن؟

النسيان ليس خطأ، النسيان هو جزء من الذاكرة. ولهذا، فإن اهتمام الفلسفة اليونانية بالكائن بدل الكينونة ليس خطأ. الخطأ هو عندما نقول سنبدأ من الغد الحديث بجدية عن الكينونة.[204] طريق التفكير في الكينونة طريق طويل وشاق.

بدأ النسيان من مبدأ العلة، لا يوجد شيء دون علة كافية. إن قراءة هيدغر الثانية لمبدأ العلة بمعنى النداء هي إدراك لما تشير إليه الكلمتان "كينونة" و"علة"، وهما الشيء نفسه. أن نقول لا وجود لشيء دون علة، هو نفسه لا وجود لشيء دون كينونة. باعتبار أسبقية سؤال الكينونة عن سؤال العلة. فكلمة "علة" بالألمانية هي غروند Grund، وتدل على شيء ما. فالكلمة ترجع عبر دلالتها إلى شيء ما، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو، كيف يمكن أن

203 **ماذا يعني التفكير؟** ترجمة نادية بونفقة، ديوان المطبوعات الجامعية 2008-2009، ص. 85

204 Etienne Gilson, *Introduction à la philosophie chrétienne*, Vrin, 1960, p. 171-172

تكون الكينونة والعلة الشيء نفسه؟ كيف يمكن أن يتحد الحساب Ratio وهو العلة والعقل مع الكينونة من جهة، ومن جهة أخرى، كيف يجتمعان في وحدة واحدة؟ كما أننا إذا تأملنا في العلاقة بين الاثنين سيتضح لنا وميض من النور ومن الظهور والانتشار في الوجود الذي يضيء ويحجب تاريخ الغرب، وهو تاريخ العالم. كلمة Grund هي ترجمة لكلمة راتيو وتعني علة وعقل. إذا كانت الكينونة هي العلة، فإن الظهور الحديث للكينونة لا بد أن يحمل هو الآخر معنى مزدوجا، وهو المعنى الذي تحمله كلمة راتيو. فعندما تحدث ليبنتز عن مبدأ العلة، تحدث باللغة اللاتينية، ولكنه لم يعتمد لغة روما القديمة. راتيو بمعناها القديم تعني الحساب دون أرقام. الحساب البعيد عن الشك والاعتباط، أي ما يستند إليه نتاج الحساب. وبهذا راتيو هو الأرض أو القاعدة أو الأساس، إنه الأصل، الكلمة Grund بعيدة عن كلمة Vernunft أي عقل الذي يدل على الإدراك Vernehenen.

وُجِدت دلالة الكلمتين منذ زمن بعيد متحدة في كلمة راتيو بمعنى الحساب. حساب الشيء يعني حَكَمَ شيئا على قاعدة ما، ويُقصد به حساب رياضي، ولكن هناك معنى آخر[205] نجده في أونتيغون Antigone. وتبدأ الإشارة حول أونتيغون على النحو التالي: "الحساب يقوم على التسديد"، الحساب باللاتينية Ratio والتسديد Reddere، ولكن كلما تغير الإطار الذي يقدمه تاريخ الكينونة، يأخذ التسديد في كل مرة معنى مختلفا. وبهذا، فالكينونة هي تاريخ يُعبر عن وجود علاقة إنتماء وتبادل بين الاثنين (الكينونة والحساب). هذا الانتماء يبدو كعامل ثالث، أو كملجأ، ولكن هذا غير صحيح، إذ يتضح الانتماء المتبادل، من خلال ما يتضمنه، أي ما يحكيه من تلقاء نفسه. تُكَلمنا الكينونة بوصفها فيزيس φυσις أي تفتحا فطريا، وبوصفها أوزيا ουσια أي حضورا وموضوعية، ويكلمنا ما يسمى راتيو كعلة وكعقل أيضا، والشيء الغامض هو ما يجمع هذه الأشياء. هذا هو ما يستحق البحث والتدقيق، فالانتماء المتبادل يظهر من خلال مقام الجمع، حيث أن الجمع أكثر من الالتحام، فالكينونة تنتمي إلى الحساب، والعكس، أي هناك علاقة إنتماء متبادل. كلمة "راتيو" هي حكاية تاريخية وهي نفسها حكاية الكينونة.

205 **مبدأ العلة**، ص. 113

يقول هيدغر: لماذا لا تجيبنا كلمة راتيو، عندما نسأل كيف ينبغي أن تكون دلالة الإنتماء إلى الكينونة؟ يفسر هذا الصمت، بمخاطرة فهمنا لكلمة راتيو بحد ذاتها. وبالتالي، إذا فصلناها عما تحكيه، وهي دائما حكاية تاريخية، فهي تحكي تاريخ إنتمائها إلى الكينونة، وكلمة كينونة هي الأخرى تحكي تاريخا، إذ لا يمكن معرفة كيف تتحد الكينونة والحساب إلا على قاعدة الظهور. ولكن لا يمكننا أن ندرك هذا الظهور إلا إذا عدنا إلى تاريخ الفكر الغربي الذي يبدأ مع اليونان، فنطرح سؤال الإنتماء ونصيغه بمصطلحات تاريخ الكينونة وذلك بالصعود نحو الأصول. إذ لا يمكن فعل ذلك إلا إذا فكرنا كما يفكر اليونان بالسؤال وما يهدف إليه، لأن إنتقال كلمة Grund إلى ما يسمى Ratio - مع العلم أن هذه الكلمة هي كلمة رومانية وليست يونانية - في تاريخ الفكر الغربي هي في الحقيقة ترجمة، أصبحت تحمل معنى مزدوجا، أصبحت كلمة "راتيو" في العصر الحديث تعني علة وعقلا.

كذلك تحكي الكلمة اليونانية لوغوس من خلال الإسم اللاتيني Ratio. وهكذا، فإننا لا نستمع إلى مبدأ العلة بصيغته الثانية، أي حكاية الكينونة، إلا في إطار تاريخها باللغة اليونانية. "لوغوس" و"كينونة" هما الشيء نفسه.

تو أوتو إيستين أينايي تي كاي لوغوس، To αυτο εστιν ειναι τε και λογος.

يقول هيدغر، إن "لوغوس" و "أينايي" هما الشيء نفسه، ولكن هذه العبارة لا نجدها في كتابات اليونان، فكلمة "كينونة" ειναι بالرومانية اللاتينية هي esse، وكلمة لوغوس تعني إقترب وأظهر كينونته بحضور معين، وإنطلاقا من اللفظ اليوناني يُقصد بالكينونة ظهر في[206] اللامحجوب وإقترب ولمع ودام وإستمر بهذا اللمعان. ولكن، كيف يمكن أن تتحد الكينونة بهذا المفهوم مع العلة Grund والحساب Ratio؟ إن صياغة السؤال على هذا النحو لا توصلنا إلى أي إشارة نظرا لما تحمله من غموض. ولكن يمكن صياغة السؤال على النحو التالي: كيف تتحدد "الكينونة" ειναι بوصفها الكينونة-الحاضرة مع ما يسمى "لوغوس"؟ هل فَهِمَ الإغريق حقيقة الكينونة؟ لم يستطع الإغريق إظهار حقيقة الكينونة مكتملة، لأنهم لم يختبروا ظاهرة نسيان الكينونة كخط فاصل أو كخاصية أساسية لتجليها أو لظهورها الأكثر

206 **مبدأ العلة**، ص. 116

خصوصية، فإظهار المنسي المنسحب، لا يُفْهم إلا عن طريق الشعر أو الشعور أو الوجدان في أعلى تجلياته. وهذا ما نجده في إحدى قراءات هيدغر لكلمة مبدأ Salz، حيث يقول بأن لهذه الكلمة دلالات كثيرة وأننا إذا تفكرنا بها لا بوصفها بيانا أو حكاية أو قفزة فحسب، بل بوصف المبدأ أيضا كجملة موسيقية، هنا فقط نصل إلى رؤية كاملة للمبدأ. ويقصد أن الأصل هو "نغم" موسيقي. يقول غوتة: "الجملة الموسيقية هي التي تقود الموسيقى، تظهر وتعود وتتشكل وتتكثف دائما، إلى أن يرضخ الذهن لها رضوخا تاما".[207] إن إظهار الكائن في حضوره الأكثر سرية، أي أن إظهار الحضور الذي لم يظهر بعد، هو مهمة الشاعر، فالشعر وحده يحرر الحضور من الظهور. ولكن لماذا الشعر أو لماذا القصيدة على وجه التحديد؟

أبعاد الشعر كثيرة، وهي التي تنتج في مفترق الطرق أبعاد العالم، التي تتجمع فيها السماء والأرض والإتيان بالكائن المحكوم بالموت أي الكائن الفاني والعلامات أو الإشارات التي كانت تدل دائما على قول الآلهة، أي الكائن الأزلي. وهذا ما يسميه هلدرلين بـ"المقدس" Das Heilige ويسميها بودلير "الحقيقة المضيئة في إنسجامها الأول أو الأصلي".[208] ولكن عندما نسمع كلمة "مقدس" يتهيأ لنا أن المقصود من هذه الكلمة، هو ما يطلق عليه باللغة اللاتينية Sacrum، إلا أن المقصود بالمقدس في نظر هيدغر هو "الصدى" وهو الحضور الدائم للغياب. كما أنه يدل على ما هو قادم، وهو أكثر شيء خاص في الغياب. فهل أنقذت الفلسفة الظهور في تسميتها للكينونة، أم أنها تاريخه؟

الفلسفة والميتافيزيقا مترادفتان عند هيدغر، حيث كان المكان الأكثر خصوصية للنسيان بدوره منسيا هو "اللغة". فجبل النسيان هو أعلى قمة في السلسلة الجبلية الطويلة للكينونة، فعندما باشر هيدغر بالتأمل، ولأول مرة في ضرورة العودة إلى الفلسفة اليونانية في فجرها الأول، وفي تجاوز التجربة اليونانية ذاتها، كان قد فكر في "اللغة"، بإعتبارها مأوى للكينونة.

إن الجوهر المتحجب (جوهر الإختباء) بالنسبة إلى المفكرين الإغريق الأوائل، يسمونه أليثيا αληθεια وتعني "اللاإختباء" أو "اللاحجب" ويسمونه في الوقت نفسه "ليثي"

207 المصدر نفسه، ص, 97

208 Baudelaire « L'éclatante vérité de son harmonie native » p. 10

ληθη وتعني الإختباء أو الحجب، وهو المكان الذي تخرج منه الأليثيا من النسيان، فيتولد عن هذا الخروج اللاانسحاب أو اللاإحتجاب وهو الإنكشاف. فالليثي أو اللاحقيقة هي الإنسحاب واللاإنفتاح أو الإظلام الذي يمنع الأليثيا من التكشف.

نستنتج مما سبق ذكره، أن الترجمة اللاتينية لم تكن وفية للمعنى الأصلي. وهذا يحيلنا إلى فكر آخر، إنه فكر هرقليطس، ففي الكلمة الغامضة يوجد قول غامض، جعلنا نصغي لأول ولآخر مرة إلى أن الإنسحاب ليس عدو اللاإنسحاب، ولكنه يحفظ فيه ما هو خاص به. هذا ما قاله هيرقليطس في الشذرة 123، فلا شيء أعز على الظهور من الإنسحاب. وهذا يعني أن الإنسحاب أعز وأغلى بكثير من الظهور، وربما فيه تُحفظ كرامة الكينونة-هنا.

في **الكينونة والزمان**، يتميز الإنسحاب أيضا كإنسحاب عالم Entweltchung، ويسمى أيضا Verfallen أي السقوط أو النسيان. وكانت بدايته مع الإغريق، عندما تم إعطاء كلمة أليثيا معنى الإنفتاح دون إنغلاق، أي أنها إنفتاح كامل وحقيقة واقعة. لكن الأمر مختلف تماما مع هيدغر، وسينقلب رأسا على عقب. الشعراء هم من سَيُوهج شعلة اللاتوافق واللاتطابق. الشعر ليس لعبة، ولكنه يخدم القول. الشعر يسمي "المقدس" والتسمية "نداء" حيث لا يتوقف الدازين عن مناداة الحضور الدائم للغياب. ولكن هل فعل النسيان المرتبط بالحضور الدائم للغياب هو نتيجة لإنسحاب الكينونة وتواريها، وأن فعل إنسحاب الكينونة هو من رسخ فكرة النسيان والإستغراق فيه أكثر فأكثر، فإكتسحت التقنية العالم ولم تترك مكانا للمفكرين والشعراء؟

2- **النسيان ليس خطأ بل هو نتيجة للإنسحاب**

لا يمكن للفكر أن يكون بدون لغة. ومع أن الفكر طبيعة بشرية، إلا أن إنتقاله وإنتشاره في العالم ليس يسيرا بسبب اختلاف اللغات وتعددها. إذ كيف يمكن أن نفكر دون اللجوء إلى الترجمة؟ وكيف نترجم دون تأويل وفهم لفكر السابقين؟

إذا كانت الكينونة هي الانفتاح، أي اللاإنسحاب، فما هي الكلمة التي تشير إلى نقيض اللاانسحاب؟ اللاانسحاب يعني عدم التخفّي، أي الحقيقة كإنكشاف To αληθες . ولكن منذ

زمن بعيد، بقي هذا المفهوم غامضا، ولا ندري بأي معنى نفكر في اللاإنسحاب، فهل يمكن أن يكون نقيض الحقيقة كلاانسحاب هو "الخطأ"؟ عندما نحذف الألف الحرمانية في اللغة اليونانية، فإن نقيض الأليثيا هو الليثيا، ولكن يبين هيدغر في كتاب **برمنيدس** *Parménide* أنه لم يجد في أي مكان كلمة ليتيس ληθες بمعنى "الخطأ"، لأنّ الخطأ عند اليونانيين هو ما يسمونه بسيبودوس، ψευδος.[209] وهو بالنسبة لهيدغر نمط إنسحاب. إذا كان اللاإنسحاب يعطي لجوهر الحقيقة بصمتها، فإنه علينا أن نحاول فهم الخطأ كإنسحاب.

يريد هيدغر أن يلمّح إلى بأنّه لا يمكننا أبدا الوصول إلى الحقيقة بمعنى اليقين أو إلى الخطأ بمعنى اللايقين في طريق بحثنا عن الكينونة ككينونة، ففي كل حقيقة جزء من الخطأ بمعنى الإختباء وفي الخطأ أيضا جزء من الحقيقة كلاإنسحاب. فإذا اعتبرنا أنّ اللانسحاب هو الحقيقة، والانسحاب هو الخطأ، فالإنسان غير قادر على الحكم على الحقيقة أواللاحقيقة. فِعل الكشف هو فِعل الكينونة وليس فِعل الكائن. حقيقة الكينونة هي إنفتاحها. يستقبل الكائن ما تخرجه الكينونة من الحجب. وهكذا نقول أن الكينونة الإنسانية هي في الحقيقة واللاحقيقة، في الانسحاب واللاإنسحاب وفي التذكّر والنسيان. فعندما نسأل ما الحقيقة؟ يجيبنا هيدغر: " الحقيقة جزء ظاهر وآخر منسي.".[210] لا وجود لحقيقة خالصة، وإذا فكّرنا فيها بطريقة يونانية فهي تعني لانتسانوماي، λανθανομαι، أي المستمر في الانسحاب بالنسبة لي ولكنه غير منسحب بالنسبة لآخر. الظهور هو اختباء ولاإختباء في الوقت نفسه. ولكن ينتج نسيان الكينونة عن الاختباء. فعندما أقول: " نسيت هذا أو ذاك... فليس هناك شيء يفرّ منّا فقط، ولكن يسقط النسيان نفسه في الإنسحاب. عندما أنسحب عن الكائن، فأنا منسحب أيضا عن نفسي وأستمرّ في الاختباء. هذا الانسحاب نفسه ومن جهته، هو مختبأ.[211] وهكذا نستنتج أن الإختباء هو الخاصية الأساسية للكينونة، فعندما أنسحبتُ، فأنا أعدم كينونتي. وهنا نضرب مثال أبيقور Epicure الذي يبين فيه أن المحافظة عن الحياة الخاصة يكون بعدم إخراجها إلى العلن، في قوله « Λαθε Βιωσας » المعنى اليوناني لهذا القول يدعونا إلى الإستمرار في الإختباء فيما يخص الطريقة التي نحدد بها حياتنا الخاصة. هذا يعني أن الإختباء هو ما

209 Martin Heidegger, *Parménide*, Trad. Thomas Piel, Gallimard, 2001, p. 42
210 Ibid., p. 48
211 Ibid., p. 46

يحدد خاصية الحضور الإنساني. إذن الحجب واللاحجب هما خاصيتا الكائن الإنساني نفسه. الظهور هو نفسه إختباء ولاإختباء في الوقت نفسه.

يقول هوميروس، Homère: في البيت 93 من المقطعθ(8) بخصوص أوليسيس Ulysse: إيلانتساني داكرييا ليبون، Ελανθανε δακρυα λειβων

يبين لنا هيدغر حسب الترجمة اليونانية كيف أراد الشاعر هوميروس أن يظهر لنا في هذا المقطع كيف ذرف أوليسيس دموعا دون أن يلحظه الحاضرون. من خلال هذه التجربة اليونانية، يريد هوميروس أن يبين لنا كيف إستمر أوليسيس في التخفي، في الوقت الذي كان يذرف فيه الدموع. فالإغريقي لا يفكر في حالة بكاء أوليسيس وأن الحاضرين لا يرونه، ولكن يفكر بأن هذا الإنسان كما لو أنه كان مَيِّتاً nimbé أثناء إنسحابه، والسبب هو حضور الآخرين. وكأنه إنفصل عنهم أو إنقطع في لحظة زمنية ما عن الحاضرين. ولكن كيف تحول هذا المعنى في الفكر الحديث والمعاصر؟

يبدو أن الإنسان الحديث والمعاصر، يريد من أعماق قلبه نسيان الأشياء وبسرعة أو بأقصى سرعة ممكنة باعتباره كائنا لامباليا. هذا النسيان هو شيء يرغب فيه بشدّة و يتمنّاه، نتيجة إرتباطه بالأعمال اليومية، حيث تنسى الذات ذاتها وتدخل في خضم الحشد وتضيع فيه. ولكن لا بدّ له أن يعرف ما هو النسيان. ولكنّه لا يعرفه، لقد نسي الإنسان جوهر النسيان. حتّى أنّه إفترض أنّه لم يتأمّله قط، بمعنى أنّه لم يصوّب أو يوجّه فكره قطّ نحو ميدان "جوهر النسيان". فما هو كائن الآن، أتى من "جوهر النسيان نفسه" لأنّه يهرب ويخبّأ ذاته. لم تكن اللامبالاة وعدم التفكير في جوهر النسيان، نتيجة هروب الدازين في نمط الحشد، بل هي أيضا نتيجة لإنسحاب الكينونة وتواريها، فالكينونة، تصر على بقاءها مختبأة.[212]الانسحاب والنسيان هو حدث الإريغنيس (Ereignis). ففي علاقتنا مع ما هو منسي، كان نسيان سؤال الكينونة واقع نتيجة لإنسحاب الكينونة و إختباءها، بطريقة كنا فيها نحن أيضا مستغرقين في حدث النسيان. ولهذا أطلق اليونان على فعل الإنسحاب لفظ: "إبيلانثانوماي". ولكي يمسك

212 Ibid., p. 53

الإنسان بالانسحاب، يجب أن يدخل في علاقة مباشرة مع ما خفِي عنه، أي مع "الإختباء"، فجوهر النسيان لا يمكن أن نفكّر فيه ككلمة واحدة. إذ نجد كلمة إنسحاب في أصل الكلمة اليونانية لاتس"λαθ". وهذا لا يعني أبدا وعلى الأقلّ الآن "خطأ". لكي نفكّر بطريقة يونانية فإن كلمة "لانتسانيين" λανθανειν تعني (كائن في الإنسحاب). تأويل جوهر الإنسحاب عن طريق حدث الإختباء نفسه، تُظهر لنا بوضوح بأنّ الكينونة-هنا، بمعنى الإمساك في قلب الكائن هو نفسه ككائن بالنسبة للإغريق. وهو مَحكوم بطريقة جوهرية من طرف جوهر الإختباء. ولكن لماذا نختبر الحقيقة ونفكّر فيها بمعنى اللاإختباء؟ هذه الأولوية في ظهور الإختباء هي جوهر نقيض الحقيقة الذّي تَعرفه أفضل كجوهر للخطأ. إذن ψευδος لا يمكن أن يكون معرّفا من طرف الاختباء. فهل يعتقد اليونان بأنّنا ننظر إلى جوهر الخطأ إنطلاقا من الإختباء؟ [213] الخطأ أو اللاصدق ك"حكم غير صحيح"، هو "طريقة اللامعرفة".

يرى هيدغر في نص " ميلاد الآلهة" لهيزيود، أن الشاعر يقدم شهادة في البيت sq233، حيث يقول أنّ الإله بونتوس Ποντος أنجب بريسبيتاتون بايتون πρεσβυτατον παιδον وهو أكبر أبنائه وأكثرهم تبجيلا، قائلا: "نيريا بدون غطاء"، "نيريا دابسيوديا كاي أليثيا " Νηρεα δ’ αψευδεα και αληθεια، بمعنى أنّ نيريا هوالذي لا يُخفي، وفي هذا البيت فإنّ كلمة كاي "και" اليونانية وهي "واو الوصل" في اللغة العربية، إلا أنها في هذا القول هي لا تفيد الوصل. أي أنها لم تأت لتصل بين الكلمتين، كما أن كلمة أليثاس αληθες ليست تكرارا بسيطا لكلمة αψευδες. وكأنّ الشيء نفسه لا بدّ أن يقال مرّتين. ولكن عدم وضع غطاء، يتأسس في "اللاإختباء"، نيريا بدون خطأ، « Nérée est sans fausseté » راجع لسبب علاقته باللاإنسحاب. وهكذا يستقبل لفظ بسيودوس، ψευδος جوهره من بُعد الإنسحاب الذي لا يضع غطاء، ولا يُخفي، إنه اللامنسحب(non-celant) .[214] أليثيا هي نفسها أبسيوداس، A/ληθεια =α/ψευδος. عندما نحذف الألف الحرمانية الموجودة في الكلمتين فإننا نحصل على الاختباء ληθη مرادفا للخطأ ψευδος، حيث يأخذ الخطأ معنى الإختباء وهو جزء من الأليثيا، هناك إنتماء بين الإختباء و عدم الإختباء. وبالتالي الخطأ هو

213 Ibid., p. 49
214 Ibid., p. 60

جزء لا يتجزّأ عن الحقيقة. لا وجود لتكشف أو حضور مكتمل. كل حقيقة هي ظهور وإختباء في الوقت نفسه. إنّ الخطأ هو نمط من أنماط التخفّي والإختباء.[215] إلا أن حالة اللاتستر هي أكثر أصالة من الحقيقة بالمعنى اللاتيني أي حقيقة المعرفة، veritas. حالة اللاتستر يمكن أن تكون كما يمكنها ألا تكون. أي أنّها إحتمالية وإمكانية ضمن إمكانيات عديدة ومختلفة. لإدراك جوهر الحقيقة كلاإنسحاب، علينا العودة مع هيدغر إلى المفكرين الأوائل. إذ أن عيب الميتافيزيقا هو عدم قدرتها على التعبير عن كيفية وجود الكائن، مما كرس مسألة النسيان.[216]

لقد حَظِي سؤال المحيط بالبحث والتحقيق، في بنائه الأداتي، دون أخذ مجموع الطبيعة بعين الإعتبار، أو دون الإنتباه إلى مجموع الطبيعة. إكتشف هيدغر، بعد سنوات الثلاثينيات، أي بعد المنعطف، سؤال "الشيء" و"العالم" على الخصوص، لأن التحول القطعي للتمثل العلمي للعالم، في بداية القرن العشرين، حدد بناء جديدا للتجربة. هذا، ما قاله في محاضرته عن "الشيء"، في نهاية سنة 1949، وكانت إحدى محاضراته الأربعة في بريم Brème التي يجمعها عنوان واحد، وهو "نظرة فيما هو كائن"، لأن المسافات اليوم تقلصت في المكان وفي الزمان بفعل التكنولوجيا. وبالرغم من النجاح الذي حازته المسافة، إلا أن المجاورة المتعلقة بالأشياء بقيت مجهولة وغائبة.[217]

يرى هيدغرحسب ما نقلته إلينا فرانسواس داستور Françoise Dastur، الأشياء كأشياء في ذاتها، لأن العلوم الحديثة تقيد الأشياء في ظهورها، تحت شكل "موضوع أو مادة". وهي الوحيدة التي يمكن الوصول من خلالها إلى الحق. فنحن الحداثيين محاطون بالأشياء، ولكننا عَجَزْنَا في ترك الأشياء تظهر في المجاورة. فإذا كانت الأشياء غير قادرة على الوصول إلى المجاورة، فهي لا تأتي كأشياء، بل تجعلنا نعيش في غياب المجاورة، لأنه لو كانت الأشياء حقيقية لما استطاعت الظهور للفكر كأشياء بالطريقة التي نريدها.[218] وهنا يظهر الفرق جليا بين الشيء في ذاته والشيء كأداة لغرض نفعي. يريد هيدغر أن يُنَبِّه الإنسان ليأخذ حذره من زيف الأشياء الظاهرة. ولكن ماهي التقنية؟

215 Ibid., p. 67

216 **معضلة الحقيقة**، ترجمة شهاب الدين اللعلاعي، الدار التونسية للنشر، 1986، ص. 19

217 Françoise Dastur, Heidegger- La *question du logos,* Vrin, 2007, p. 202

218 Ibid., p. 203

التقنية، هي نمط من أنماط الكينونة. ولكي نبحث في موضوع التقنية، علينا أن نفهم ما هي حقيقة التقنية. التقنية ليست شيئا تقنيا، فالتقنية اليوم هي أثرها، ولكن ما يهمنا هو حقيقتها. فالتقنية هي إظهار نمط كينونة، حيث رفع هذا النمط الحجاب عن إمكانيات كثيرة وإقتصر إهتمام الإنسان فقط على الجانب النفعي فيها.

إستحضرت التقنية إمكانات الطبيعة المنسحبة، ولكنها وضعت الإنسان في موقع يجعله مستسلما لجنون السيطرة. التقنية هي أداة أو وسيلة تعمل من أجل الإنسان، وهي خاضعة لسلطته، من أجل تحقيق غايات محددة، مما يجعله يبتعد أكثر فأكثر عن الأشياء كأشياء في ذاتها، فاقتصر اهتمام الإنسان بالجانب النفعي. وفي هذا، نسيان مضاعف للكينونة الأصيلة، لأننا لم نعد قادرين حتى على أن نحلم بعودة الأشياء من الماضي البعيد.[219] إنه الإنسان ذو البعد الواحد، الذي تحدث عنه ماركيوزفي كتابه، والذي رسخ مفهوم السيطرة على الطبيعة. وهنا حدث الانقلاب في الأولويات بين الكائن والكينونة فأعطيت الأولوية للكائن على حساب الكينونة.

إبتلعت التقنية الحديثة عن طريق الحساب المتكامل كل ما هو كائن. وهذا ما يسميه هيدغر بـ اللاإنسانية المطلقة لعلوم اليوم، التي حطت من قيمة الإنسان، لتضعه في منزلة الأشياء. فالعلوم الحديثة، التي تشهد تمثلا للفيزياء الكمية quantique ولفيزياء نيوتن، هي التي جعلت الإنسان سيدا على الطبيعة ومالكا لها.

علينا أن نتطرق أيضا إلى "العالَم"، ولكن ليس بمعناه التقليدي. فمبدأ السببية غير كاف لمعرفة جوهر العالم أو الطبيعة الباطنية له. تمر المعرفة بأشكال متعددة، واللغة هي أحد هذه الأشكال. يقول هيدغر: "عندما نفكر، تأتي الكينونة إلى اللغة".[220]

إذا كان العالم هو المكان الذي يتواجد فيه الكائن الأرضي المعارض للكائن السماوي، أين يتحدد إنفتاح الكينونة نفسها، الذي لم يُعطَ بعد؟ فالعالم ليس معطى جاهزا، ولكنه سيأتي، أو ما هو قادم. العالم هو اللعبة، أي لعبة المرآة التي مازالت مختبئة عن عناصرها الأربعة،

219 Ibid., p. 203
220 M. H, *Lettre sur l'humanisme*, p. 27

الأرض والسماء والكائن المتناهي والكينونة اللامتناهية، فإن العالم كوحدة تجمع بين هذه العناصر الأربعة للعبة، مازال يرفض نفسه، ومازال يختفي وينسحب في الاختباء. وهذا ما يمسك بالمصير أو القدر، أي مصير الفكر الغربي من برمنيدس إلى غاية نيتشه.

إن حقل الميتافيزيقا المنتهية هو الذي يسميه هيدغر بمرحلة التقنية، ولكن يمنح لهذا اللفظ معنى يجمع بالإضافة إلى مجال إنتاج الآلات، كل المجالات الأخرى الخاصة بالكائن، كالثقافة والسياسة، وحتى الطبيعة التي أصبحت موضوعا، تم فهمها كتاريخ للذاتية ولإرادة القوة. ولكن كيف يمكن تجاوز مشكل الثنائية، أي ثنائية الذات والموضوع التي خلقتها الميتافيزيقا؟ وكيف يمكن إنتشال سؤال الكينونة من النسيان وإعادته إلى الذاكرة؟

لإعادة طرح سؤال الكينونة وإنتشاله من النسيان، يدعونا هيدغر إلى العودة إلى الإغريق ولكن، لماذا العودة إلى الإغريق؟ وفي أي مرحلة تاريخية تحديدا يدعو هيدغر إلى هذه العودة؟

عاد هيدغر إلى المفكرين الأوائل أي القبسقراطيين في تجربة كينونة اللغة. وهي أول تجربة لكينونة اللغة. فاللغة لدى الإغريق الأوائل كانت أكثر من آلة تعبيرية تواصلية. ويود هيدغر البحث، من خلال هذه العودة، في التأسيس الأول للغة. يريد هيدغر أن يمنح اللغة مكانة مميزة وفقا للفهم الإغريقي الأول لكلمة لوغوس التي حددها أرسطو فيما بعد بمنطق إبستيمي.

هيدغر مقتنع بضرورة العودة إلى الإغريق الأوائل، ولكن بمعنى مغاير،[221] وذلك من أجل وضع الفلسفة في مسارها الصحيح، أي في مسارها الأول، وهو مسار القبسقراطيين. أول شعر في التاريخ تحدث عن "الكينونة والحقيقة " هو شعر برمنيدس Parménide. قدم هيدغر درسه الأول حول برمنيدس سنة 1915-1916 وكتب سنة 1975 لحنة أرنت Hannah Arendt يقول فيها في مؤتمره الأخير أنه قد أتاه بصيص حول برمنيدس une lueur s’est venue sur Parménide. وفي درسه 1942-1943 تحت عنوان برمنيدس، كان قد درس عدة أبيات له، ليبين كيف يمكن للأليثيا أن تكون إنفتاحا دون

221 M. H, *Parménide*, p. 257

إنغلاق. ونجد الجواب في درسه 1952 **ما معنى التفكير؟** وأيضا في شعر *Moira* في كتابه **محاولات ومحاضرات** *Essais et conférences*. وخاصة في تأويل الكلمات الثمانية الأولى للبيت VI. وكذلك أراد هيدغر أن يبين الإشتراك بين الكائن والكينونة من خلال الكلمتين εον و ον. تعني الكلمة الأولى الكائن في كينونته والثانية الكينونة.

ولكن ما هو الفرق بين الفكر الهيدغري وفكر الأوائل؟ وهل العودة إلى فكرهم هي ضرورة من أجل البقاء والإقامة فيه أم هي عودة من أجل غاية أخرى؟ هذه العودة هي النظر في العلاقة بين التفكير والقول المرتبط بالكينونة. إن ضرورة العودة إلى فجر الفكر الأول هي من أجل التأهب لبداية جديدة عن طريق الوثبة. ولهذا، على الفلسفة أن تنتج أدواتها الخاصة. ففي محاضراته في شتاء 1951، التي بين فيها أهمية سؤال معنى الكينونة وعدم الاكتفاء بمقاربة الكائنات، إتخذ هيدغر موقف الناقد للإرث الأنطولوجي، حيث تطرق إلى نيتشه، الذي جعل من الإرادة قمة الميتافيزيقا الغربية، فتحولت الكينونة معه إلى إرادة القوة.

إن الدخول في عالم الفكر الأول هو دخول في عالم الشعراء القبسقراطيين. فاللغة الشعرية بالنسبة إلى هيدغر هي عطاء خالص يدعم المقدس في إمتلاءه وفي تهديداته وفي تخليه عن عطاءه.

يقول هيدغر "اللغة هي كينونة متجسدة ومنظمة في كلمة "شعر".[222] إلا أنه من الصعب فهم وإختبار هذه الفترة التاريخية بالتحديد. وربما أغلقت الفلسفة باب عالم الفكر الأول نتيجة عدم فهم أغواره. إنه الأساس الذي تنكرت له الفلسفة، فأخذت منحى آخر إختلف عما كان قبله، ففصلت الفلسفة بين لغة الأسطورة ولغة المنطق أي بين الشعر والعقل وبين الحقيقة واللاحقيقة بمعنى الصدق واللاصدق. تجسدت هذه الفلسفة التي تنكرت إلى الأسطورة والشعر، أول ما تجسدت في لحظة أفلاطون. فعلا، رفضت الفلسفة الأفلاطونية التربية القائمة على تعليم الشعراء. وكان النظام العقلي أساسا لتحولات كثيرة، تم فيها الإنتقال من منطق الأسطورة إلى منطق العقل، على الرغم من وجود منطق في الأسطورة، وهو في الأساس منطق سابق للمنطق الفلسفي. ونتيجة لهذا التحول تم محو الآلهة شيئا فشيئا في مقابل

222 مارتن هيدغر، **مدخل إلى الميتافيزيقا**، ص.166

أعمال الإنسان، في الوقت الذي كانت تحاك فيه الأساطير في شخصيات الآلهة. لقد تم هذا الفصل في "نظام المدينة"، فلم يعد قَدَر الإنسان مرهون بارتباطه وقربه من الآلهة، بل أصبح مصيره محكوم بمبدإ مجرد وهو "القانون".

يرى هيدغر أن الفكر القبسقراطي، ليس من الضروري فقط أن يولد من جديد، بل يجب على أفكاره أن تطفو مجددا على السطح، لتلمع مرة أخرى، وتنير لنا دروبا جديدة. إنه فكر إختبر ما لم يختبره الفلاسفة اللاحقون، فكانت تجربتهم خاصة وفريدة من نوعها في إرتباطها بالأسطورة Mythe التي تنكر لها العقل. لا بد لفكر الأوائل أن يحظى بالإهتمام، لأنه الخلفية التي كتبت عليه أفكار من ذهبٍ، وإنه لمن العبث الإستهانة بها، حتى أننا اليوم لم نعد قادرين على الإتيان بمثلها، بل لسنا قادرين على فهمها بعد. ومع أننا لا نعرف الكثير من أعمالهم، إذ لم يصلنا إلا القليل من المقاطع والشذرات القصيرة المتبقية، إلا أنها كانت كافية لينعتهم نيتشه "بالمفكرين" في **ميلاد الفلسفة** وكذلك هيدغر الذي كان يرى أن هذه الفترة التاريخية تميزت بفكر إنساني منتعش.

يقول برمنيدس: "يظهر الشاعر مختارا".[223] ولكن لماذا الشاعر؟ لماذا لم يقل العاقل؟ نحن الذين تعودنا على رفع منزلة العقل لا الشعر. فالشعر مرتبط بالشعور والإنفعالات والأحلام والخيال. ربما لأن العقل تحكمه مباديء ونظم صارمة أما الشعر فهو حر، الشعر لا يعرف حدودا. إنه حنين الوطن الذي نَحِنّ إليه ونرغب في العودة إليه كلما ابتعدنا، لأنه الأصل. هل الشعر هو الوطن اللاواقعي الذي نهرب إليه؟ وكيف يمكن أن تكون كينونة الإنسان مؤسسة ومربوطة بالشعر؟ هل تتأسس طريقة الشاعر في قوله على عدم رؤية الواقع، فهو يحلم بدل الفعل والعمل؟ يقول هيدغر: "نحن لم نفكر بعد في ماهية السلوك agir".[224] فهو لا يكون إلا في إمتلاء ماهيته. أي إنبثاق شيء في إمتلاء ماهيته. ولكن أليس الشعر هو "نشاط الفعل"؟ فنشاط الفعل باللغة اليونانية يعبر عنه بلفظ بويزيس ποιησις. أليست الصورة التي يبدعها الشاعر عملا؟ فالشعر هو عمل فني وبهذا يكون الشعر وطنا نبنيه لنسكنه. فالبناء يسبق المأوى. والمأوى هو إقامة الإنسان على الأرض، فكينونة الشعر

223 François Chatelet, *Histoire de la philosophie païenne Tome I*, Hachette Pluriel, 2012, p. 44
224 M. H, *Lettre sur l'humanisme,* p. 27

بناء.[225] يقول هيدغر: " نحن نعرف جيدا أن عملية كشف الكينونة هي ببساطة غير معطاة لنا".[226] يأخذ الكشف مكانه فقط حينما يُنجز في العمل، أي عمل الكلمة في الشعر أو في التفكير. وهنا تكمن علاقة اللغة الشعرية بالكينونة ككينونة من خلال أشعار الأوائل. ولكن من هم المفكرون الأوائل؟

يقر هيدغر أن برمنيدس وهرقليطس وأنكسيمندر هم مفكروا البداية. ولكن ماذا يقصد بقوله هذا؟ هل تسميتهم بالمفكرين الأوائل نسبة إلى الزمان الأول؟ من يكون المفكر الأول؟

المفكر الأول هو الذي فكر في الكينونة الخالصة، فالفكر الأول هو الأكثر سموا والأقرب إلى حقيقة الكينونة. وهؤلاء المفكرون، لا يمثلون البداية، لأنهم هم من فتحوا باب الفكر الغربي الأول، إذ سبقهم الكثير من المفكرين، أمثال طاليس وفيثاغورس وغيرهم. إن ما يميزهم عن غيرهم، هو أنهم يمثلون وينادون البداية بطريقة تتطلب التراجع أمام سؤال الكينونة.[227] وعلى هذا التراجع، أن يأخذ شكلا مميزا. إنهم المفكرون المتقبض عليهم من طرف الكينونة ذاتها، إستقبلتهم الكينونة، فإجتمعوا لينتهجوا نهجها.

يدعونا هيدغر للانتباه لقول برمنيدس الشعري، الذي نقل إلينا على شكل شذرات متقطعة. ولكن شكلت هذه الأبيات الشعرية مذهبا فكريا قائما بذاته، ولفهم هذا الشعر الديالكتيكي، علينا أن نتكلم بلغة يونانية وننصت بأذن يونانية. فلكل لغة ألفاظها ولكل لفظ معناه. كما أن الترجمة لا تضمن لنا على الإطلاق الفهم الصائب للمعنى الأصلي. ولهذا فإن أول شيء علينا القيام به، هو وضع خط عريض تحت مسمى "الترجمة" أو "الترجمات" التي وصلتنا فيما يخص النصوص الشعرية لهؤلاء المفكرين الأوائل. لأنها في الحقيقة ترجمات مغلفة بتأويلات للنصوص الأصلية. وهكذا أخذت الكلمات المترجمة مكان الكلمات الأصلية والخطر كل الخطر هنا. وسنبدأ أولا بالفهم والبحث وإلقاء الضوء على الأبيات 22 و 32 والتي تلخص النص الشعري الديالكتيكي لبرمنيدس حيث يقول:

225 M. H, *Essais et conférences*, rad. André Préau, Gallimard, 1980, p. 277

226 مارتن هيدغر، **مدخل إلى الميتافيزيقا**، ص 177_178

227 M. H, *Parménide*, p. 21

"كاي مي تسيا بروفون إيبيديكساتو" Και με θεα προφων υπεδεξατο. [228]

تقول الترجمة العادية، أن الألهة الحقيقة تُحَيِّي المفكر الشاعر وتكشف له الشيء الذي عليه أن يتبينه. هذه الآلهة تقرر كل شيء. وخاصة ما يتعلق بالمفكر وما يجب التفكير فيه. وهذا دليل على أن الشاعر يستقبل التفكير ولا ينتجه. ولكن ما علاقة الشاعر بالحقيقة؟

لقد ابتعدنا عن جوهر الحقيقة، وكان اليونان الأوائل بالأمس أقرب منه إلينا اليوم. هؤلاء الذين لم يترددوا في خوض مغامرة ومخاطرة التفكير في الحجب، الذي يعود في الأصل إلى اللاحجب، فيتهيأ لنا أنه هو اللاحجب. إذا أعدنا ترجمة كلمة "الحقيقة" فهي تعني "خارج الإنسحاب" هذا الأخير هو من يرسم الخط الفاصل والأساسي للكينونة، وهو ليس إنسحابا لكائن في الحضور، بل إنسحاب الحضور نفسه. إنها حركة ذهاب وإياب تجمع بين متقابلين إثنين. "ماهية الحقيقة" هي تكشف ولاتحجب.

الأليثيا هي فعل الكينونة، إنها صوتها الذي يتحدث دائما بلا توقف وفي كل مكان، إلا أن إدراكنا للكينونة ككينونة متوقف على ما تقوله كلمة "أليثيا". فهل تُنتج "الكلمة" دائما ما تقول؟ وهل تُنتج الترجمة دائما نفس المعنى المتعلق بالأصل؟ إن تغيير المعنى الأصلي، سيؤدي إلى تغيير جذري في الأسس، وبالتالي سينتج عنه تغيير في المنحى القائم على هذا الأساس الجديد. فكيف كانت لغة الإغريق الأوائل؟

المبحث الثاني: العودة إلى لغة الإغريق الأوائل

1- المقاربة الفينومينولوجية للغة الإغريق الأوائل

لاحظ هيدغر أنه لا يمكن وجود لغة، إلا بتواجد خطاب أو كلام، أو حديث بين الناس. يقول جان غرايش Jean Greisch حسب ما نقلته إلينا فرونسواس داستور، إن تبادل الكلام بين الناس هو نسق مغلق، ولكن التبادل اللغوي المفتوح على الكينونة، هو الأهم بالنسبة للمفكر بدل إحتباس اللغة في إطارها المنطقي والنحوي. ولكن، كيف تتحدد اللغة؟ هل يكون تحديد اللغة عن طريق الصوت المتخارج أو المعنى؟ لا يكون تحديد اللغة التي تهم المفكر لا

228 Ibid., p. 31

عن طريق الصوت المتخارج ولا عن طريق المعنى، ولكن اللغة كقول، هي ترك حضور شيء يظهر، حيث يتم الانتقال من الاحتجاب إلى اللاإحتجاب.[229] ولكن في أي نمط كينونة يمكن للغة أن تكون لغة حقيقية، فنحن لا نراها ولا ننتبه لها إلا إذا برز بريقها؟ نحن مسؤولون عن إستعمالنا للكلمة ولكن حتى وإن كنا ننتقي كلماتنا بعناية وحذر شديد، فإن هذا ليس دليلا على أننا نفذنا من خطر اللغة بل هو دليل على عدم رؤيتنا بعد لبريق اللغة.

يريد هيدغر إعادة المعنى الأول أي المعنى المغفول عنه لكلمة لوغوس، فاللوغوس لا يضع الكائن أمامه ليتحكم به، ولكن ليضمن الحفاظ على ما وُضع أمامه. وهذا هو المعنى الأول للغة، أي كـ "تجميع" أو "إمتداد" أو وضع الشيء "أمامك". ولكن بالنسبة إلى قرايش، لا يمكن تحديد ماهية اللغة، لأن هذا سيخلق إشكالا بالنسبة إلى ما يقوله قرايش في تحديد ماهية الإنسان، لأنه يذكرنا بأن الصمت أيضا مهم، مثله مثل الكلام.

يخشى هيدغر من تقنين اللغة تقنينا مبتذلا فتصبح مجرد آلة للاستعمال. فعندما يكون الكلام شاشة للأشياء، يكون مبتذلا، ويكون الفهم اليومي راضيا عما يقال في اليومي، ويصبح الكلام يدور في حلقة مفرغة، وهو ليس ذلك الكلام الذي يشترك فيه كل من الكائن والكينونة، سواء للتعبير عن هذه العلاقة الأساسية والأولية بينهما، أو لتكوينها. ولهذا، يعود هيدغر إلى أصل كلمة "لوغوس" كـ"إقتطاف" أو "إستقبال"، أي وضع الشيء في موضع الحماية. وهكذا، فكلمة لوغوس لا تعني نظام القول، ولكن ما يستقبل الحاضر. ولكلمة "لوغوس" ثلاث تحديدات أساسية ومتكاملة:

أ- التجميع Rassemblement.

ب- الثبات والإستمرار Constant بمعنى الانتشار.

ت- الدوام أو الديمومة Permanent.

إنه فقط بالعودة إلى المعنى الأول لكلمة لوغوس يمكن فهم ماهية اللغة، التي لا يمكن تحديدها لا عن طريق المهمة الصوتية ولا عن طريق المعنى. إذن، المعنى الأصلي لكلمة

229 Françoise Dastur, *La question du logos*, p. 13

"لوغوس" بالنسبة إلى هيدغر ليس القول أو الخطاب، وإنما الانتقال من حالة الحجب إلى حالة اللاحجب. وهكذا، فإن معنى كلمة لوغوس كخطاب أو قول ليس سوى تحريف للمعنى الأصلي.

أخرج ليبنتز مبدأ العلة من الابتذال وأعطاه صيغة دقيقة: "لا يوجد شيء دون علة كافية وقابلة لأن تعطى".[230] تم إثبات المبدأ نفسه كمبدإ أعلى، فأصبح هذا المبدأ مسيطرا على كل مجالات الفكر، وأصبح أيضا مقياسا للصدق. وهنا تكثّف إنسحاب الكينونة. وبسبب سطوة المبدأ كمبدأ أعلى، لم تتنبه السيطرة إلى هذا المبدأ كقفزة في الكينونة. فإذا كانت العلة نظاما يحكم العالم، فالنظام حتما يختلف عن العالم، ولكنه متضمن فيه، ومن دونه لا وجود لعالم، ولكن ربما قد يتجاوز فهمنا له، لأنه من طبيعة مختلفة.

أراد هيدغر إخراج الفلسفة من الثرثرة ليعطي اللغة صبغة فكرية، مبينا علاقتها بالكينونة، ولكن هذا لن يكون ممكنا إلا بإحداث قفزة في الفكر. فكيف يكون ذلك ممكنا؟

بما أن الكينونة إنفتاح، فإنه لا يمكن أن يكون لها علة تُؤَصلها. والكينونة المفتقدة إلى الأصل، هي الهاوية Un abysse فالكينونة تتضمن العلة، ولكنها ليست علة وجود الكائنات. وهذه قفزة في الفكر، تقود الفكر إلى أرض أخرى وإلى نسق آخر من الكلام. ثم إن الانتقال من مبدإ العلة إلى المبدإ المتعلق بالكينونة، هذا المبدأ Salz في حد ذاته قفزة، والقفزة بالألمانية تنطلق من الخارج mit einemsalz. القفزة، هي قفزة إلى جوهر الكينونة، باعتبارها الأصل، لأنها سابقة لكل ماهية. فالكينونة تؤصل بوصفها كينونة، والوصف هنا، هو الخاصية التي يتميز بها المنهج الفينومينولوجي.[231] كان النظر إلى المبدأ قبل القفزة يهتم بالكائن ككائن، ولكن بعد القفزة انتقل اهتمامه إلى الكينونة ككينونة. فتغير مجال الرؤية، لأن الظهور هنا، لا يطال الكائن ككائن، بل يطال ظهور الكينونة نفسها، ثم إن تاريخ الفكر الغربي لا يمكن أن يتجلى بوصفه ظهورا للكينونة، إلا إذا نظرنا إليه ثانية نظرة شاملة، انطلاقا من الوثبة. كما لا يمكننا الاستعداد للقفزة، إلا إذا كنا نتحدث اللغة نفسها، التي يوفرها تاريخ الكينونة، مما يبين أهمية اللغة وأهمية الانفتاح على تعلم اللغات، التي شاركت جميعها

230 **مبدأ العلة**، ص. 57
231 المصدر نفسه، ص. 59

في كتابة تاريخ الكينونة. ولكن، ما هو سر اهتمام هيدغر باللغة اليونانية، وبتراثها الفكري، بالرغم من وجود إرث تاريخي، لا يقل أهمية عن الإرث الإغريقي؟ هل هو عائق اللغة، باعتباره متكلما باللغة الألمانية؟

أراد هيدغر أن ينظر ويستمع إلى ما يقوله المبدأ كحكاية عن الكينونة، من خلال العودة إلى أصول الكلمات، والنظر في تفسيرها، طوال تاريخ الكينونة. وهي مهمة في غاية الصعوبة، إلا أن هدفه كان نبيل لأنه أراد الوصول إلى رؤية واضحة حول ما يجعل الكينونة والعلة نفس الشيء.[232]

لقد كانت الحالات العاطفية مهمة جدا في تطور الفكر الهيدغري. ليس الإنسان أبدا موضوعا خالصا يمكن فهمه أو تحديده، فالإنسان ككائن في العالم لا يتخذ موضع المتفرج، غير المهتم بالأشياء من حوله. كما أن معاني الأشياء والحالات الوجدانية ليست موضوعة بجانب الرؤية النظرية الخالصة للأشياء، وبوجه يمكننا تمييزه. الإنسان هو في أساسه حالات وجدانية. هذه الأخيرة هي أكثر شيء خاص في كل كائن إنساني، وهي التي تسلط الضوء على كينونته، وتكشف المشروع الذي يحويه الدازين كمشروع مقذوف،[233] فكينونة الإنسان هي جوهره، لأنه هو الذي ينفتح للعالم، ويجعل منه ممكنا عن طريق إنفتاح العالم له. الوجدان هو من يفتح ويؤسس العالم. فالإنفتاح ليس متعاليا وخالصا، الإنفتاح هو "فعل وجداني"، حيث تستقر الماهية على قاعدة الرغبة، فما يمكن أن يكون، تؤسسه الرغبة. وإنطلاقا من الرغبة يمكن للكينونة أن تفكر في الماهية وتجعلها ممكنة، فالرغبة كمقدرة هي إمكانية. ولكن هل كل ما نرغب فيه نملك القدرة على جعله ممكنا؟[234]

نحن نرغب في رؤية الطبيعة ولكن تظهر لنا قدرة الطبيعة في الجبال والحقول والغابات الخضراء، ولكن الطبيعة أبدا لا تُظهر نفسها. هذا ما لم تفكر فيه الميتافيزيقا، أي أنها لم تفكر

232 المصدر نفسه، ص.100

233 Jean Wahl, *Introduction à la pensée de Heidegger*, pp. 42-43

234 M. H, *Lettre sur l'humanisme,* p. 37

في علاقة ماهية الإنسان بالطبيعة أو بمعنى آخر بحقيقة الكينونة ككينونة ولم تطرح سؤال الكينونة واقتصرت فقط على سؤال الكائن. ولكن الكينونة تنتظر دائما من يتذكرها.[235]

يُطلق على الكائن في كينونته في اللغة اليونانية لفظ "إييون" εον، ونفكر فيه أيضا في المطوية le pli، التي يحفظ فيها الكائن قيمته الاشتراكية، أي ما تشترك فيه الكينونة والكائن معا. فالكائن لا يمكن التفكير فيه بمعزل عن كينونته، إذ توجد علاقة متينة تربطهما، فلا وجود لكائن دون كينونة. المطوية هي الميزة التي يشترك فيها كل من الكائن والكينونة. كلمة "إيون" تعني الكائن في كينونته أو الكينونة الخاصة بالكائن.[236]

في الفكر الغربي، اختفت المطوية دون أن ينتبه الفلاسفة إلى ذلك، بالرغم من كونها ليست لا شيء، ولكن أين إختفت؟ إختفت المطوية في النسيان، أي في الليثيا ληθη المشتركة مع الأليثيا αληθεια وهما معا يشكلان وحدة واحدة، فالليثيا هو التخلي عن الكشف في نمط الواحد والفيزيس واللوغوس Εν, λογος, φυσις وكأن الكشف ليس بحاجة إلى حجب، ولكن هذا الكشف كان قد إخترقه الحجب هو أيضا. وهنا إستمر إنسحاب المطوية le dépliement du pli تماما كما إنسحب وإختفى في بداية التفكير، بالرغم من كونه ضروريا في الكائن في كينونته. ولهذا، علينا أن نتنبه إلى هذه المطوية، حتى نتتبع الكلام أو الحوار الذي أعده لنا هيدغر.

يعد الفكر شيئا منطوقا، الفكر هو لغة موجودة في الكائن المخصوص بالكلام. وهذا ما يريد برمنيدس أن يلفت انتباهنا إليه. واللغة هي أساس كل فكر، إذ لا وجود لفكر في غياب اللغة. المطوية هي التي تحدد علاقة اللغة بالفكر وعلاقة الفكر بالكينونة وعلاقة الكينونة بماهية الإنسان. تخدم اللغة الفكر وهي موجودة في الكائن الإنساني. وهنا تكمن العلاقة الحميمة بين الكينونة والكائن الإنساني. وهذا ما أطلق عليه هيدغر "المطوية".[237]

الفكر هو كينونة والفكر المنطوق هو لغة، واللغة موجودة في الكائن في كينونته. إذن، هل ينتمي الفكر إلى الكينونة أو إلى الكائن؟ الفكر لا ينتمي إلى الكينونة، فالفكر والكينونة شيء

235 Ibid., p. 35
236 M. H, *Essais et conférences*, p. 290
237 Ibid., p. 294

واحد، ولكنه ينتمي إلى الكائن. وهو نقطة اشتراك الكينونة والكائن. وهذا ما يُسمى بالمطوية، حيث يستقر الكائن الإنساني في اللغة.[238]

ماذا يقول برمنيدس فيما يتعلق بهذا الانتماء؟ ينشر الفكر كينونته عن طريق المطوية. وفي هذه الحالة فقط، ينتمي الفكر إلى الكينونة. قدر الكينونة المنسية ظهر في اللغة وخاصة في أقوال الأوائل. الفكر الذي يعد قولا منطوقا، هو في الوقت نفسه روح وإيقاع. وهو موجود في الدازين، لأن هذا الأخير هو من يملك القول، هذا الكائن الخاص يتميز بخاصية الكلام.

ينشر الفكر كينونته بفضل "المطوية" عن طريق الكائن في كينونته. وتستمر الكينونة في ذاتها في الحقيقة كلاتحجب. فلطالما كانت الكينونة بمعنى كينونة الكائن، بداية للتفكير الغربي، الذي استقبل المهمة باعتبار ما قيل في كلمة "كينونة" εινα ورؤيتها كـ φυσις, λογος, Εν[239]، وهو تشارك يحكم الكائن في كليته، داخل الكينونة الموحدة. فكينونة الكائن هي الكائن في مجموعه. ولهذا، فالفكر يجمع ويساوي ويوحد. إنه الكائن في أعلى قمته. قول الكينونة وكينونة القول هما شيئان مرتبطان إرتباطا وثيقا.[240]

اللغة والقول هما لفظان مختلفتان. تختلف كل واحدة في معناها عن الأخرى. فاللغة هي الدائرة التي يلج فيها القول. اللغة هي أول ما يميز الإنسان، وهي أيضا رمز المدينة. فاللغة أساسية من أجل وضع قوانين المدينة، واللوغوس هو رمز الأغورا Agora وهي المكان الذي كان يتبادل فيه المواطنون الحديث في ما يخص الشأن العام، مع أن البعض لا يحق لهم الحديث في أمور المدينة، كالعبيد والحرفيين والنساء. ولهذا، فاللوغوس هو ميزة الإنسان المتميز بالنسبة إلى الإغريق، أما الحيوان فهو ألوغوس αλογος .[241]

يرى أفلاطون بأن القول، Le langage، أساسي لوضع القوانين، وعن طريقه يتم التشريع، الذي يفصل في مهمته بين الخير والشر في تأسيس المدينة.[242]

238 M. H, *Lettre sur l'humanisme,* p. 85
239 Martin Heidegger, *Héraclite,* Trad. Eugen Fink, Gallimard, P. 76
240 Arion Kelkel, *La légende de l'être, Langage et poésie chez Heidegger,* 1975, Vrin, p. 14
241 Platon, *Phèdre L'art de la parole,* Trad. Christian Ruby, Ellipses, p. 89
242 Ibid., p. 89

اللغة اصطلاحا هي نسق من الكلمات أو الرموز، التي تعطي معنى في علاقتها بين الدال والمدلول. وهي أداة من أدوات المعرفة. وتعتبر أهم وسائل التواصل. فمن دونها يتعذر نشاط الفكر. اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، إذ لا ينفصل الفكر عن اللغة، حيث تأتي أفكار الإنسان دائما في قوالب لغوية، حتى وإن كان تفكيره باطنيا لم يخرج للعلن.

تختلف اللغة Langage عن اللسان Langue وعن الكلام[243] Parole إذ يدخل كل من الكلام واللسان في دائرة اللغة. اللسان هو موضوع اللسانيات لأنه متعدد، كأن نقول: اللسان الألماني أو اليوناني أو اللاتيني أو الفرنسي... بينما الكلام هو كل ما يلفظه أفراد المجتمع من تراكيب، تعتمد على المعرفة المشتركة. والكلام يشترط وجود متكلم ومستمع. ولهذا، فإن الكلام ليس مشتركا، بل فرديا، ويقوم على الاختيار. وهكذا، نستنتج أن اللغة هي نظام متعدد الوظائف، وهو قائم على النحو والصرف والمعاني. وهذا الأخير هو موضوع علم الدلالات، الذي يبحث بدوره في الأسس والأصول. سنة 1916، ومع دروس دوسيسور F. De Saussure مؤسس علم اللسانيات، أزيح الغموض أو الخلط بين اللغة والكلام. وهذا التمييز فصل بين الاثنين. وهي الخاصية التي رسمت حدود الفكر المعاصر.[244] ولكن كيف كان اللغة في فجر الفكر الأول

العالم الذي نعيش فيه هو عالم الأقوال. ففي بداية الفكر الغربي، كان القول في ضوء الكينونة. القول هو زمان الإنارة أو الإضاءة. وهذا ما نلمسه في أشعار الأوائل. والقول في اللغة اليونانية، يقال بصيغ متعددة كـ "لوغوس" وكـ "ميثوس" μυθος وكـ "هيبوس" επος وكـ "ريمة" ρημα وأونوما "ονυμα" وكـ "فونيφωνη" أو كـ "أوبسي" ωψ أو "فاتيس" φατις أو "قلوسا" γλωσσα. فبالنسبة إلى اليونانيين، الكلام لا يمكن أن يكون إلا في أفق ما يمليه القول. فاللغة اليونانية ليست كباقي اللغات الأوروبية، التي نعرفها. اللغة اليونانية هي وحدها لوغوس.[245] ولكن هذه الكلمة تنحدر من الفعل ليغيين، λεγειν، وتحمل معنى أوليا كسرد أو فرز للحصول على بيان. وتحوي كلمة لوغوس عمليات منطقية وأنماط

243 Dictionnaire de philosophie, Jacqueline Russe, Clotilde Badal-Leguil, Bordas, Paris, 2004
Voir la définition du mot Parole (La parole n'est pas collective à la différence de la Langue)
244 Ibid., (voir la définition du mot Langage) Etymologie Latine, Lingua, langue, parole, langage
Voir langue, langage et parole
245 Martin Heidegger, *Question II*, Gallimard, p. 20

الخطاب لتعطينا: الكلام والقول المتعلق بـ... أي ما يقوله الشخص. ولكن، ما يتعلق بالقول، فالقول لا يحمل معنى النفعي، فالفيلسوف يستقبل كينونة الأشياء، أي الحق. ولهذا، فهو خاضع للوغوس.[246]

سنقوم بتوضيح بعض أنواع القول، حيث أن كلمة لوغوس هي كلمة حاضرة في مسارها الوظيفي في كل الفلسفات. ولكن أساس جوهر اللوغوس، أو القول بالنسبة لهيدغر، موجود في جوهر الحقيقة كأليثيا. وهو جزء منه، أي خاصته. [247] فكلمة الحق الإغريقية αληθες نجدها في شعر " الألهة الحقيقة" لهوميروس وخاصة في الأبيات 22 و32. كلمة أليثيا لها علاقة بالقول.

إحدى الكلمات الإغريقية التي يقصد بها لوغوس هي:

1- Ο μυθος الميثوس، التي أعطتنا كلمة ميثولوجيا mythologie عند اليونانيين، وتعني الكلمة المعبرة أو القول. وهو أن نجعل الأمر بارزا أو ظاهرا، وأن نبرز ما هو موجود داخل ما هو ظاهر، أي الذي لا يمكن إخفاؤه. وهو المطلب الذي يجعلنا نفكر في المتجلي وفي الموجود. يقسم أفلاطون، الأسطورة إلى الأساطير التاريخية، généalogiques والأساطير اللاهوتية eschatologiques. وهي لهدف تعليمي. وقد استعمل فن الأسطورة، وكانت عبارة عن محاورات، لمن لا يمكنه فهم المشكلات النظرية.

2- Επος إيبوس، التي أعطتنا الكلمة الفرنسية épopée.

3- Λογος لوغوس أعطتنا كلمة logique وهذه الكلمة لا تتعارض مع الميثوس وحتى الإغريق القدامى وخاصة برمنيدس، في (جزء 8)، كان قد إستعمل الكلمتين في معنى واحد.

وضع الإغريق منذ البداية كلمات متعددة ومختلفة لـ"القول"، وهي التي تعطينا التفكير، ولكن من جهة أخرى، لا يوجد ما يقابل "اللغة". يملك اليونانيون كلمة Γλωσσα "غلوسا"،

246 Platon, *Phèdre*, p. 90
247 M.H, *Question II*, p. 115

أي اللغة "كآلة"، ولكنهم لا يفكرون في القول أبدا عن طريق اللغة كآلة، فيخرج القول عن طريقها أو بفضلها. إن التعريف الأساسي للإنسان ككائن حي يملك اللغة، ليس بمعنى الآلة، فقد ميز اليونانيون شعبهم عن باقي الشعوب. وذلك بتسمية غير اليونانيين بـ "البربر"، وهم الذين لا يتحدثون اللغة اليونانية، أي أن طبيعة قولهم مختلفة، فهو لا بالأسطورة ولا باللوغوس ولا بالإيبوس.[248]

2- **القول بعد سقراط**

اللوغوس بالنسبة إلى أفلاطون، هو العقل الكلي للعالَم. فالعقل هو الذي يحوي الأفكار الأزلية. ولهذا، فإن طريقة الحوار القائمة على الديالكتيك، هي طريقة تعتمد على العقل الاستدلالي. الاهتمام الأكبر لأفلاطون هو مسألة صدق معنى القول، ومطابقته للأشياء التي يتحدث عنها، وإلى أي مدى يمكن للغة أن تتفادى الوقوع في الخطإ. واللوغوس عند أرسطو، هو القوة الفكرية التي تنير الفهم. وهو قول مكتوب أو منطوق. إن كان منطوقا فهو حوار. وهذا الأخير، يعتمد على ثلاثة أسس، إما على اللوغوس، وإما على الباثوس Παθος أو على الإيثوس εθος وكل هذه الأنواع من القول تدخل في دائرة فن الخطابة. يرى أرسطو اللغة في مهمتها التواصلية، إذ يمكن تفادي الخطأ بوضع قواعد تحكم العبارة، ولكن ينبغي أن نتوقف عند معنى اللوغوس، بالنسبة إلى السفسطائي أيضا ولا ننسى أن أول ما بدأ به هيدغر عمله التاريخي، **الكينونة والزمان**، كان مقطعا من **السفسطائي**[249] σοφιστης، نظرا إلى قوة تأثيرهم البلاغي، حيث كانوا متحدثين جيدين، وكانوا مهتمين أيضا باللغة، كما أنهم أول من ابتكر علم اشتقاق الكلمات Etymologie وفن الخطابة، فكانوا يبيعون خطبهم. وهذا يدل على قوة الكلام الذي تميزوا به، فكانوا ممتهنين للكلام باكتسابهم تقنية فن الكلام، وأيضا

248 Ibid., p. 116

249 السفسطائي باليونانية تعني الحكيم σοφος ولكن ذكر أفلاطون هذه الكلمة في محاورة **المأدبة** *Le Banquet* ولكنه أعطاها معنى سلبيا فميز بين الفلسفة والسفسطة ونعتهم بالمشعوذين غير المهتمين بالحقيقة والمحبين للمظاهر والتفاخر وبأنهم كانوا يهدفون إلى الإقناع بأسلوب المغالطة تحت غطاء المنفعة ولكن ربما كانت محاضراتهم القوية وهي متنوعة بين علم اللسانيات والبلاغة وعلم المعرفة والأنطلوجيا تهدف إلى إحداث صدمة لدى المستمع ليتجه إلى التفكير بعمق أكبر وليس للمغالطة وهنا نذكر قول Isocrate وهو أحد الخطباء العشرة عن غورغياس: "كيف يمكن أن نذهب إى أبعد مما ذهب إليه غورغياس حين تجرأ وقال أنه لا شيء موجود" وضع غورغياس قوة الكلمة في مقابل ضعف الحقيقة. غورغياس هو مفكر الكينونة والحقيقة فمسألة اللوغوس والموسيقى والإريروس هي في علاقة تبادل أبدية فالموسيقى ليست فينومين صوتي فحسب بل تحوي اللوغوس في داخلها فاللوغوس هو موسيقى لإحتواءه على منطقه الداخلي

بسبب نظرية غورغياس، Γοργιας في اللاوجود *La théorie du non-Etre* التي نقلها إلينا سكستوس أومبريكوس Sextus Empiricus.

كانت اللغة لغة قانون وإدارة في الإمبراطورية الرومانية. فإن كانت اللغة هي لغة قانون، فهذا يمنحها قوة وعدلا وإستقامة، فكانت تتميز الكلمة بقوة القانون وصرامته. وهذا ما يبين إنتقال كلمة لوغوس كترجمة إلى اللاتينية بمعنى راتيو Ratio[250]. كما أن الديانة المسيحية كانت هي ديانة الإمبراطورية. وحسب إنجيل يوحنا Saint Jean "الله يتكلم، وكلمته هي الإبوستازيا Hypostase[251] الخاصة به". وبهذا يكون لوغوس الإله هو الإله نفسه، وقوة اللوغوس من قوة الإله. وهذا يعني أن قوة الكلمة لا تضاهيها أي قوة في هذا العالم.

لا يوجد ما يقابل كلمة "لوغوس" في اللغة الفرنسية، بحيث يغطي اللفظ مجموع إستعمالاته، ولكن تمت ترجمته إلى Parole, Discours, Enoncé, Relation ou Rapport ويقصد به أيضا(Raison (Ratio.[252] فالترجمة يجب أن تكون مطابقة للمعنى المقصود في النص، ولا يؤخذ بها كترجمة حرفية للكلمة خارج نطاق معناها في النص. ولهذا، فإن كلمة لوغوس لها دلالات مختلفة.

أما في اللغة الألمانية، فالقول هو Die Sprache ويعني عادة اللغة، ولا يتعلق هنا بالنشاط الفردي الخاص بالتعبير، ولكنه مرتبط بما قيل عن طريق الاستماع والإنصات والممارسة الشعرية والفكرية للغة.

يبين هيدغر في محاضرة **برمنيدس** في سداسي شتاء 1942-1943 أن أنكسيمندر، برمنيدس و هرقليطس هم فقط من يستحقون تسمية المفكر الأول،[253] فالمفكر الأول يفكر في الكينونة الخالصة. الكينونة هي الأصل، الكينونة هي البداية. ولكننا لم ننصت إلى هؤلاء وتمسك الفلاسفة بالتفكير خارج دائرة تفكير الأوائل، حيث عجزت فلسفتهم على نقل قولهم

250 Dictionnaire Latin, Logos: vains discours, chansons, fable, raison

251 ترجمت إلى أقنوم

252 Jean Lefranc, *Platon et platonisme*, Armand Colin, 2014, p. 96 (ISBN 978-2-200-25943-3 ? lire en ligne (Archive) p. 89-Aristote, *De l'âme,* p. 62

253 M. H, *Parménide*, p. 21

إلينا في معناه الأصلي لأن كينونتهم لم تكن مؤهلة لسماع صوت هؤلاء. يرى هيدغر أنه علينا أن ننتبه إلى هذه الأبيات الشعرية المكتوبة باللغة اليونانية، حيث جاء ترقيم الأبيات الشعرية وتقسيمها رومانيا. وهذا يعني أننا لن نفهم ما قاله هؤلاء إلا إذا أتقنا اللغة اليونانية. اللغات الأخرى التي تُعد ترجمات وتأويلات لفكر الأوائل، لا تضمن لنا فهم كلمة المفكر الأول. مما يستدعي العودة إلى لغة الإغريق الأوائل. آلية فهم هؤلاء تتطلب أن ننصت ونتكلم يونانيا.[254]

يقول هيدغر: "اللغة اليونانية في حد ذاتها، هي أكبر الفلاسفة اليونان".[255] إهتم أكبر اللغويين في الفلسفة اليونانية باللغة اليونانية ذاتها، من وجهة نظر دلالات الألفاظ وعلم أصولها أكثر من الجانب النحوي فيها. فاللغة اليونانية تتميز بخاصية غير موجودة في بقية اللغات الأوروبية، إذ كان الأمر بسيطا في إبداع كلمة مركبة، ليشير بها اليونانيون إلى مفهوم معين. فالأمر متعلق بنظام لغوي منفصل تماما عن الأشخاص، ويتوقف هيدغر عند خاصية الفعل "كان"، باللغة اليونانية. فهو يحمل معنى الاسم والفعل أيضا: كائن/كينونة. ولهذا، يقول هيدغر إن هذه اللغة هي لغة فلسفية، وليست مجرد أداة اكتسبناها شيئا فشيئا.[256] فما هو خاص في هذه اللغة هو نموذجي منذ البداية. هذا ما قاله لوهمان Lohman عن اللغة اليونانية. فهي ليست نسقا من الإشارات.[257]

يقول هيدغر: "اللغة هي ترك ما يمليه ما هو كائن عن طريق لغز الكينونة".[258] فالقول عاش منذ زمن بعيد، وهو أقدم بكثير من الأفعال، ويتحدث أيضا هيدغر عن اللغة اللاتينية، التي أخذت الكلمات اليونانية دون مراعاة لأصالة التجربة الإغريقية، فلم تتطابق الكلمات اليونانية مع ما يقولون في لغتهم اللاتينية. هي ترجمات حرفت للفكر اليوناني، وأصبحت هي اللغة المعتمدة في الإمبراطورية. ويبرز لنا هيدغر التحول الذي طرأ على المعنى اليوناني الأصلي. فغَيَّره تماما من خلال بعض المصطلحات اللاتينية، مثل

254 Ibid., p. 23
255 Dictionnaire de Martin Heidegger, p. 746
256 Ibid., p. 747
257 Lohmann «Le propre de la langue elle-même est primordialement paradigmatiquement» p. 747
258 Jean Beaufret, *Dialogue avec Heidegger*, t. III, Paris, Minuit, p. 167 « se laisser dicter ce qu'elle est par l'énigme de l'être »

كلمات:[259] Falsum, Jus, veritas,Pax, Ratio ففتحت هذه الترجمات على التفكير الغربي فراغا، حرمه من كل تأسيس.[260]

في محاورة **فايدروس**، يتساءل أفلاطون عن فن الكلام قائلا: " حتى نتجنب الكلام بطريقة بليغة éloquente، ألا يجب أن نتعلم تقنية الكلام أي فن الكلمة؟" [261] هل الكلام هو حركة الفم واللسان، لتعطينا مجموعة من الكلمات والرموز؟ والأمر نفسه بالنسبة إلى الكتابة. مَن المتكلم؟ ومَن القائل؟ إلى من يُوجَّه الكلام؟ كما ينبغي أن ننتبه إلى الفرق بين الثرثرة وفنون الكلام.[262]

الكلام ليس مسألة إستطاعة أو تقنية، بل يجب إخراج الكلمة من أسرها، أي من الثرثرة. فالحقيقة هي السلطة الوحيدة التي تملكها الكلمة. يقودنا حوار أفلاطون إلى أخلاقيات الكلام، لأن أساس الكلام هو الحقيقة، باعتبار وجود علاقة بين المتكلم والمستمع. ففي نشاط الكلام، ينبغي أن تكون هذه الحقيقة محددة بمرجعيات عالمية، حتى يكون القول هو قول الحقيقة، ولا شيء آخر غير الحقيقة، إذ لا يمكن أن تبنى العلاقة بين القائل والمستمع على اللاحقيقة، كما يميز أفلاطون بين اللغة كنشاط إنساني وبين الأصوات. فالحيوانات مثلا، لا تملك لغة بل تطلق أصواتا. يقول أفلاطون في تعريفه للآلهة: "الآلهة هي الفكر الذي يغذيه العقل Νους والعلم المطلق"[263]. إن الكلمة في نمط الحشد هي قوة مدمرة، إذ يجب تحطيم هذه القيود التي تجعل من الكلمة مبتذلة وعشوائية. ولهذا تم تحديد الكلمة في الفلسفة في علاقتها بالحقيقة. فالحقيقة من وجهة نظر أفلاطون، هي من يُوجه الكلمة نحو الخير. فالكلام يأخذ شكل لوغوس حي، بمعنى اللوغوس الذي يتجه إلى البحث عن الحقيقة في نمط الديالكتيك، أي الحوار.

---

259 M.H, *Parménide*, p. 54

260 M. H, *Chemins qui ne mènent nulle part*, p. 21

261 Platon, *Phèdre, L'art de la parole,* Trad. Christian Ruby, Ellipses, p. 3

262 Ibid., p. 3

الإنسان لا يمكن أن يتحدث إلى الأشجار والأحجار كما أنه لا وجود لإنسان وحيد لأنه يعيش في المدينة مع الآخرين ولهذا فالكلمة هي أيضا كلمة سياسية لأن الإنسان عليه أن يشارك في الشأن العام وبهذا تشارك الكلمة هي الأخرى في الاجتماع البشري ولهذا لا بد أن يكون للكلام أخلاقيات لتفدي الكذب والسيطرة كما أن تجلي الحقيقة لا بد أن يكون في قلب المجتمع البشري ولكن ما هي الممارسة التي ينبغي تبنيها للحفاظ على أخلاقيات الكلام حتى نتكلم في الحقيقة؟ وحتى يكون الكلام خطابا صحيحا؟ هناك فرق بين كلمة الحق وكلمة فارغة parole vide et parole vraie ولهذا يقول فتجنشتاين " القلق الموجود في العالم هو قلق موجود في اللغة أولا" فحدودنا في العالم تحددها حدودنا في اللغة

263 Platon, *Phèdre*, p. 5

تعالج شخصية فايدروس موضوع الشعر، وتُعَبِّر عن علاقة اللغة بالشعر وبفن الخطابة. ولكن، تتناقض الخطابة أو الشعر مع اللغة الموجهة في بحثها عن الحقيقة؟ يقول أفلاطون:

" إن العلاقة بين الفيلسوف والخطيب هي علاقة تناقض ولكن تنقسم الخطابة Rhétorique إلى خطاب جميل وخطاب يهدف إلى إظهار الحق".[264]

الديالكتيك هو كلام حي. يعلمنا الجدل الكثير من الناحية البيداغوجية ، فهو الطريقة التي تُوَلد الأفكار، ويربطنا بالكلمة المستقيمة، فنتحرر من الثرثرة، ولكن الحب أيضا معلم جيد. الخطاب السيئ لا يعرف في ماذا يتحدث، وإن كان ما يقوله صوابا. مثله مثل الحب، فالمحب السيئ يخطئ فيما يتعلق بموضوع رغبته. كما يدعو أفلاطون إلى إعادة النظر في العلاقة بين الحب والكلام بحميمية أكبر،[265] لأن خاصية الحب هي الإنفتاح على الحق Le vrai وعلى الواحد أو الوحدة، ولكن حتى نحب حسب الحق selon le vrai علينا أن نتكلم بلباقة، وأن نركز على الوحدة لا على الفصل. نستنتج هنا أن الحب هو الإنفتاح في نظر أفلاطون.[266] أما بالنسبة لهيدغر الكينونة هي الإنفتاح، فهل يمكن أن تكون حقيقة الكينونة هي الحب؟ فكلاهما في جوهرهما إنفتاح وعطاء؟

الكلمة هي أداة في علاقتها مع الإله هرمس، Hermès،[267] فلن تكون الكلمة كلمة حق، إلا إذا كانت في علاقة حميمة مع الحب. ولهذا، كان يُنذر الكلام إلى كل من العرافة Pythie et Mythe وعلى الخصوص أشعار هوميروس وهيزيود. وهذا يعني أن الحقيقة متجذرة في الحق Réel بالمعنى الديني للكلمة، والكلمة في حد ذاتها باعتبارها قوة فعالة، هي من وحي الآلهة، ففي محاورة **فايدروس**، الشاعر مثله مثل الملك، أي أنه يملك قوة الملك Le poète est devin, le poète est roi وهذا كله بفضل القوة الدينية للآلهة منيموزيني،

264 Ibid., p. 13
265 Ibid., p. 10
266 العودة إلى كتاب هيدغر Hölderlin, p. 183
267 هو الإله المسؤول عن العلاقة الموجودة بين السماء والأرض وهو من فتح عالم الأموات وهو من يحافظ على العلاقة بين عالم الأموات وعالم الآلهة من خلال القول ولهذا سمي التأويل ب الهرمنوطيقا نسبة إليه لأن القول يتغير من لسان إلى لسان آخر فإما أن يضاف إليه أو ينقص من المعنى الأصلي وذلك حسب طريقة تلقي القول ويبدو أن هرمس كان رمزا للجنس ولروح الخلق ولم يكن إلها Dictionnaire des mythologies

Mnémosiné أي إلهة الذاكرة التي أنجبت آلهات الشعر، بحيث يمكن إمتلاك إمكانية العبور إلى المافوق وإكتشاف العالم اللامرئي.[268]

يضع سقراط الحب وفن الكلام في ميزان واحد،[269] ولكن لماذا؟ لأن الحب يبحث عن الحب الحقيقي، أي الحب الأصيل، والكلمة، هي الأخرى تبحث عن الحقيقة. فليس كل كلام هو كلام حق، وليس كل حب هو حب حقيقي. سيوضح لنا مثال البحارالرؤية أكثر، فالبحار الذي يركب سفينته هو ليس حرا، لأن حركته مربوطة بحركة السفينة، التي تحكمها هي الأخرى حركة الأمواج. وهذه الأخيرة تحكمها قوة الرياح، والرياح محكومة بقوة نجهلها. الرغبة هي المحرك الأساسي للحب والمحرك الذي يحرك البحث والمعرفة هو الحب، أي "حب الحقيقة". إذن، الرغبة هي حب وحركة في طريق بحثها عن كلمة الحق، وربما الموسيقى هي أيضا كلمة موجهة إلى من يسمعها. ولهذا، كان الجميع ينساقون تحت تأثير الجمال والفن السحري لأكبر موسيقي في كل الأزمنة، إنه أورفي Orphée الذي كان يعزف على آلته الموسيقية harpe فكان يغني ويبكي فقدان حبيبته[270] في وسط الغابة. وهذا، يعني أن الموسيقى هي أيضا يمكنها أن تأخذ معنى اللوغوس، باعتبارها إشارات نستقبلها عن طريق الاستماع. فاللوغوس كموسيقى، هو أيضا يُعبر عن وجود علاقة عميقة، لا ندرك أغوارها، لأنها تشكل ما كان وما هو كائن وما هو قادم، وهو لوغوس يسمعه الشعراء فقط، ويحتفون به في مديح السماء. فمن دون الشعر والشعراء تبقى الكلمة منسحبة متخفية في صمت وفي ظلام مدقع. يمنح الشاعر الفعل الإنساني الإنارة وقوة الحياة واستمرارية الكينونة. فالكلمة الشعرية هي الكلمة المَلَكِية لامتلاكها فضائل المناظرة أو المماثلة. يتميز

---

268 Ibid., p. 11

269 Ibid., p. 33

270 Ibid., p. 18

الكلمة Parole بمعنى لوغوس لها علاقة بما هو حميمي مع الحقيقة، أي أنها مربوطة بصفة حميمية مع الحقيقة، ولا يمكن فصلها عن "اعرف نفسك بنفسك" هذه العبارة المنقوشة على جدار معبد دالفي، لأنه من العبث أن أحاول معرفة أشياء غريبة عني، في حين إنني أجهل نفسي 229 *Phèdre e* يضعنا سقراط بمحاذاة الحقيقة ولكن مقابل الاعتناء بالذات، وذلك بمعرفتها والقلق بشأنها من أجل البحث عن حقيقة الذات وعن الكلمة الحقة parole droite وعن احترام الوحدة في المدينة. وهو الذي يؤكد فيما بعد قائلا "كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا" ص20 -21 (d235) يرى سقراط بأن اليقين =/= الحقيقة ص 81-82 ولهذا يقول أن كل ما يعرفه هو أنه لا يعرف شيئا فالقول هو دائما قول متسائل.

وربما لم تكن انطلاقة هيدغر من التحليل الوجودي للدازين في معرفة الكينونة سوى استجابة ل"اعرف نفسك بنفسك" ولم يتوصل إلى أن الكينونة هي عمق لا يسبر غوره إوكلمة سقراط تؤكد أنه مهما بلغت معرفة الإنسان، فإنها تبقى رؤية غير مكتملة، لأنها محكومة بالغموض. فالقلق الدائم هو قبول ضياع الذات. الرؤية العادية لا تدرك الحكمة لأن الحكمة كانت ستحيي حبا غير معقول إذا كانت ستعرض أمامنا صورة واضحة مثل صورة الجمال، فالتوجه نحو الحقيقة لا يكون ممكنا إلا عن طريق الحكمة ولكن من هو الحكيم؟ الحكيم هو الشاعر الموحى إليه، حيث تهتم آلهات الفكر والتفلسف بخطاب الآلهة والإنسان، كاليوبي وإيراني Calliope et Uranie هما ألهات الشعروالفكر، ص. 52 - الشيء =/= الشيء التجريبي Res، هذه ليست الحقيقة التي تبحث عنها الحكمة لأنها تدخل دائرة الحواس المربوطة بالعالم المادي، أسطورة الكهف، livre VII, 514a-518e، ما تبحث عنه الحكمة هو أعمق من السطح، المفكر هو الحكيم الذي يبحث عن La pierre philosophale.

الملك بالتحكيم الإلهي Ordalique وبقدرة التنبؤ أو النبوءة Oraculeur، لأنها تكشف المستور أي تكشف ما لم يأت بعد، بمعنى أن الشاعر هو الحكيم المتنبئ بالقادم.. وهكذا، لا يكون ملكا إلا من كان يملك الكلمة القوية والمستقيمة والعادلة. اللغة في نظر أفلاطون هي اللغة المستقيمة. فما هي اللغة في نظر هيدغر؟

3- ماهية اللغة بالنسبة لهيدغر

هو عنوان إحدى محاضرات هيدغرالتي تحدث فيها عن التساؤل التقليدي حول ماهية اللغة، حيث يسلط الضوء على مجموعة من الافتراضات ومبدأ هذه الافتراضات "الإنسان هو الذي يتكلم" واللغة وسيلته في ذلك. اللّغة آداة وظيفتها هي التعبير.[271] ليست اللغة موضوعا للتفكير. ما يجب التفكير فيه حقا، هو تلك العلاقة بين اللغة والإنسان. هذا الأخير هو موضوع اللغة. لقد اعتدنا أن نسمع "الإنسان يتكلّم" وأن اللغة خاصّية إنسانية، إلّا أنّ هيدغر يؤكد عكس ذلك "اللغة هي التي تتكلّم وليس الإنسان".[272] ليست اللغة هي التي تخدم الفكر بل العكس تماما. الفكر هو من يخدم اللغة. فكما رأينا سابقا في معنى كلمة لوغوس، اللغة تنفتح منذ البداية في ضوء الكينونة. وهذا يعني أنّه لا يمكن فصلها عن نور الكينونة. ومشروعية قوله هذا مأخوذة من التّاريخ. فما هي نقطة البداية إن لم تكن تجربة اللّغة منذ القدم؟ ثم هل كان ليكون لنا تاريخ لولا وجود اللغة؟ فشعب لا يملك لغة هو شعب لا تاريخ له، فاللغة تترك صدى وتخلّف وراءها أثرا، فمنذ أكثر من ثلاثين ألف سنة حُفِظت الكلمة على الحجر، هي رسومات ونقوش موجودة إلى يومنا هذا في جبال التاسيلي في مدينة "تامنراست" في أقصى جنوب الجزائر. سبق " فنّ النقش على الحجر" ظهور الكتابة، وتعتبر هذه الأخيرة علامة بداية التاريخ، حيث ظهرت الكتابة سنة ثلاثة آلاف وخمس مئة قبل الميلاد في العراق.

لا يمكن للإنسان أن يكون منتجا للغة أو خالقا لها، على الأكثر هو حارس لها. فاللغة باعتراف الإغريق، هي جزء مربوط باللامأوى. ليس الانسان موضوعا للغة، وبالتالي هو

271 Rémi Braque, *Introduction au monde Grec*, p. 178
272 Ibid., p. 179

ليس سيّدا عليها، على العكس تماما، يستقر الإنسان في اللغة، أي أنه يسكنها.[273] هذا القول ليس مجرد اقتراح هيدغيري فحسب، وإنما هي التجربة الإغريقية ذاتها. فنشاط الكلام يجد في الإنسان شرط إمكانيته. لأنّه الكائن الوحيد الذي يملك خاصية الكلام، بمعنى المكان الذي يتحرك فيه. إلا أنّ الإنسان لا يستطيع الكلام، إلا إذا كان يتقن الإنصات. أي عليه أن يكون منصتا جيدا. فاللّغة هي إنصات وانتماء للكلمة الموجّهة.

لسنا نحن من ندرك ومن نرى، إنه الشيء الذي يكشف عن نفسه، الذي يظهر هناك. لسنا نحن من نتكلم، إنها الحقيقة في أساس القول".[274] وفي مقطع آخرفي مسألة حول برغسون في 1959 يؤكد فيها ما يلي: "الأشياء تمتلكنا ولسنا نحن من نمتلكها، إنها الكينونة التي تتحدث داخلنا أو فينا ولسنا نحن من يتحدث عنها".[275] يقول ميرلو بونتي Maurice Merleau- Ponty في كتابه **المرئي واللامرئي** بأن الكلام هو نشاط مزدوج، لا نعرف فيه من المتكلم ومن المنصت.

يعلمنا هيدغر كيف ننصت قبل أن نتكلّم، فمهمة اللغة هي أن نجلب للقول اللحظة الزمانية الحاضرة للعالَم، ففي العالَم الذي نعيشه اليوم، نحن لم نعد نسمع قط حقيقة الكينونة. فاللّغة هي التي ترسم لنا الطريق وتخبرنا أنّه لا يمكن معرفة خاصّية اللّغة، إلّا إذا ابتعدنا عن معرفة الماهية، أي ماهية اللغة، لنركز على تجربة إنتشار اللغة. هل القول (اللغة) هو جوهر الانسان؟ هل الانسان هو الوعاء الذي يحفظ القول ويردّده؟ ولهذا يقول هيدغر "اللغة الشعرية هي منزل الكينونة".[276] وأن الإنسان هو راعي الكينونة؟ أي أنه يسهر على حقيقة الكينونة ليظهر الكائن ككائن في نورها.

إن ماهية اللغة تستمد من ماهية الشعر، والطريق الوحيد لبلوغ ماهية الأولى هو أن ننصت للثانية. فالتفكير في اللغة هو أن نترك الشعر يتكلم فالشعر تذكر، والذاكرة هي بنت

---

273 ميرلوبونتي ، هو فيلسوف هيدغيري. في **كتابه** الظاهر وغيرالظاهر *Le visible et l'invisible* يؤكد أن اللغة هي من تتكلم وليس الإنسان

Ibid., p. 180

274 Françoise Dastur, « *Réception et non réception de Heidegger en France* », Revue germanique internationale, 2013, p. 27. http/journal.openedition.org/rgi/1120

275 Ibid., p. 28

276 M.H, *Lettre sur l'humanisme,* p. 85

السماء والأرض، إنها تلك الذاكرة المحفوظة بما هو جدير بالتفكير. هذه الذكرى هي الأصل الذي يصدر عنه الشعر. ولهذا كان الشعر هو المياه التي تجري إلى الخلف أحيانا ولكنها تتجه إلى المصدر أي أنها تتجه إلى نحو ذلك الذي يستحق التفكير حقا، باعتباره تذكرا. فالنسيان مؤلم وهو تعبير عن علاقة فيها صراع ومعاناة بين النسيان والتذكر، بين الحقيقة واللاحقيقة وبين الحجب واللاحجب.[277]

هل الشعر بالنسبة لهيدغر، هو اللغة الأصيلة التي يمكنها أن تعيد الكينونة إلى الذاكرة؟ وهل يمكن أن نصل عن طريق اللغة الشعرية إلى أعلى قمة في السلسلة الجبلية الطويلة للكينونة؟ كيف يمكن للشعر أن يكون بابا يفتح لنا أفقا أو آفاقا متنوعة ننظر من خلالها إلى بنية الكينونة الإنسانية؟ وقبل هذا، ما هي اللغة الشعرية في نظر هيدغر؟ هل هي الكينونة أو هي تعبير عن الكينونة؟ اللغة الشعرية ليست شيئا تربطنا به علاقة فحسب، بل هي سيدة العلاقات جميعا. إنها هي من تكشف العالم وتحركه، فالكينونة تتجلى في القول الشعري، وليس الإنسان هو الذي يحددها.[278] فالكينونة كانسحاب هي الإنارة ولكن هل الانسحاب هو الخاصية الأساسية للكينونة؟ أم أن السبب في عدم تجليها هو أننا لم نفكر في الانسحاب بالشكل الذي يجعله يكشف لنا عن أسراره؟ لقد بدأ هيدغر يفكر في الكينونة وهو تفكير في الانسحاب والإنارة، لأنه في اللحظة التي يظهر فيها الانسحاب كإنارة، هي نفسها اللحظة التي ينسحب فيها ليستمر في الاختباء. أي أن لحظة الانسحاب والحضور واحدة وهكذا يكون زمن الكشف هو نفسه زمن التواري والانسحاب. وهذه الإضاءة التي تعطينا حضورا، هي الأصل الذي دخل دائرة النسيان، فهذا الإظهار الذي يكون بفضل الإنارة، يظهر في اللغة وفي الفن وفي الشعر. فالقول الشعري هو الذي يظهر الكينونة. وبهذا يصبح القول هو المسؤول عن إظهار وإنارة الكينونة، إلا أن القول يظهر ويخفي، القول ليس ظهورا مكتملا، فهو لا ينتج دائما ما يقول. كما أن التفكير في الكينونة من خلال الشعر على ضوء الإنارة هو مهمة الفكر الأصيل واللغة هي التي تفكر. والإضاءة في الفكر وفي اللغة هي الرؤية في أقصى مداها، أين تظهر الكينونة في كليتها. وهي محاولة شبيهة بتلك

277 مارتن هيدغر، **ماذا يعني التفكير؟** ، ص. 47

278 M.H, *Acheminement vers la parole*, p. 15

الطريقة التي تتكيف بها طيور الظلام مع ضوء الشمس الساطع.[279] إذن مرآة الكينونة، هي اللغة. فاللغة تعكس الفكر والفكر يعكس الكينونة. ولهذا فإن اللغة هي مأوى الكينونة، حيث لا ترى الكينونة نفسها إلا من خلال القول، ففي القول تكمن حقيقة الكينونة كمشروع فني قبلي وأصيل. ولكن كيف نفهم المسكن والمأوى؟

الكلام هو نشاط مزدوج، لا نعرف فيه من المتكلم ومن المنصت. وحين فكر ميرلو بونتي في ماهية الكينونة، كان جوابه هيدغيريا وهو نفس الجواب الموجود في **الكينونة والزمان حيث يقول**: الكينونة، لا هي كينونة الشيء ولا كينونة الأنا ولا كينونة الماهية ولا الوجود، فما هي الكينونة إذن؟ وهذا بالضبط ما أشار إليه هيدغر من خلال قوله، أن الكينونة لا تقبل أي تعريف، كما لا يمكن تسميتها أو تحديدها لغويا. فجاءت كل تعريفاته بالنفي. أي أن اللغة فقدت قدرتها على التسمية، وعلى التجميع أيضا. ويبين هيدغر ذلك من خلال شرحه للمعنى الأصلي لكلمة "لوغوس"، فيقول بأن القول يجمع بين نشاط الفكر والشعر، حيث يرسم الإثنين سبيل اللوغوس، فالمفكر يقول "الكينونة" والشاعر يسمي "المقدس". كما أن حدث الكينونة أي " الإريغنيس" يأتي أساسا في "اللغة".[280] اللغة هي التي تمنح الأشياء كينونتها. فالذهاب إلى الأشياء كأشياء يقتضي الذهاب إلى "الكلمة"، وهذا يعني أن التفكير في اللغة هو الذي يجعل الوصول إلى الأشياء كأشياء ممكنا. ولا تقاس الأشياء بحضورها في العالم الخارجي، بل تقاس في الكلمة التي تسمي الأشياء تسمية أصلية originairement، أي أن الأشياء ليست معزولة عنا، تقيم الأشياء في علاقتها الرباعية، وهذا ما يسميه هيدغر بالرباعية،Geviet, Quadrature، كينونة الأشياء ليست تمثلاتها أو حضورها، لا تكمن كينونة الأشياء في أداتيتها، على العكس، فالأشياء تترك "الرباعية" تقيم بالقرب منها. أي أن كينونة الأشياء، تجمع بين الفانين والأزليين وبين السماء والأرض. الكينونة هي الحدث الذي ينفتح في هذه الأركان الأربعة. إذن لا يمكن للأشياء أن تكون إلا في الإنفتاح، ولا وجود لإنفتاح دون إنارة، وهذه الأخيرة هي القول الشعري. فالشعر وحده بإمكانه أن يؤسس

279 M.H, *Qu'appelle-t-on pensée* ? p. 84
280 Gianni Vattimo, *Introduction à Heidegger*, Trad. Jacques Rolland, Cerf, 1985, p. 140

للإنفتاح. خارج الشعر لا يمكن للأشياء أن تكون أشياء في ذاتها، هي فقط أدوات للإستعمال.[281] إلا أن التأسيس للإنفتاح يحتفظ دائما بجانب مظلم.

يعلمنا هيدغر أهمية الإنصات في نشاط الكلام. ماهية اللغة هي لغة الماهية ومهمتها هي أن تجلب للقول اللحظة الزمانية الحاضرة للعالم. ففي العالم الذي نعيشه اليوم، نحن لم نعد ننصت قط لمعنى حقيقة الكينونة. اللغة هي التي ترسم لنا الطريق وتخبرنا أيضا أنه لا يمكن معرفة خاصية اللغة، إلا إذا ابتعدنا عن معرفة الماهية، أي ماهية اللغة، لنركز على تجربة إنتشار اللغة.

هل القول (اللغة) هو جوهر الإنسان؟ هل الإنسان هو الوعاء الذي يحفظ القول ويردده؟ ولهذا، يقول هيدغر: "اللغة الشعرية هي مأوى الكينونة"؟[282] أي أن اللغة الشعرية هي لغة الكينونة. ولكن كيف تحول جوهر الإنسان من القول إلى العقل؟

4- تحويل ماهية اللغة من القول إلى العقل

يعرف أفلاطون الأليثيا بأنها ثابتة immuable و غير قابلة للشك incontestable وفاعلة وبهذا لا يمكن نسيانها privée d'oublie، ولكنه يقصد بكلمة "أليثيا" الحقيقة التي تهدف الفلسفة للوصول إليها، وهي محددة مع بداية الفكر القبسقراطي في شعر برمنيدس، هذا الشاعر الذي سماه أفلاطون في محاورة **السفسطائي**، "أب الفلسفة". يقول برمنيدس: يوجد طريقان للبحث، الأول خاص بالرأي، ويخرج عن نطاق الكينونة، لأنه متغير. والثاني خاص بالحقيقة كأليثيا، أي حقيقة الكينونة اللامتحجبة.[283] ولكن كيف تم الانتقال من تحديد الإنسان كـ"متلقي لحقيقة الكينونة" أي كمتلقي للكينونة المتكشفة إلى إنسان عاقل؟[284] وكيف تحولت الحقيقة من "أليثيا" إلى "يقين"؟ هل جوهر الإنسان محدد بالعقل؟ الإنسان يشبه الكينونة في طبيعتها المنفتحة، وهذا الانفتاح محكوم هو أيضا بالانغلاق. حيث يعترف الانفتاح بانتمائه إلى الإنغلاق، أي إلى النسيان.

281 George Steiner, *Martin Heidegger*, Flammarion, p. 148
282 M. H, *Lettre sur l'humanisme,* p. 165
283 Platon, *Phèdre*, p. 92
284 M. H, *Parménide*, p. 114

وجد هيدغر في كلمة الذاتية Subjectum الترجمة الإغريقية للكلمة هيبوكيمينون ὑποκειμενον، وهذا يعني ما هو محدد أمامك. وهو ما يُكوّن الأساس Grund الذي يتجمع منه الكل. وهذا الأخير سيكون بالنسبة إلى الإنسان مصدر "الكائن كما هو". عقب التحول في جوهر الإنسان، تحول في جوهر الكائن لأن هذا الكائن في كليته يكون كائنا حقيقيا فقط حين يحدده الإنسان، ويثبته في التمثل والإنتاج. فأصبحت كينونة الكائن، هي الكينونة المتمثلة Vorgestellheit. هذا التأويل لكينونة الكينونة، لا نجده، لا في الفلسفة الوسيطية، ولا في الفلسفة الإغريقية. فالكائن في الفلسفة الوسيطية هو كائن مخلوق Ens creatum. أما في الفلسفة اليونانية، فالكائن بعيد عن الوصول إلى الكينونة عن طريق النظر الإنساني في التمثل أو الإدراك الذاتي. فأصبح الإنسان ذاتا، والأكثر أهمية هو ليس فقط هذا الإنسان، الذي أصبح في الأزمنة الحديثة مسرحا يجب أن يقدم فيه الإنسان نفسه، ولكن أصبح هذا الإنسان يسعى إلى إستثمار المكان الذي يحفظه بطريقة إرادية ويضمن له مكانه الخاص. وهكذا، أصبح الجوهر المكتمل للتمثل الحديث، يملك معنى "وَضَعَه أمام الذات لتَجلِبه إلى الذات" vor sich und zu sich her stillen. وهكذا لا يستقبل الكائن سوى ختم الكينونة، مما يدعو إلى ضرورة الإنصات لـلتمثل vor stellen ووضعه أمامنا كـ vor-sich stellen أو بلغة ديكارت، كل تفكير هو تفكير في الأنا، كل cogito هو cogito me cogitare. ففي كل تمثل،يمثل الإنسان نفسه.[285] وقد تفهم هذه العبارة فهما خاطئا؛ فالمقصود هنا هو أن هذا الذي يفكر أو يمثل الكائن هو جزء من هذا التمثل، أي أنه موجود ضمنيا في كل تمثل co-représenté. أما سيادة الموضوع كنمط حضورللموضوع، فيتوافق مع العلوم الحديثة.[286]

إذن، هذا الذي يمثل الأشياء، هو أيضا سيصبح بدوره موضوعا محددا للتمثل، أو خاصا بالتمثل، ولكن يكون تمثلا مشتركا وضمنيا Vor stellen في كل تمثل، حيث ينطوي على تملك مشترك للذات والموضوع، أو لهذا المسؤول عن تمثل الأشياء في حكم الموضوع، كنمط للحضور، ويفهم على أنه تمثل متفكر فيه، أو متأمل فيه، يحدد كينونة

285 Françoise Dastur, *La question du logos*, p. 210
286 M.H, *Principe de raison*, p. 198

الكائن كموضوعية ووحدة μοναϛ. هذه الأخيرة، كنظرية، هي التي تستفز الحقيقي، ليتمثل تحت صورة الموضوعية. إنه السبب الذي من أجله علينا الاعتراف به كخط أساسي للتمثل الحديث. إنه التمثل الذي يطارد الكائن، ويؤكد على الحقيقي في المطاردة. وهذا التمثل هو في حد ذاته إرادة الأمر نفسه، ويظهر مع ليبنتز، الذي يُعرّف كينونة الكائن، انطلاقا من المونادة monade. هذه الأخيرة، هي وحدة للتمثل وللرغبة، تماما كما هي موجودة في المثالية الألمانية، لشلينغ وهيجل وكانط، حيث اختلط العقل بالإرادة. فالإرادة هي أيضا تمثل. وتطارد هذه الإرادة في الأساس كل من يذهب وكل من يبقى وكل من يأتي، حتى تُصغِّر من حالته، وأخيرا تفككه.

ما يحدد علاقة الإنسان الحديث بالعالم، عن طريق التقنية الحديثة ممكن، ولكنه يختلط مع هذه الأخيرة، التي أعطاها هيدغر إسم التقنية Gestell، حتى يحدد كل أنماط الحضور Stellen. وهي التي تجمع كل هذه الأنماط في التقنية، إنه حكم الحساب والكمي الهائل والضخم la quantitatif gigantesque. ويخبرنا هيدغر أنه مازال يخفي ظلا لا نراه، بعد هذا الذي لا يمكن أن يدخل دائرة الكم أو الحساب، إنه ما لا يمكن حسابه L'incalculable. إنه التمثل والموضوعية بالنسبة إلى حركة الأساس الخاصة بالاستغلال وتدمير العالم. إن إديولوجية وتكوين العالم الخاصة بالنازية، تظهر كظاهرة سابقة أو كإرهاصات أو كأعراض épiphénomène. فما يُحَضّر له، هذا الذي سماه هيدغر، سنة 1935، "الحقيقة الداخلية للنازية"، هو الانتقال إلى الحيوان المقنن، وهو آخر صورة للحيوان العاقل، وهو الإنسان الغربي، أو الإنسان كما وصفته الميتافيزيقا الغربية.

لم يتردد هيدغر في أوائل الأربعينيات، في القول بأن هذه الميتافيزيقا، التي عُظِمت لقرون خلت، هي العدو الأكثر شراسة للفكر، حيث تحولت العقلانية إلى دغمائية صنعت القاعدة اللاعقلانية، لأنها من أفعال استبداد العقل والإلقاء به في الظلمات واللاعقلانية، كما فعلت الديكارتية، فكر وحساب cogito et ratio. هذا التفكير في ماهية التقنية يتبعه في محاضرات أخرى، سنة 1949 في Brème تحت عنوان "أنظر فيما هو موجود"، وخاصة في Das gestell. هذه المحاضرة بالذات، أعاد هيدغر إلقاءها سنة 1953، تحت عنوان:

"سؤال التقنية". فعلاقة الإنسان والموضوع في أفق التقنية الحديثة، لا يمكن تطويقها بالطريقة المعتادة، لأنه لم يعد شيئا يتمثل على شكل موضوع Gegen stand ويحفظ قوة للذات. فغياب الذات في الحساب التفاضلي والتكاملي calculabilité intégral سيغيب بغيابها، لأن الذات الحديثة والمجتمع الصناعي في مجموعه خاضع للقوة المحفزة، التي يدعوها هيدغر بـ Gestell، وهذا النمط من الكشف هو الذي أوصلنا إلى أن نكون قابلين للاعقل وللمناداة، مستأجرين الطاقة القادمة.

مفارقة التقنية، هي أنها تظهر من جهة حكم إرادة الإرادة والسيطرة الكلية للكائن، ومن جهة أخرى، هي انكشاف حقيقي، كأساس منظم ذهب بالذات. لقد وضعت التقنية الحديثة الإنسان في موضع الكائن. وهكذا، فإن امتد حكم التفكير إلى مختف مجالات الكائن، بما فيها الإنسان نفسه، فوجد الإنسان نفسه مطلوبا هو أيضا، من طرف التقنية، مما أعلن الخطر الذي أُلحق به في هذا الانتماء المتداخل للإنسان والكينونة، والذي سماه هيدغر من البداية بـ Da-sein وبعد المنعطف، سيعرض التفكير فيه تحت إسم إريغنس Ereignis.[287]

لقد حدث في العلوم الحديثة، وبسبب التقنية، تحويل في تأويل جوهر الإنسان. فالإنسان الذي اختبره الإغريق، ليس هو نفسه الذي اختبره الرومانيون. فإن كان جوهر الإنسان لدى الإغريق هو "اللوغوس"، أي القول، فإن جوهره عند الرومانيين هو العقل Ratio "غاتيو" من أجل بناء وتنظيم المدينة. وهكذا، حل العقل محل القول، ومنه لم تبق اللغة حارسة للعلاقة بين الكينونة والإنسان، بل هي منتج إنساني أو تكوين لغوي، لغرض التواصل، ليس إلا. وهذا ما سماه هيدغر بالثرثرة، لأنها ابتعدت عن لغة الأصل، وهي لغة الكينونة، لتدخل دائرة الألفة، فسارعت في الهروب إليها في نمط الكينونة اليومية.

ما يقوله المفكر بالنسبة إلى المفكرين الأوائل هو ما تمليه عليه الكينونة، التي ينتمي إليها الفكر. فالقول هو عطاء الكينونة. وبالتالي ليس القول من إنتاج الإنسان. فالقول كعطاء، يعبر عن العلاقة الحميمة بين الإنسان والكينونة، إنه القول الشعري الذي يفتح لنا

287 Ibid., p. 213

بعد المقدس. يقول نيتشه، في تمييزه بين الفلسفي والشاعري: "كل فلسفة حقيقية، هي في ذاتها فكر وشعر".[288]

كل فلسفة هيدغر، وفي كل مراحلها، هي فلسفة لغة، أن نفكر وأن نقول الكينونة، هوعطاء الكينونة ذاتها. فالفكر والقول عطاء.[289] اللغة هي لغة الكينونة، تماما مثل الغيوم التي ليست سوى غيوم السماء.

5- **القول الشعري هو مأوى الكينونة**

لا يتوقف الدازين عن الكلام فهو يتكلم باستمرار في يقظته، وأثناء نومه، ولا يستطيع العكوف عن الكلام. حتى في لحظات صمته، تفصح كينونته عن ذاتها، دون أن يتفوه بكلمة واحدة. هذا يعني أن القول أو الكلام، ليس نشاطا إنسانيا فحسب، بل هو أكثر بكثير. والكلام هو شرط كينونة الإنسان. إنها الأرضية التي ترتكز عليها كينونته. اللغة هي المأوى والإقامة، ولكن، ما المقصود بالمأوى أو السكن؟ هل هو مكان يشغله شيء ما؟

المكان ليس إطارا محددا نشغله من الداخل، إنه انكشاف الكينونة وانبثاقها في انفتاح العالم. وفي قلب هذا الانفتاح يسكن الإنسان حقا.[290] يدعونا هيدغر إلى إعادة التفكير في المكان أو المأوى، انطلاقا من انبثاق الكينونة. فالمكان ليس شيئا خارجيا، ولا تجربة داخلية، ولكن المكان هو ما ينفتح عن طريق إقامة الإنسان بالقرب من الأشياء. وهذا المعنى مختلف تماما عن المعنى المعتاد. فالمكان كواقع فيزيائي وخارجي يستمر ويبقى في اتصاله بنا. وهذا، ما عبر عنه ديكارت، في القرن السابع عشر بـ "المادة الممتدة" substance étendue. وهكذا، فنحن نفتقد بُعدَ الانفتاح، الذي لا علاقة له بالمكان كمادة. ولهذا، علينا العودة إلى الطريقة التي نتواجد بها في العالم، إذ لا يمكن أن أتواجد في العالم كأي شيء موجود، ويمكن حصرهذا الشيء في ثنائية الزمان والمكان. يقول هيدغر إن المكان الموروث من العلم الفيزيائي، هو مكان لا يمكن أن نسكنه. فكينونة الكائن-هنا، لا يمكنها أن تنكشف، إلا في مجاورتها لهذا الانفتاح. منه الإنفتاح يكون العمل والإنشاء والتلقي. وعندما

288 Ibid., p. 18
289 *La légende d'Être,* p. 17
290 Sébastien Camus, *Connaitre en citation Heidegger,* Ellipses, p.163

ينسى الطريق المؤدي إلى انفتاح العالم، لن تكون هناك إمكانية للسكن. فإقامة الدازين، يقول هيدغر، تنبثق بين السماء والأرض، وليس في مكان هندسي. يقيم الإنسان على الأرض في توافقها مع السماء، وفي علاقته مع الكينونة، وهي لا- كائن ينبثق من فراغ. كان انبثاق الكينونة قبل أن ينجز الإنسان المباني والمنشآت. فالانفتاح هو الفراغ في قلب المكان الذي يسكنه الدازين. والفراغ لا يعني لا شيء، ويوضح هيدغر هذه المسألة في كتابه، **الفن والمكان** *L'art et l'espace*. الانفتاح في أعماق التلقي والانسحاب قد يكون إصغاء إلى الصمت، أو إلى الفراغ. حيث يمكن أن ينتشر الصدى الناتج عن الكلام والفكر كما ينتشر الصدى في الغرفة. فالقول ليس عبارة صوتية لمدلول موجود مسبقا، في عقل المتحدث، إنه القول الموجود في الانفتاح على الأنا، وما هو كائن في صمت الأنا. هنا فقط، يجد القول الأصيل ينابيعه.[291] ولكن ما هو القول الأصيل؟

الشعر هو المأوى وهو القول الأصيل. إن إعطاء هيدغر للغة مكانتها التي تستحقها، جعل منها بيتا للكينونة. فـ "اللغة هي التربة البكر، وهي منبع كل متخيل، وكل فن شعري".[292]

في محاضرة هيدغر، سنة 1969، خطا هيدغر خطوة حاسمة، نحو فنون المكان، ولكن قبل ذلك، في محاضراته محاولات ومحاضرات *Votrage und Aufsalse* فُهم المسكن الشعري، بوصفه "فُسحة" Ein raigen أي أن المسكن الشعري يحدث فسحة، والمعرفة لا تكون أصلية، إلا إذا استسلمنا لتجلي الأشياء، ولكن كيف ذلك؟ إن انفتاح اللغة على العالم، عن طريق اللغة الشعرية، يدخلنا دائرة المسكن كانفتاح. هنا فقط، تنزل الكينونة منزل اللغة، لتفصح عن نفسها في أقوال الشعراء.

رأى هيدغر أن اللغة هي المركز الذي يجتمع فيه كل من الكائن والكينونة. وكان قد أطلق عليه إسم "المطوية". ولهذا، يقول إن اللغة هي مسكن الكينونة، لأنها الكاشفة للكينونة والدالة عليها. ولهذا، فإن التراجع في فهم اللغة الإغريقية وتشويه المعاني الأصلية وخيانة

291 Ibid., p.142
Logos a une relation avec le mot λογια=bavardage
292 M. H, *Qu'appelle-t-on pensée* ? p. 77

الترجمة، حال دون الوصول إلى فهم معنى الكينونة الأصلية، التي كانت موجودة في الفكر القبسقراطي، فانحرف الفكر الغربي عن أصوله. ولهذا، لا بد من استرجاع هذا الإرث الأصيل، وذلك بالعودة إلى فجره الأول الذي تميز بوجود علاقة حميمة بين الشعر والفكر المفكر في الكينونة. ولكن كيف للشعر أن يفكر في حقيقة الكينونة؟

حتى نفكر في العلاقة بين الشعر والفكر، علينا أن نحدد أولا ما تعنيه العلاقة، وثانيا ماهية الشعر وأخيرا ماهية الفكر؟ ولأن الشعر لغة. ولا وجود لفكر في غياب اللغة، فإنه يتوجب علينا أن نفكر أيضا في إمكانية وجود علاقة بين الشعر والفكر.

في محاضرته "إنفتاح اللغة"، يقول هيدغر بأن الدخول في علاقة، هو أن نترك الطرف الآخر يتجه نحونا. عندما يتحدث الشاعر عن المقدس مثلا، فإنه يترك المقدس يأتي إليه، أي يتجه نحوه. والمقدس هو صدى الكينونة أي أثرها. فالشاعر هو المختار والوحيد الذي يمكنه أن يدخل في تجربة مع اللغة ومع المقدس. وإذا قلنا أن الإنسان هو الوحيد الذي يمكنه أن يدخل تجربة كهذه، فذلك لأنه الوحيد الذي يرتبط إرتباطا وثيقا باللغة، نتيجة خاصية الكلام الشعري الذي يميزه عن الكلام العادي، وهذا ما يمنحه إمتيازا أكبر في علاقته بالكينونة. فالإنسان ليس هو من يتكلم أو من يستعمل اللغة كأداة للتواصل، وإنما اللغة هي التي تتحدث من خلاله، وهكذا يحصل التجلي عن طريق اللغة. اللغة بالنسبة للإغريق الأوائل، لا علاقة لها بالمأوى. وبهذا يصبح الكلام هو البعد الأساسي لإقامة الإنسان على الأرض. ولهذا يرى هيدغر أن الشعر هو اللغة الأصيلة التي يمكنها أن تجمع العالم بالأشياء، والأرض بالسماء. وهي التي تمنحنا فرصة الدخول في تجربة وعلاقة أصيلة مع الكينونة. فاللغة مكان يحمل خاصية الإنفتاح، ويعلمنا هيدغر كيفية الإنصات إلى نداء اللغة، وهي الطريقة التي يكون فيها مسكن الإنسان في العالم. فاللغة نداء وتأسيس للكينونة وللتاريخ وللإنسان، واللغة في معناها الجوهري شعر، والشعر قريب من الإله. ولهذا، يجب علينا أن نبحث في شاعرية الكلام المُتكَلَّم، لأن الشاعر هو من يعطي قوة الكلام، لتنفذ الكلمة الشعرية إلى الكينونة وتعبر عنها. ولكن، من هو الإله القريب من الشاعر؟

الإله بعيد كل البعد عن الفكرة الدينية، إلا أننا نتساءل: لماذا لم يختر هيدغر لفظا مغايرا يعبر من خلاله على الحضور الدائم للغياب، حتى لا يختلط الفهم، كما سبق وأن رأينا ذلك في لفظ "دازين" و"إريغنيس". لقد استعمل هيدغر ألفاظا كثيرة، ولكن بتأويلات مختلفة، مما جعل فكره مستعصيا. فهو يقصد بالإله الحضور المجهول والمنسحب والمتخفي، إنه حضور المجهول المجاور لكل الأشياء في العالم. والدازين الأصيل، هو الخارج على نظام الحشد، وهو الذي يملك فكرا أصيلا، والفكر الأصيل موجود في اللغة الأصيلة، أي في الشعر. الشعر هو صدى الكينونة التي تضاء في حقيقتها. فكلام الإنسان هو كلام صادر عن الكينونة، في صمت مطلق. وهذا الصمت، لا يسمعه إلا من كان يتقن الإنصات. فاللغة أشمل وأكبر من أن يكون الإنسان سيدا عليها، إن اللغة هي المتكلم الفعلي لما يردده.[293]

كيف كان الشعر مع سقراط قبل ألفين وخمس مائة عاما خداعا ليتحوّل اليوم مع هيدغر إلى النقيض، أي إلى مؤسس للكينونة؟ ولكن الشعر كان كذلك مع الشعراء القبسقراطيين ولهذا كانت العودة إليه نقطة محورية في مسألة الكينونة وإن كان سقراط قد وجد ضرورة للشعر إلاّ أنّه يقّر أيضا بضرورة فرض قواعد وقوالب للشعراء حتّى ينظّموا على أساسها أشعارهم ويقول بأنّه لا بدّ من فحص الأساطير وبعناية كبيرة لأنّه إن كان الغرض من ورائها تربويا فإنّها ستترك بصمة قويّة لا يمكن للزمن محوها. [294] يقول أفلاطون: " سنقيّد الشعراء". [295]

ويقول أيضا : لقد رسم هوميروس الآلهة في أشعاره على شكل صور لاأخلاقية كما أنها جاءت شبيهة إلى حد كبير بالإنسان. لقد طرد أفلاطون الشعراء فيما بعد من جمهوريته، بعد أن وضع على رؤوسهم تاجا من الورود. [296]

تحدث هيدغر عن الكينونة في كل أعماله، دون أن يصل في آخر المطاف إلى تعريفها، لأنها ببساطة غير قابلة للتعريف، ويكفي أن نحددها بالنفي، أي أنها ليست كائنا

293 M. H, *Essais et conférences*, p. 227
294 Platon, *la république*, livre X, (B-376d-383c), pp. 126-133
« Parmi les arts des muses, il faut examiner avec grand soin les fables »
295 Ibid., p. 133 « Nous contraindrons les poètes »
296 Platon, *Le Sophiste*, p. 29

وليست موضوعا. الكينونة غير موجودة لا في التمثلات ولا في ما يظهر. يقول جون فال " لا يمكن تعريف الكينونة، يمكن فقط الإشارة إليها، هي النور الذي نرى من خلاله الأشياء، نحن نراها فقط كما هي ولا نعرفها".[297] إنها المسؤولة عن هذه التمثلات في العالم. فالكينونة إضاءة، تجعل الكائنات تنبثق وتخرج إلى الوجود. فعل الكينونة، هو إظهار الكائنات ولكنها تحجب ذاتها. وبالتالي فالكينونة ليست محتجبة كليا، لأنها تَظهر من خلال ظهور الكائن المخصوص، إلا أنها تحتفظ بانسحابها وتبقى محتجبة فيما هو كائن. حدث الكينونة، في حركة ذهاب وإياب دائمة بين الغياب والحضور، ومهمة الدازين، هي التساؤل عن كينونته الخالصة. ولأن علاقته بها ليست علاقة ذات بموضوع، بل إشتراك متبادل، فإن التساؤل يكون من الطرفين، فالدازين يتميز بكينونتة الفاهمة. ولكن كيف جعل هيدغر للشعر دورا في فهم حقيقة الكينونة؟

في اللغة الشعرية شيء من الشاعرية. فعندما يكون الوجدان في أعلى مستواه، حيث يعبر الوجدان عن علاقة الكائن بالكينونة، ترتقي اللغة الشعرية هي أيضا، ليلتقيا في أعالي القمم. فالشاعر مثله مثل جبل شامخ، ولكن بقلب أنثى. فالكلام في حالته الخالصة شعر.[298] الشعر لا ينقل معلومات عن العالم، ولكن ببساطة، يتحدث الشعر عن القول كقول، ولكن بطريقة خالصة. وهذا ما نشعر به عند سماعنا أشعار الأوائل. فالشعر لا يحاكي ولا يقلد، كما يبين ذلك أفلاطون، وليس تمثلا أو تطابقا للأشياء، كما تبينه النظرية الأرسطية، اللغة الشعرية "تسمي". ففي تسمية الأشياء يجعل الشعر من هذا المنسحب المتخفي حقيقيا وأزليا Réel et durable، فعندما يسمي هلدرلين نهر الراين Rhin هو لا يقلده ولا يمثله ولا يحاكيه، وإنما يذكره في التسمية التي تعطيه على الخصوص حضوره وحقيقته المنتشرة والأزلية. هذه الحقيقة التي حطمها مهندس المياه ومن يبني السدود أيضا. وهنا يريد أن يوضح هيدغر أنه ليس هناك اختلاف ذو صلة وثيقة بين "الشعر" و"ما هو الشعر"؟ أي بين نهر الراين وبين البيت الشعري لهلدرلين.[299] الشاعر هو الوحيد الذي يمكنه الحديث عن الكينونة، لأنه يملك قوة النظر والإنصات. الشاعر، فينومينولوجي بامتياز. لأنه يتجه بنظره

297 Jean Wahl, *Traité de la métaphysique*, p. 107
298 M.H, *Acheminement vers la parole*, p. 18
299 George Steiner, *Martin Heidegger*, pp. 186-187

إلى الأعماق، أي إلى الجوهر Wesen. فالشعر ليس لغة تحمل ألفاظا مملقة، الشعر هو جوهر اللغة، فحيث تكون اللغة يكون الإنسان، "يستمر الإنسان ويقيم على الأرض شعريا".[300] هذا ما قاله هيدغر في محاضرة له سنة 1952، حيث يرى في الشعر الأمل الوحيد والأخير للخروج من عدمية العصر. ولكن فَقدَ الشعر عبقرية التسمية وخاصية التجميع التي نجدها في المعنى الأصلي لكلمة لوغوس. المفكر يقول الكينونة والشعر يسمي المقدس والتسمية هي مناداة للكينونة المختبئة.

إن التفكير هونشاط الفكر. التفكير وخلق الشعر، هما سبيلا اللوغوس، فالمفكر يقول الكينونة والشعر يسمي المقدس والتسمية هي مناداة للكينونة المختبئة. كل شعر هو فكر، ولكن ليس كل فكر هو شعر[301]. وهنا، يتبين لنا أن كل شعر هو لغة، ولكن ليست كل لغة شعرا بالضرورة. فكل شاعر هو مفكر، ولكن ليس كل مفكر شاعر. واللغة الشعرية هي اللغة الأصيلة التي تعبر عن علاقة أصيلة مع الأصل، أي مع الكينونة. الشعر هو لغة الكينونة ومأواها، ففيها تحفظ علاقة الكينونة بالكائن المخصوص بالكلام. فلا اللغة التواصلية ولا لغة الحساب والتقنية، يمكنهما الحفاظ على هذه العلاقة الحميمة، بل على العكس تماما، التقنية غيرت إلى حد كبير علاقة الدازين مع كينونته و مع أناه ومع الآخرين.

يبدو أن هيدغر قارئ متميز حقا للشعر، حيث أعاد خلق تاريخ جديد، وأعاد ضبط معنى الشعر، بعد أن تعب من التعاليق الجامعية ومن التأويلات الأدبية واللغوية، وربما بدأنا اليوم نتفحص هذه الثروة، ونهتم أكثر بمواقفه واقتراحاته. فالفحص الذي قام به هيدغر حول اغتراب الإنسان في المجتمعات الغربية الحديثة، يتمحور حول القلق الذي يعتبر مصححا أو عارضا من عوارض السقوط. حيث يعود هذا السقوط واللاانسانية بالدرجة الأولى إلى الخط العريض الذي رسمته النزعة التشاؤمية، وإلى التحذير في المسيحية الأوغسطينية. فتأويل هيدغر للإنسان له علاقة ضيقة، مقارنة بتحديد أوغسطين أو لوثر أو كيركغارد أو باسكال.

في كتابه، ما معنى التفكير؟، يجيبنا هيدغر، بأن التفكير يكون تفكيرا عندما يفكر في الكينونة، أي في الشيء الأكثر استدعاء للتفكير، وهو شيء لا نفكر فيه بعد. الشيء الأكثر

300 Martin Heidegger, *Approche de Hölderlin*, Gallimard, 1962, p. 41
301 M.H, *Acheminement vers la parole*, p. 256

استدعاء للتفكير في وقتنا الداعي إلى التفكير، هو أننا لا نفكر بعد. هل هذا يعني أن عصرنا الذي نعيشه هو عصر اللاتفكير؟ ينتمي هيدغر بهذا القول إلى موجة الذين يتحدثون عن السقوط والانحدار ودمار الغرب وفقدان الاعتدال والوسطية. نذكر ما قاله نيتشة: "الصحراء تمتد"[302] قبل سبعين سنة تقريبا، فالتصحر أخطر من الدمار، فإذا كان الدمار هو تحطيم ما تم بناؤه، فإن التصحر هو إعاقة لكل نمو وتطور، ويعيق كل بناء. والتصحر هنا يقصد به إبعاد الذاكرة المستمرة عن الأدوار العالية. وأضاف أيضا: "ما أتعس من يحمي الصحاري"، ولكن، إذا دققنا في قول هيدغر، ما يستدعي التفكير، هو أننا لم نفكر بعد، هذا لا يعني أننا لا نفكر على الإطلاق... فقوله لم نفكر بعد لا ينفي إطلاقية التفكير، بينما تصح الإشارة هنا إلى أننا في طريقنا نحو التفكير، باعتبار أننا كنا سلوكا التزمنا به في الماضي، وإذا كنا في طريقنا إليه، فإننا نكون بذلك في صميم التفكير. ما معنى التفكر؟

التفكّرهو كلمة تمت رجمتها إلى الألمانية ب: Endenken،[303] التي تعني في الحقيقة " تذكر". وحتى يختص التفكير بكيفية وجود الكائنات، لجأ هيدغر إلى المقابل الإغريقي Mné الموجود في كلمة Mnémosynes، وهي الذاكرة أو القرائح، ونقيض النسيان هو تذكر. ولهذا يذكر هيدغر في كتابه **مامعنى التفكير؟** عام 1954 وجود مسالك للتفكير تنتظرنا و يجب أن نتذكرها ضمن التغيير الذي ندخله عليها. وذلك بالسير نحوها، وفي نفس اتجاهها فالحقيقة يونانيا تعني أليثيا αληθεια وهي كلمة بدأت بالألف النافية، وهي نفي للنسيان والحجب والإختفاء لتعطينا المعنى المقابل وهو الانفتاح والانكشاف واللاحجب. وهذا ما يطلق عليه هيدغر ب Un-verborgenheit

الرغبة في التفكيرتعني انّنا لا نفكر بعد.[304] ماذا يعني هيدغر بقوله هذا؟ إنّ الرغبة في شيء ما، تعني عدم امتلاكنا له. والرغبة هي دليل على الفقد والحرمان. إنها دليل على عدم وجود الشيء. الرغبة هي المحفز الذي يحفزنا ويدفعنا للقيام بشيء ما. ففي انعدام الرغبة، يكون هناك انعدام للمحفز، وبالتالي للفعل. ولكن ماذا يقصد بأننا لا نفكر بعد؟ هل في

302 M. H, *Qu'appelle-t-on pensée* ? p. 78

303 مارتن هيدغر، **معضلة الحقيقة**، ص. 16

304 M. H, *Qu'appelle-t-on penser* ? p. 19

قوله هذا تلميح إلى الذين كانوا يفكرون فيما يستحق التفكير حقا؟ أي إلى الشعراء والمفكرين الأوائل الذين كانوا يتحدثون و يسمعون وينظرون ويفكرون يونانيا؟ ولكن إن كان هناك تفكير تميز به الشعراء، فلماذا إنقطعنا عنه؟ وما هي أسباب هذه القطيعة؟ لماذا إنحرفنا عن مسار التفكير في الأصل وتوجهنا نحو نمط تفكير خيّم عليه النسيان؟

لم يعد هيدغر إلى شعر الأوائل إلا بعد تحديده لماهية الشعر من خلال قراءته وانشغاله بأشعار هلدرلين. ولكن لماذا هلدرلين دون غيره من الشعراء؟ هل يمكن تحديد ماهية الشعر إنطلاقا من شاعر واحد؟ يقول هيدغر أن هلدرلين هو شاعر من بين الكثيرين (شكسبير، سوفوكليس، هوميروس، غوته...) ولكن سر إختياره لهلدرلين يعود إلى أن أعمال الشعراء الآخرين لا تتميز بنفس الثراء الذي تميزت به أعمال هلدرلين ولذلك خصه بتسمية شاعر الشعراء. اللغة هي في الأصل شعر والشعر هو الحب الذي يحفظ العالم. والقول الشعري هو الذي يعبر ويحفظ تلك العلاقة الحميمة بين الكينونة والكينونة الإنسانية. هذه العلاقة الباطنية والحميمة هي ما يحدد الكينونة الإنسانية. هل هذا يعني أنه لولا الشعر، لولا هذا العطاء المميز والخاص لما كانت هناك إمكانية تحديد الكائن الإنساني مقابل الكائنات الأخرى؟ ولكن قبل هذا علينا أن نسأل من هو الكائن الإنساني؟ يقول هيدغر الكائن الإنساني هو الذي يشهد أو يعلن عن وجوده من خلال الكلمة الشعرية، إذن الكائن الإنساني هو ذلك الموجود بشهادة الكينونة-هنا الخاصة به. وهي في الأصل شهادة إنتماء إلى هذا الجزء الحميمي والخاص وهي نفسها ما يسمى بالتاريخ، فلولا اللغة لما كان هناك تاريخ. تكمن مهمة اللغة الشعرية في الكشف عن الكائن كما هو (الكينونة) كما أنها تضمن وجود الإنسان في إنفتاح الكائن وبالتالي فاللغة الشعرية هي التي تجعل من الكائن الإنساني كائنا تاريخانيا. لأنها هي حدث الإريغنيس الذي يقتضي الإمكانية القصوى للكينونة الإنسانية.[305]

أساس الكينونة الإنسانية موجود في اللغة الشعرية لأنها في الأصل حوار. والحوار يقتضي نشاطي الكلام والإنصات. ولكي نتكلم علينا أن نستمع أولا. العلاقة التي تجمع بين الكلام والإنصات هي علاقة إنتماء منذ البداية ولكن ولكنها تقتضي علاقتها بالواحد الذي

305 M. H, *Approche à Hölderlin*, p. 48

ينبثق ويتجلى في الإنارة والديمومة والحضور. إذا كانت اللغة في أصلها حوار، كيف نفسر إذن حضور الآلهة في اللغة؟ هل الآلهة تتكلم؟ يقول هيدغر لا يمكن أن تكون هناك لغة تخاطب الآلهة إلا إذا كانت الآلهة هي التي تنادينا. والكلمة التي تسمي الآلهة هي في الحقيقة إستجابة لنداء الآلهة. ولكن كيف بدأ الحوار بين الإنسان والآلهة؟

لا تمتلك الكلمة الشعرية قوة تسمية الآلهة من نفسها لولا أن دفعتها الآلهة دفعا للكلام. ولكن كيف تتكلم الآلهة؟ تتكلم الآلهة عن طريق الإشارات. إن مفاجأة الإشارة في إلتقاطها من طرف الشاعر الذي يتقن فن الإنصات هي إستقبال جديد . وهكذا يكون تأسيس الكينونة مربوط بإشارات الالهة التي ينقلها إلينا الشاعر على شكل نافذة شفافة نطل من خلالها على صور الإله. يقول هلدراين:

الشاعر معرض لإنارة الإله.[306]

ويقول أيضا:

وكانت الإشارات لغة الآلهة منذ الزمن الأول.[307]

إن الإنسان (الشاعر) هو الذي يعيش شعريا. بمعنى أنه يشعر بحضور الآلهة ويشعر بالمجاورة (مجاورته للآلهة وللأشياء)، فالكينونة-هنا الخاصة بالشاعر هي كينونة شاعرية في أساسها. هل هذا يعني أن الكينونة-هنا الخاصة بالشاعر ليست إستحقاقا، بل عطاء؟ إذا كانت اللغة عطاء منح للإنسان واللغة في أساسها إنصات قبل أن تكون كلاما. وما حضور الآلهة في اللغة إلا إستجابة لنداءها، فإن هذا يعني أن الكينونة الإنسانية لن تجد أبدا الأساس في الغموض. فالأساس هو الكينونة ككينونة والكينونة ليست هي الكائن ولا يمكنها أن تستخلص من الكائن الموجود والمعطى سابقا. الكينونة ككينونة حرة والكلمة الشعرية في تحررها هي ما يؤسس الكينونة.

306 Ibid., p. 56 (Le poète est exposé aux flammes du dieu)
307 Ibid., p. 58 (…et les signes sont depuis le lointain des âges le langage des dieux.)

خاتمة

يرى هيدغر أن الشاعر هو الوسيط بين صوت الآلهة وصوت شعبه، ولكن لماذا لا يسمع صوت الآلهة إلا شاعر؟ لماذا لا يشعر بالمجاورة القريبة للآلهة إلا شاعر؟ لقد أوصلنا قول هلدرلين من خلال قراءات هيدغر إلى قلب الكينونة، فالإله قريب جدا مما يجعل الإمساك به مستحيلا. [308] إن الشعر في ماهيته هو ما يسمي المقدس وهو ما يؤسس للكينونة ككينونة ولماهية الأشياء. إن هذا النوع الخاص من الشعر الذي يصفه هلدرلين هو شعر فلسفي يفكر في أساس الكينونة بطريقة تختلف عن طريقة الميتافيزيقي. ولهذا أصر هيدغر على ضرورة العودة إلى شعر الإوائل لقراءته وتفحصه من جديد. لقد كان المفكرون الأوائل هم أول من أبدعوا وتفننوا من خلال تجربة الشعر في الحديث عن الكينونة. ولهذا إعتبر هيدغر الشعر هو اللغة الأم التي تعود إليها كل اللغات. فعلا لقد كان المفكرون الأوائل ينصتون إلى صوت الكينونة الصامتة والمنسحبة. فالدازين لا يتكلم إلا بالسماع، أي أنه يتكلم عن طريق الكلمة التي تُكلمه مخاطبة مأواه ومنزله. اللغة هي ترك الكلمة الحرة تأتي إلينا وتملي علينا غموض الكينونة. فاللوغوس بمعناه الأول، هو الذي يُخرج الكينونة من الحجب إلى النور. وهذه هي اللغة الأصيلة واللغة الأم التي ينبغي العودة إليها لنقيم بجوار الأصل. فكيف فكر الشعراء الأوائل في الكينونة؟ وما هي النصوص الشعرية التي "تكلمت" الكينونة؟

308 Ibid., p. 247 (Proche est, et difficile à saisir le dieu.)

الفصل الرابع
سؤال الكينونة في شعر الأوائل

المبحث الأول: حقيقة الكينونة وماهية الشعر

1- علاقة الإنسان الأول بكينونة الشعر

يعدّ التراث الفكري اليوناني في مرحلة ما قبل سقراط، ثروة فكرية حافلة بالقصائد الشعرية، حيث كانت الفلسفة في بداياتها شعرا. والشعر لا يقصد به كلاما منمقا و جميلا، وإنما الشعر الذي يقصده هيدغر، هو الكلمة الشعرية في بعدها الأنطلوجي، وهي لغة وظيفتها مناداة وإستدعاء الأشياء لتحضر. أي أنها تساهم في إظهار الكينونة.

كانت تحاك الأساطير القديمة، هي الأخرى في قوالب شعرية، وهذا ما منحها قوة البقاء، فكانت سببا في تأسيس الفلسفة لإهتمامها بالكينونة. وأيضا الحكمة الشرقية القديمة عند المصريين، وكذلك ببلاد الرافدين والصين والهند والفرس، فكانت لها هي الأخرى مساهماتها في التأسيس. ولكن عدم إمتلاك ناصية اللغة، جعل من إمكانية قراءتها وفهمها أمرا مستحيلا. فما وصلنا من ترجمات يبقى قيد المراجعة والفحص لأن اللغة ليست نسقا مغلقا متكونا من مجموعة رموز أو كلمات بقدر ما هي وعاء ثقافي وإجتماعي وتاريخي. ومن أراد أن يتعلم لغة، فعليه أن ينهل من ثقافة الأرض التي نشأت فيها هذه اللغة. اللغة تحفظ للأجيال تاريخها وقضاياها. ولهذا أصر هيدغر على ضرورة العودة إلى اليونان الأوائل من أجل الإنصات لأشعارهم بأذن يونانية. كذلك رأى ضرورة الوقوف عند المعنى الأصلي للأقوال والكلمات الإغريقية. إن الحفريات االلغوية التي قام بها هيدغر، هي التي أحدثت إنقلابا في كل المفاهيم السابقة، والتي كانت قد حددتها الفلسفة الكلاسيكية القديمة ونذكر بعض الكلمات مثل "أليثيا" و"فيزيس" و"كينونة" αληθεια, φυσις, ειναι. فالشعر هو قول منطوق يأتي بالأشياء إلى الحضور وكأن هذه الأشياء، لم يسبق لها الحضور من قبل، حيث تختلف رؤية الوردة مثلا بالنسبة لشخص عاد عن نظرة الشاعر لها. فعندما يصفها الشاعر، نقف منبهرين منصتين لقوله، وننظر إلى وصفه للوردة وكأننا نراها لأول مرة. ولهذا نحن بحاجة إلى الفينومينولوجيا للكشف عن الإختباء الذي يمكنه أن يأخذ أوجها عديدة ومختلفة فقد يكون انسحابا وقد يكون خداعا وتضليلا، فظاهرة الكينونة تنكشف وتتحجب من ذاتها. والفينومينولوجيا هي الطريقة الوصفية لما لا يظهر، فهي لا تهتم

بالصفات العرضية بل بالجوهر، أي أنها تبحث في الأعماق. كما أننا قد لا ننتبه للأشياء من حولنا إلا بعد أن توضع في قوالب لغوية أي في أقوال. وهذا ما جعل هيدغر يرفض فكرة أن اللغة هي مجرد أداة يملكها الإنسان، فاللغة هي شرط وجود الدازين، وهي التي تضمن وجوده في قلب الإنفتاح. الأمر الذي يستدعي إعادة فتح باب التفكيرفي اللغة الشعرية من جديد لأن حقيقة الكينونة موجودة في هذا التراث الشعري. الشعر هو المركز في ثقافات عديدة ومختلفة وهو الأساس في إنبثاق نور الكينونة.

تملك اللغة الشعرية القدرة على الإتيان بالأشياء في الحضور. فاللغة الحقيقية هي تلك اللغة التي تعبر عن حقيقة الكينونة، والشيء الذي يميز الإنسان ليس قدرته على الكلام أو على التفكير، ما يميزه يكمن في علاقته بالكينونة. الكينونة هي علاقة أو مجموعة علاقات متذاوتة ومتداخلة فيما بينها. فيما تكمن هذه العلاقة؟ هل الإنسان هو من يحدد الكينونة أم العكس؟ وهل علاقة الدازين بالكينونة تشترط علاقته باللغة الشعرية؟ [309]

الدازين هو الكينونة الإنسانية وهوالكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذي تتشارك فيه الكينونة واللغة، حيث تقيم كينونته في لغته. بقدر ما كانت الكينونة الإنسانية متسائلة عن حقيقتها وعن حقيقة الكينونة ككينونة، بقدر ما تكشفت إمكانياتها. اللغة هي العلاقة الحميمة التي تربط الإنسان بمحيطه. إنها المحرك الذي يحرك الكينونة ويكشفها، فهي سيدة العلاقات وهذا ما يمنحها صفة القداسة. ولأن خاصية الإنسان الأساسية هي القول، فإنه وحده من يحمل خاصية الكينونة، لأن ماهية كينونته تسكن قوله، وماهية اللغة هي لغة ماهية الكينونة التي تعد في أصلها شعرا. قد يبدو لنا في الوهلة الأولى أنه تلاعب باللغة وفي اللغة، ولكن، إذا تعمقنا في هذه الجملة "ماهية اللغة هي لغة الماهية"، يتبين لنا أن جوهر أو حقيقة اللغة هي في قدرتها على النفاذ إلى سر الكينونة، بمعنى أن اللغة الحقيقية هي اللغة التي يمكنها النفاذ إلى حقيقة الكينونة. القول الأول كان شعرا الشعر هي اللغة الأولى لشعبتاريخاني ولهذا قلب هيدغر ماهية اللغة. بدلا من أن تُستمد اللغة الشعرية من اللغة، فإن اللغة هي الي تُستمد من الشعر. القول الشعري هو الوسيط بين الدازين والكينونة، وما يميز الإنسان ليس قدرته

309 Marlène Zarader, *Heidegger et les Paroles de l'origine,* Vrin, p. 189

على الكلام، فالكلام هو حال من أحوال الدازين، والفهم أيضا حال من أحواله. الكائن الإنساني هو الكائن الوحيد الذي يتفرد بهذه العلاقة، وقد سلط هيدغر الضوء على هذه المقارنة، أي مقارنة نمط كينونة الإنسان ونمط كينونة الكائنات الأخرى، باعتبارها كائنات لا تربطها علاقة بالكينونة، لأنها غير قادرة على الكلام. وبهذا، ألغى هيدغر مركزية تعريف الإنسان "ككائن عاقل"، وإستبدلها بـ "الكينونة-هنا"، وإعتبر الكلام هو الشق الذي يلتقي فيه الدازين مع الكينونة عن طريق "القول". الشق المتمثل في "القول" يجمع ويوحد بين الكينونة وكينونة الكائن، حيث تتجلى الكينونة في قول الدازين، أي أن ظهورها يكون من خلال ما يقوله. ولكن ما دور الدازين إزاء الكينونة؟ هل الدازين هو من يكشف حقيقة الكينونة؟ أم أن الكينونة هي المسؤولة عن فعل الكشف، فيكون دور الدازين هو الإصغاء لما تقوله الكينونة؟ فإذا لم يكن الدازين مصغيا جيدا، يصعب عليه الوصول إلى حقيقة الكينونة. لإنه إذا لم ينصت إلى قولها، فإنه لا يستطيع أن يحفظ ويردد ما أملته عليه الكينونة، أي أن القول هو قول الكينونة لاالكائن؟ هل يعني هذا أن الكينونة تتجلى وتنسحب من ذاتها؟ هل الدازين هو الذي يحدد الكينونة باعتباره الكائن الوحيد الذي يملك اللغة؟ وهل اللغة قادرة دوما على تسمية "الكينونة"؟

يمثل الغموض -الذي يلف الكينونة في تسميتها وفي معناها- حجر عثرة بين اللغة وتسمية الأشياء، فتقف اللغة وقفة العاجز عن ملء الفراغ، فيتحول المأوى إلى مخبإ سري للكينونة، فيخفي بذلك القول سر الكينونة وحقيقتها.

إن اللاحجب هو أكثر الظواهر تحجبا. ولهذا، يتساءل هيدغر ويبحث عن ألفاظ يمكنها أن تستوعب لعبة اللإنكشاف والاختباء. هيدغر يبحث عن لغة منفتحة وحرة، لغة مرنة وسلسة سلاسة الماء. هيدغر لا يريد لغة يحكمها المنطق وقواعده الصورية، فاللغة التي تعودت عليها الفلسفة، بالنسبة إليه ليست سوى ثرثرة، وهي لم تعد قادرة على إستيعاب موضوعها الأكثر أهمية، إنها "الكينونة" بلا منازع. ونقول هنا كلمة "موضوع" بتحفظ كبير، لأن هيدغر يرفض أن تكون الكينونة موضوعا، فالكينونة ذات وموضوع في آن واحد وهي ظاهرة تتكشف عن طريق المنهج الفينومينولوجي اللغوي، الذي يقتضي وضع كل

الفلسفات السابقة بين قوسين، لتكون قيد الفحص والمراجعة. فكيف يمكن لفينومينولوجيا اللغة أن تكشف لنا الإختباء والحجب؟

يقول رامبو Rimbaud:

ثمة عصفور في الغابة.

Au bois il y a un oiseau.[310]

فكيف يمكن أن نفكر في كلمة "ثمة" شعريا؟

كذلك يقول تراكل:

إنه نور إنطفأ في فمي.

Il est une lumière qui dans ma bouche s'éteint.[311]

إذا لاحظنا قول الشاعرين، فإننا سننتبه إلى العبارتين: "ثمة"، Il y a في القول الشعري لرامبو والتي يقابلها مصطلح Es gibt باللغة الألمانية، و إلى كلمة "إنه"، Il est في قول تراكل وترادفها الكلمة الألمانية Es ist. فما الفرق بينهما؟

يرى هيدغر أن الإستعمال العادي لكلمة "ثمة" هو في الحقيقة إستعمال لغرض التسمية أي أن لفظ "ثمة" يُسَمي الكينونة ولكنه ليس بالضرورة كينونة خالصة وبسيطة. فإذا قلنا مثلا: " ثمة في النهر سمك"، نحن لا نتحدث عن الوجود الخالص والبسيط للسمك. فالمقصود في هذه العبارة هو النهر. بمعنى أن هذا النهر يختلف عن غيره، كونه يحتوي على سمك، هناك أيضا أنهار لا يوجد فيها سمك. كما أن الكينونة الحاضرة هي النهر وليس السمك. السمك هو في حكم الغائب. وفي هذه الحالة قد تحمل كلمة "ثمة" معنى "إنه" Il est. قد تشير الكلمة المعتادة "ثمة"، إلى شيء غير حاضر، أي إلى الغياب ولكن لا يمكن التفكير في المصطلح "إنه" إلا من خلال بروز الإريغنيس L'avènement de l'Ereignis

310 Martin Heidegger, *Questions III et IV*, Gallimard, p. 246
311 Ibid., p. 247

وهو نتيجة التملك المشترك بين الكينونة والزمان.[312] تختلف علاقة الإنسان باللفظين "ثمة" و" إنه" ولكن تكون علاقته أكثر قوة في عبارة " إنه"، على الرغم من أن كلمة "إنه" لا تعطينا هي الأخرى إثباتا خاصا برؤية خالصة للكينونة. فهو لا يسمي الكينونة الحاضرة كما هي. ولكن يشير إليها بطريقة يؤكد فيها أن الكينونة والعدم سواء. وهنا يظهر القلق المهموم للشاعر المفكر في اللفظين "ثمة" و"إنه". يقول أرسطو:

النجوم حتى وإن لم يرها أحد فإن لمعانها باق.[313]

Même si personne ne les voyait,

Les astres n’en brilleraient pas moins.

الكينونة كأليثيا هي بروز النور أو الإضاءة التي يتجلى فيها الكائن ككائن. أي أن الكينونة هي إنفتاح العطاء في الإضاءة. لم تفكر الفلسفة في الكينونة إنطلاقا من الإنفتاح في الإنارة. فمنذ أرسطو كان التفكير يخص الكائن ككائن في نمطه الأنطوثيولوجي. لقد فكر الفلاسفة في الأليثيا إنطلاقا من الحقيقة. ومعنى كلمة "أليثيا" هو الخروج أو التحرر من الحجب وليس "الحقيقة" بمعنى الصدق.

عندما نقول "ثمة كائن" نحن نفكر دائما في الكائن، إنطلاقا من الكينونة بمجرد قول "ثمة كينونة". عندما نقول "ثمة كينونة"، « Es gibt sein » فنحن ننادي الكينونة في علاقتها الكلية بالكائن. عوض أن نقول الكينونة موجودة، نقول ثمة كينونة لأن الوجود مربوط بما هو مادي. ولكن قولنا ثمة كينونة هو دليل على فعل عطاء الكينونة. إذن ما تعنيه الكينونة هو "فعل العطاء". ولكن هل نداء الكينونة هو تفكر؟ وهل التفكر تذكر؟ فإذا كان علينا التفكير في الكينونة إنطلاقا من علاقتها بالإنسان، فكيف يمكن إذن لهذا الإنسان أن يمثل الكينونة؟[314] ومن أين يمكن تحديد جوهر الكينونة؟

312 Ibid., p. 240
313 Ibid., p. 300
314 M.H, *Les concepts fondamentaux*, p. 106

أن نفكر في الكينونة، هو أن نتخلى عن فكرة أن الكينونة هي أساس الكائن، في مقابل فكرة أن الكينونة هي فعل العطاء. التفكر في الكينونة هو الإنطلاق من مسالك الكينونة حتى نفكر فيها كما يجب. ثم ننتقل فيما بعد إلى تتبع مسلك الزمان لنفكر فيه كما هو. باعتبار أن طريق الكينونة وسؤالها هو نفسه سؤال الزمان. فنسيان الكينونة هو تاريخ حَجَبَ عنّا ما يُعطي الكينونة وما يُعطي الزمان. فلا نقول ثمة كينونة وثمة زمان إلا في إنتمائهما المتبادل والمشترك وهو ما يسميه هيدغر "الإريغنيس". ولكن لولا وجود الإنسان لما كان من الممكن أن نقول "ثمة كينونة" و"ثمة زمان".[315] "الإنسان مرتبط بالإرغنيس"، أي أنه مرتبط بالإنتماء والتملك المشترك بين الزمان والكينونة.[316] ولهذا علينا أن نفكر في المكان الخاص بالإريغنيس. الكينونة كإريغنيس هي الإنفتاح والزمان هو مكان الإنفتاح. وهكذا فإن الإنسان هو في مكانه وفي الإريغنيس، بإعتباره الكائن المنفتح الذي يسمع ويستقبل الكينونة أثناء إقامته في قلب الزمان الحقيقي. ولكن ما هو الزمان الحقيقي؟ هل الزمان الحقيقي هو الزمان الحسابي؟

عندما ننظر إلى الساعة وهي تشير إلى الثامنة والنصف مثلا، فإننا نرى اللحظة الزمانية ولكننا لا نرى الزمان. وهنا يخلق النظر المهموم والقَلِق لدينا تساؤلات عديدة: ما هو الزمان وأين يمكن أن نجد الزمان؟ وهل للزمان مكان يوضع فيه؟

ظاهريا، أي حسب المنهج الفينومينولوجي، الزمان ليس لا شيئا وليس عدما. ولكن علينا أن نفكر في الزمان إنطلاقا من اللحظة التي يظهر فيها الزمان عندما نرى الكينونة. أي الكينونة المنتشرة في الحضور بمعنى الحضور. ولكن هل نفهم الزمان إنطلاقا من الكينونة الحاضرة أم نعرف الكينونة الحاضرة إنطلاقا من الزمان الحاضر؟

لقد فُهمت الكينونة المنتشرة في الحضور Anwesen, wahren على أنها المُدَّة wahren. وهكذا نقبض على المدة الزمانية في الخط الموجه للتمثل الزماني المعتاد، كجزء من الزمان الكلي الذي يمتد إنطلاقا من اللحظة الآنية، متقدما نحو اللحظة التي تليها. وهذا هو تقدم الزمان في الديمومة. أي أن الزمان هو القادم ليُقِيم بيننا نحن البشر. فالزمان هوالمتحرر

315 M. H, *Questions III et IV*, p. 214
316 Ibid., p. 224 « L'homme est engagé dans l'Ereignis. »

دائما من الحجب ليكشف لنا الكينونة. فيستقبل الإنسان ما هو قادم إلى الحضور. أي ينفتح الإنسان ليستقبل القادم إليه من طرف البَرُوسِيَاπαρουσια ، وهو عطاء الكينونة الدائم والمتواصل. أي أن الكينونة هي في حالة تقدم دائم. وما يميز علاقة الإنسان بالكينونة هو أن الإنسان هو من يرى القادم إليه من الكينونة ليدخل في الحضور. ولكن الغياب يأتي هو أيضا وينظر إلينا. الحضور، نحن من ننظر إليه ولكن الغياب هو من ينظر إلينا ويأتينا طوعا. وهذا يعني أن مجاورة الكينونة ليست بالضرورة مجاورة للحاضر، فهي مجاورة أيضا للغائب في معنى "ليس بعد" أو " الذي لم يحضر بعد" في نمط إنتشاره. فالماضي هو مجاورة والمستقبل أيضا مجاورة ولكن له نمط يختلف عن نمط مجاورة الحاضر. إن التقدم في انتشار الكينونة هو المكان الحر للزمان وهو ما يُسَمّى ب "الإنفتاح".[317]

يستقر الزمان في أبعاده الثلاثة. ولكن يستقر الزمان ثلاثي الأبعاد في بعده الرابع وهو الإنسان.[318] وهذا هو الزمان الحقيقي. يُسَمِّي هيدغر ما يُعطي الزمان الحقيقي ب porrection éclaircissante hébergente. حيث يستضيف الزمان الكينونة في منطقته المضيئة الخاصة ببعده الرباعي.[319] هل الزمان هو من يُعطي الكينونة؟ عندما نقول هناك أو ثمة كينونة فإنه ثمة زمان. وهو دليل على وجود علاقة حميمة ، وتتمثل في التملك المتبادل بينهما. فالتحري عن الكينونة هو التحري عن وجهتها. وهذا يعني أن عطاء الحضور يعود إلى الإريغنيس. فالكينونة والزمان هما غير محددان ولكن لهما الوجهة ذاتها. ولكي تنفتح الكينونة هي في حاجة إلى الإنسان باعتباره "الهُنا" أو المكان الذي يجمع الكينونة والزمان أثناء الإنبثاق والتجلي. وهكذا فإن الإنسان هو راعي berger الكينونة. وتعني كلمة berger في اللغة الفرنسية celui qui héberge. إذن الإنسان هو المكان الذي تُقيم فيه الكينونة، وبما أن الكينونة شبيهة بالعدم فإن الإنسان هو المكان الذي يُمْسِك بالعدم.[320] يقول هيدغر: "الإنسان قصيدة شعرية بدأتها الكينونة".[321]

317 Ibid., p. 208
318 Ibid., p. 213
319 Ibid., p. 214
320 Ibid., p. 458
321 Ibid., p. 21

لقد رأينا فيما سبق مع هيدغر أن اللغة هي مأوى الكينونة،[322] وأن الشعراء هم من يسهرون على هذا المأوى أي أن الشاعر هو الذي يحرس الكينونة ويرعاها.[323] فتسمية الكينونة باللوغوس، هي البداية الإغريقية التي لم يرد هيدغر أن يوجه تأمله ونظره بعيدا عنها. فهل نحن مستعدون اليوم للإستماع إلى الكلمات اليونانية بِأُذُنٍ يونانية، لننظر فيما تم نقله إلينا عن طريق الترجمات التي تحمل في طياتها تأويلات قد تُغير وتُشَوِّه المعنى الأصلي لها، فاللغة في الأصل هي إنصات لما قِيل في صمت فتَخرج الكلمة كصدى وأثر لهذا الإنصات، كما أن المنهج الفينومينولوجي في بحثه عن حقيقة الكينونة إنطلاقا من ظاهرة الكينونة اللغوية سيجعله هرمينوطيقيا بالضرورة وكلمة "هرمينوطيقا" التي ذكرها هيدغر في كتاب **الكينونة والزمان** شهدت إستعمالا واسعا في قراءة وتفسير النصوص الدينية.

لقد نَقَل الفكر الغربي البداية الإغريقية في أقوال المفكرين الأوائل، الذين يتحدثون ويعرفون تفتق الأشياء وإنبثاقها في المأوى الحي Le foyer vivant، أي في الكلمة الحية. فكلمة الأوائل تأخذ مسبقا شكل المطوية التي يشترك فيها كل من الكينونة والكائن، Être/ étant. ولكن من أين ومن ماذا نخرج أو ننبثق؟[324]

إن العودة إلى البداية عن طريق الفكر هي عودة إلى هذه الكينونة الباقية التي لم تتوقف أبدا في كونها كينونة. هذه الكينونة هي نفسها التي تحمل في ذاتها ما هو قادم إلى الحضور. العودة إلى أقوال المفكرين الأوائل هي عودة إلى قوة تسمية البداية عند هؤلاء. فالعودة إلى القبسقراطيين هي دراسة مكان الكينونة أي علاقة الكينونة بالمكان على ضوء أقوالهم في أفق الكينونة.[325]

التفكر في البداية هو تذكر وتأمل. وذلك بالذهاب إلى الأساس لنكتشفه. الأساس هو الكينونة ذاتها وهو البداية. الأساس هو الإستقبال من الذات وهو في ذاته إقتطاف. فما هي هذه البداية وما هي أقوال المفكرين والشعراء الأوائل الخاصة بالكينونة؟

322 Ibid., p. 67
323 Ibid., p. 51
324 M. H, *Les concepts fondamentaux*, p. 125
325 Marlène Zarader, *Heidegger et les paroles de l'origine*, 1986, p. 125

2- تَوَجُّه الكينونة والزمان واحد (أنكسمندر)

وضع هيدغر في درسه في ثلاثي صيف 1932 الموسوم **بداية الفلسفة الغربية،** ملحقا خاصا يحتوي على مجموعة من ملاحظات تخص أنكسمندر وبرمنيدس، حيث قام ولأول مرة بتأويل أقوال أنكسمندر، بينما كان قد خصص في درسه في ثلاثي صيف 1922، بحثا فيما يخص قراءة وتأويل أقوال برمنيدس. ولكنه إستمر في قراءاته لشعر أنكسمندر وإستغرق في شرحها وتأويلها وتفكيكها في 1946 في المجلد 78 تحت عنوان **كلمة أنكسمندر** وأيضا في **الدروب المسدودة** *Les chemins qui ne mènent nulle part* 1950.

يرى هيدغر بأن بداية الفلسفة الغربية كانت في القرن السابع قبل الميلاد مع الشعراء الإغريق. ولهذا فإن التحري والبحث عن حقيقة الكينونة Syen يقتضي إعادة قراءة وفحص أقوال الأوائل.

الكينونة هي سؤال البداية وهي القلب النابض **للكينونة والزمان،** سؤال البداية هو سؤال يبحث في أساس كينونتنا وفي تقاطع الكينونة والزمان وطبيعة العلاقة بينهما. فما هي أقوال أنكسمندر التي عالجت سؤال الكينونة في قالبها الشعري؟

أنكسمندر Anaximandre (545- 610) هو من بدأ العالم الإغريقي القبسقراطي. إلا أن برمنيدس وهرقليطس، هما الوجهان المركزيان للفكر الأول. فكان قوله أول وجه أُعطِي للكينونة. وهو طريق حدّده مسلك الإختلاف بين الإنسان والكينونة. يرى أنكسمندر أن الكينونة قريبة جدا، إنها الأكثر قربا. ولكن حين نقول أنها قريبة فإن هذا لا ينفي وجود مسافة، فالمجاورة الأكثر قربا تتضمن هي الأخرى وجود مسافة. ولكنها ليست مسافة بعيدة، إذ لا يمكن أن تكون الكينونة بعيدة عنا، لأننا زُرعنا فيها. يقول أنكسمندر:

Εξ ων δε η γενεσις εστι τοις ουσι και την φθοραν εις ταυτα γινεσθαι κατα το χρεων διδοναι γαρ αυτα δικην και τισιν αλληλοις της αδικιας κατα την τοθ κρονου ταξιν.[326]

يتحدث الشاعر في قوله ων "أون" عن الكائن، ولكن ماذا يقصد أنكسمندر بالكائن؟ كلمة "تا أونتا" هي الجمع الحيادي ل "تو أون". وتعني في اللغة الإغريقية التعدد في الوحدة. فالجمع الحيادي في اللغة الإغريقية يعني التعدد "تابولا" τα πολλα بمعنى تعددية الكائن.[327] ولكن هذا الكائن ليس كأي كائن كان، وليس الإنسان، وليس مجموع الكائنات، وليس الكائن في علاقته مع مجموع الكائنات الأخرى، إنه أكثر من الكل وأقل منه. وهذا يعني أن ما يقصده الشاعر في قوله هو "الكائن في كليته" وليس "الكل" بمعنى مجموع ما هو كائن. فهل كان أنكسمندريقصد بقوله ων "الكينونة"؟ لأنه بالنسبة لكلمتي "أون" و "أيناي" يقول هيدغر: نحن لا نملك معنى لها في لغتها الأم ولا يمكن أن نستعير معنى للكلمات اليونانية من لغات أخرى. يقر هيدغر على ضرورة التفكير في الكلمات اليونانية يونانيا. أي كما فكر فيها الأوائل . ويقول أيضا: "نحن لا نعرف بطريقة واضحة ومؤسسة ما الذي نفكر فيه عند سماعنا أو إستعمالنا لكلمة "أون" و"أينيي" وكيف نترجمها إلى اللغة الألمانية".[328]

إنه من الصعب الإمساك بالكائن في كليته، وهو شأن الكينونة. وحتى يمسك الإنسان بالكائن في كليته عليه أن يتخارج، ولكن ينتمي الإنسان بدوره إلى الكائن في كليته. فإذا تخارج من الكائن في كليته لم يبق هناك شيء. فالكائن في قول أنكسمندر هو الذهاب أو التوجه نحو"الكل". أي التقدم أو قدوم الحاضر من مكان ما ليظهر. والظهور هو الإمساك

326 Martin Heidegger, *Anaximandre-Le commencement de la philosophie occidentale, interprétation d'Anaximandre et de Parménide,* Trad. Guillaume Badoual, Gallimard, p. 14
« D'où les choses prennent naissance, c'est là aussi qu'elles doivent aller à leur ruine, selon la nécessité ; car elles doivent expier et être jugées pour leur injustice, selon l'ordre du temps. » Nietzsche, *La philosophie à l'époque tragique des Grecs.*
Traduction de Diels « A partir de quoi pourtant les choses prennent naissance, c'est là aussi qu'elles s'en vont dépérir selon la nécessité ; car elles s'administrent les unes aux autres châtiment et expiation pour leur vilenie, selon le temps fixé ». *Chemins qui ne mènent nulle part,* p.388
Traduction de Heidegger « … Tout au long du maintien ; ils laissent quant à eux avoir lieu accord donc aussi déférence de l'un pour l'autre (en l'assomption) du discord », *Chemins qui ne mènent nulle part,* p. 448
327 Martin Heidegger, *Chemins qui ne mènent nulle part,* Gallimard, p. 398
328 Ibid., p. 403

بالإنارة. إنه فعل الإنبثاق وليس الرؤية. وهنا نلمس علاقة بين الإنبثاق والظهور. ولكن من أين يأتي القادم إلى الظهور؟

قد نجد الإجابة في توافق كلمتي "غينيسيس و سفورا" ولكن ما هو الفرق بينهما؟ أي ما هو الفرق بين تقدم الكينونة وتوقفها. فالقدوم هو قدوم من إنتماء خارجي. وتوقف القدوم هو حركة الإختباء، وهو نمط من أنماط الظهور الذي ينتمي إليه بصفة مطلقة.

Η γενεσις η φθορα.[329]

الإتيان أو القدوم إلى الكينونة والتوقف عن الكينونة.

يتحدث أنكسمندر عن "غينيسيس" وعن "فسورا" أي عن البداية والنهاية أو الميلاد والسقوط كخط فاصل وأساسي لكل عملية فيزيائية. أي أنه يحدد نمط تكشف كينونة الكائن بالقدوم والذهاب. ولكن ليس أيَّ كائن بل الكائن في كليته. أي أن الكائن هو وحدة تتضمن التعدد. هذا الذي تنبثق منه الكينونة، هو نفسه الذي تتوجه الأشياء نحوه لتتهالك وتنتهي حسب ما تقتضيه الضرورة . ولكن هذه العملية ليست عملية طبيعية، بل هو نمط تكشف كينونة الكائن.

لقد قام نيتشه وديالس بتأويل قول أنكسمندر. وكان لهما تأويلان مختلفان، لكنهما متقاربان جدا. يقول نيتشة في تأويله لقول أنكسمندر: المكان الذي تأتي منه الأشياء وتعرف ميلادها هو نفسه المكان الذي عليها أن تذهب إليه عندما تتهالك حسب الضرورة. ففي هذه النهاية تكفير عن المظالم التي إرتكبت حسب النظام الزماني. هناك غموض بين البداية والنهاية، فإذا بلغنا النهاية هلكنا.

وهنا نعود إلى الأسطورة الإغريقية لنتذكر نهر كوسيت Le Cocyte، وهو نهر موجود في الجحيم، وُلِد هذا النهر من دموع الذين لم يحفظوا كينونتهم والذين ظلموا. فمعنى كلمة كوكيتوس، κωκυτος هو "الذي وُلِدَ من الدموع".[330]

329 M. H, Anaximandre-*Le commencement de la philosophie occidentale*, p. 21

كذلك قام سامبلسيوس Simplicius في 530، بكتابة تعليق طويل فيما يخص **ميتافيزيقا** أرسطو. وفي تعليقه هذا، كان قد خصص جزءا لتأويل قول أنكسمندر فهو الأكثر قدما. ولكن لا نعلم إذا كانت كلمة أنكسمندر هي بداية الفكر الغربي La parole initiale. هل لقول أنكسمندر بعد ألفين وخمس مئة عام إضافة يمكن أن تضاف إلى رصيد ما قاله المفكرون الأوائل ونخص بالذكر برمنيدس وهرقليطس؟

يقدم لنا هيدغر قراءته المتعلقة بقول أنكسمندر يبين لنا فيها بأن التكشف والإنسحاب هما خاصيتا الكينونة لأنه فقط من هو قادم إلى الحضور، يمكنه أن يذهب و يختفي.[331] كما أن القادم يؤخر دائما قدومه مع الحفاظ على ديمومته، فالشيء الذي يعود إلى الحاضر هو الإتصال الخاص بإقامة ومجاورة الحضور. والإقامة هي عبور وهي ديمومة الحضور.[332]

الإتيان إلى الكينونة هو الإتيان في الأصل، وهو نفسه الأصل. والإختباء هو نمط من أنماط الظهور الذي ينتمي إليه. أي أنه جزء منه. الكينونة هي الحضور الغائب.[333] فالحضور بالنسبة للإغريق مرتبط بالتكشف لإنه بإمكان الكائن الإقامة في الحضور. أي في الكينونة المتكشفة التي تعود إلى كينونته المنسحبة. ولهذا سينتشر الكائن كحضور تحت نمط الغياب أو الإختباء. وهذا ما يقصده أنكسمندر في قوله "فيزيي أونتا" φυσει οντα. وحتى نفهم ما يقصده، علينا ان نعود إلى معنى كلمة "فيزيس" عند الأوائل. ولكن إذا بحثنا في المعنى الأرسطي لكلمة "تا أونتا" فهي تعني الكائن.

يقول هيدغر نحن لا نرى بطريقة واضحة ومؤسسة ما تعنيه كلمتي "أون" و "أيناي" عندما نفكر بطريقة يونانية. ولهذا علينا أن نحدد معنى "تا أونتا" لنفكر في تأويل فكر أنكسمندر. كلمة "تا أونتا"، هي تجربة الإغريق للكائن كحضور. فكلمة " أون" و" أونتا" منحدرة من "إيون" و" إيونتا". وإستعملت من طرف المفكرين أو الشعراء الأوائل بمحاذاة الزمان الحاضر. ولهذا يدعونا هيدغر إلى النظر في معنى كلمة "حضور" أو "الزمان

330 قراءة وتأويل نيتشه، ونجد أيضا في نفس الكتاب قراءة ديالس Diels (*Le commencement de la philosophie occidentale,* p.15)

331 Ibid., p. 22

332 M. H, *Les chemins qui ne mènent nulle part,* p, 430

333 Françoise Dastur, *Heidegger et les paroles de l'origine,* p. 89

الحاضر". فالكائن بمعنى الحضور gegenwartig، يتضمن نمط خاص وهو نمط الغياب الخاص بالزمان الماضي والمستقبل. فما يقع خارج دائرة التكشف، يدخل ضمن دائرة الغياب الذي لم يأت بعد إلى الحضور، إذ يمكن إعتبار الغياب حاضرا تحت نمط " ليس بعد أو لم يأت بعد إلى الحضور. الغياب هو في طريقه إلى الحضور، فالحضور له أنماط متعددة. وهكذا فإن ما يقع خارج دائرة الحضور يقتضي رؤية الحضور في أنماطه المتعددة. أي في أبعاد الزمان الثلاثة، كما أن خاصية القدوم -التي تتجاوز حضور الكائن المتكشف- تنظر إلى الغياب كحضور وليس كنقطة للتوقف. وهكذا لا نسمي من يرى الحضور في الزمان الحاضر كائنا يرى. من يرى حقا، هو من يرى القادم إلى الحضور. القادم إلى الحضور هو الزمان القادم المتجه نحونا. الزمان هو من يأتينا ولسنا نحن من نتجه نحوه والإنتظار الدائم للغياب هو التعالي عن الزمان الحاضر. ومن يمكنه رؤية الغياب، فقد فهم أن الغياب هو أيضا طريقة كينونة حاضرة. الغياب هو إقامة مؤقتة أو عابرة transitoire. والإقامة هي محاذاة ما سيأتي وما فات devient et périt.

الرؤية الحقيقية هي التي تجعلنا نصوب نظرنا نحو الزمان المستقبل، وهي توقع ما هو قادم. وهذا ما نجده في أشعار هوميروس، فعندما يتحدث الشاعر عن المبصر يقول هو من رأى، "أُويدان"، οιδεν. ولأنه يرى فإنه بإمكانه رؤية المستقبل. أي توقع رؤية قادمة. إذن النظر هو التوقع Voir c'est prévoir.[334]

يقول أنكسمندر:

Διδοναι γαρ αυτα.

ديدوناي غار أوتو.

لأن كل من يدخل في الحضور، يعطي ذاته.[335]

334 M. H, *Les chemins qui ne mènent nulle part*, p. 416

335 M. H, *Le commencement de la philosophie occidentale*, p. 14 « Car chaque entrant en présence, donne lui-même »

الدخول في الحضور هو التفتق والانبثاق، إنه الميلاد والتجلي. ولكن السؤال هو مِن ماذا نخرج وننبثق؟ إن ترجمة الكلمة اليونانية γαρ هي "لِأَنَّ"، وهذا يعني أن الجملة الثانية هي الجملة المؤسسة للأولى بدليل "لِأَنَّ". وربما يكون العكس، أي أن الأولى هي أساس الثانية التي تشرح نتيجة الجملة الأولى. هل يقصد أنكسمندر بقوله، أن الكينونة هي الحضور؟ أو هي القدوم إلى الحضور؟ فالقادم إلى الحضور هو في الحقيقة لم يأت بعد إلى الحضور، مما يجعلنا في حالة تأهب وإنتظار دائم. وهذا يعني أن الكينونة والحضور والتأهب هي خصائص تميز الكينونة الإنسانية. ثمة علاقة ثلاثية بين الإنسان والزمان والكينونة، فأين هو مكان هذه الثلاثية؟

إن الإنفتاح هو المكان الذي تشترك فيه هذه الثلاثية والإنسان هو الحاضر والدائم والمقيم والغائب الذي ينظر ويتطلع إلى ما هو قادم إلى الحضور وما يخرج عنه وهذا يعني أن الإنسان هو أيضا مقيم في الانفتاح. والانفتاح هو انفتاح الكينونة، والزمان هو ماهيتها. كما أن الزمان الحقيقي هو رباعي الأبعاد، أي أن وحدة الزمان الحقيقي تستقر في المجاورة القريبة جدا للكينونة. فنقول "ثمة زمان" ولا نقول "الزمان موجود".[336] ولا يمكن أن نقول أين الزمان؟ وهل يشغل الزمان حيزا أو مكانا فيزيائيا؟ فلو كان للزمان حيز يشغله لإستطاع الإنسان الإمساك به. فالمكان الحقيقي للزمان هو مكان متحرر من كل ما هو فيزيائي، فاللحظة الحاضرة المحكومة بالزمان الحاضر، هي الأخرى مفتوحة على ما هو قادم في الحضور. مما يعطي للزمان خاصية التوجه أو الوجهة نحو المستقبل (القدر). فَعطاء الكينونة الدائم هو قدرنا.

الكينونة هي الكينونة المتقدمة والمنتشرة في الحضور.[337] ولكن ليس الحضور المرتبط بالزمان الحاضر فقط، بل بوحدة أبعاد الزمان الثلاثة (حاضر وماضي ومستقبل). مع العلم أن الماضي والمستقبل هما لاكائن، ولكنهما ليسا عدما خالصا، (مي أون تي μη ον τι)، فالماضي رغم دخوله في دائرة زمان قد ذهب وولّى، لكنه لم يتهالك وكأنه شيئ لم يكن أبدا. بل هو زمان يستمر في انتشاره لأنه رغم تراجعه، فهو يتقدم ليعطي شيئا آخر. الزمان

336 M. H, *Questions III et IV* p. 202-203
337 Ibid., p. 205

وإن كان قد مضى فهو ليس عدما خالصا وفي الوقت نفسه هو ليس كائنا.[338] والزمان المستقبل مع أنه لم يأت بعد، ولكنه قد بدأ أو شرع في القدوم.[339]

إنتقد هيدغر وبشدة فكرة الحضور أو الانتشار في الحضور في علاقتها مع الزمان الحاضر أي مع اللحظة الحينية Le maintenant، لأنها تستثني الماضي والمستقبل. وهنا يبين لنا هيدغر الفرق بين أوسيا ουσια و بروسيا παρουσια،[340] فالأولى هي دخول الكينونة في الحضور كحضور، وأطلق عليها اللفظ الألماني Anwesenheit. أما الثانية فهي الإنتشار في الحضور Anwesen بمعنى الدوام في الحضور. إن الإنتشار في الحضور بمعنى الدوام لا يمكنه أن يكون إلا في علاقته مع الغياب لأن اللحظة الزمانية الحاضرة لا تدوم ولا تتكرر. يعود عطاء الزمان الحاضر إلى الإريغنيس، فيأتي كل من الكينونة والزمان إلى نفسيهما في التملك المشترك. يقول أرسطو في تعريفه للزمان في كتاب **الفيزيقا** أن الزمان هو ما يتقدم في الإنتشار، وهو "الآن". أي اللحظة الحاضرة التي تتكرر في كل مرة.

كيف فكَّر هيدغر في الحضور؟ هل الحضور مرتبط بالزمان الحاضر؟ يُعَرِف هيدغر الحضور انطلاقا من إنتشار الحضور، وهوعلاقة تجمع بين الكينونة والزمان والحضور. فالحضور هو نتيجة لهذه العلاقة الحميمة وهو عطاء الكينونة ذاتها، إنه عطاء الأصل.

يرى هيدغر أنه لا وجود لإمكانية فهم زمانية الدازين إذا حددنا الكينونة بالزمان الحاضر. فالزمان الأصلي يُوَحِّد ويجمع أنماطه الثلاثة، إذ يمكن إستحضار الماضي عن طريق الذاكرة، كما يمكن أيضا رؤية المستقبل. إنها العودة مرة أخرى إلى فينومينولوجيا اللامرئي أو المنسحب، الذي لا يمكنه الظهور ولكنه يحضر في نمط كينونة مختلفة عن نمط كينونة الكائن. وهكذا نكون قد إنتقلنا مع هيدغر من فينومينولوجيا الظاهر أي من النظر، إلى

338 Ibid., p. 203-204

339 Ibid., pp. 209-210

340 بروسيا هي الإقامة أو المجاورة الدائمة أو الديمومة (Le perpétuel avoir séjour, *Questions III et IV*, p. 209)

فينومينولوجيا الإستماع، لأن علاقة الانتماء المتبادل تتطلب قدرة على الإنصات إلى هذا الذي تجمعنا به علاقة وتَتَحَدّد ماهيتنا بانتمائنا إليه وبانتمائه إلينا.[341]

يظهر في الجملة الثانية -من قول الشاعر- فعل العطاء بدليل وجود كلمة "يُعطي"، أي أن من يدخل في الحضور يُعطي ذاته. فمن هذا الذي يُعطي الكينونة القادمة إلى الحضور؟ وكيف نفكر في العطاء؟ هل نفكر فيه على أنه الأساس أو ينبغي علينا ان نتخلى عن فكرة الأساس؟ فلولا الزمان لما كانت هناك كينونة. كما أن الإنسان هو المعني بهذا العطاء لأنه هو الذي يستقبل انفتاح الكينونة، إذ يقيم الإنسان فيما هو قادم إليه من البَاروسيا παρουσια، فينفتح لاستقبال تقدم انتشار الكينونة.[342]

الحاضر هو "أديكيا" αδικια، وكلمة "أديكون" في اللغة اليونانية تعني الإنقطاع أو ما هو خارج الإتصال. إذا كان الحاضر "أديكيا" فهو لم يعد حاضرا وبالتالي كيف يمكن له كإقامة مؤقتة أن ينشر في دائرة اللاإتصال ويعطي إتصالا؟ كيف له أن يعطي ما لا يملك؟ إنه عطاء الأصل الذي يوفق بين الذهاب والقدوم إلى الحضور، وهو نتيجة لتلك العلاقة التي تجمع الكينونة بالحضور فتنشر نظاما في جوهر الحضور ذاته. وهكذا نستنتج من قول أنكسمندر أن للكينونة والزمان نفس التوجه، أي أن مصيرهما واحد. فعندما نقول " ثمة كينونة" فهي عطاء وقدوم ومجاورة الزمان، حيث تحمل المجاورة القريبة للزمان خاصية الإنتماء المتبادل، وكذلك خاصيتا الحماية والمنع. وهذا ما أطلق عليه هيدغر المصطلح الألماني "إريغنيس"، ويعني وجود علاقة إنتماء متبادلة أو تملك متبادل بين الكينونة والزمان، حيث لا يمكن لأحدهما أن يكون مستقلا عن الآخر. فمصيرهما واحد.[343] الزمان ليس حرا، وإن كان يملك حرية الانتقال والعبور بين أبعاده المختلفة، إلا أنه مرتبط إرتباطا وثيقا بالكينونة. ليس هناك زمان مستقل عن الكينونة كما أنه ليس هناك كينونة مستقلة عن الزمان. وهذا ما يجعل الكينونة متعددة في مظهرها، فإنفتاحها ليس إنفتاحا مكتملا بل هو إنفتاح يليه إنغلاق لإستقبال نمط جديد للكينونة ذاتها.

341 M. H, *Questions III et IV*, p. 206
342 Ibid., p 208
343 M. H, *Questions I et II*, p. 270

المبحث الثاني: مسلك الفكر – (هرقليطس)

1- **الكينونة هي الفيزيس φυσις**

سننتقل من قراءة هيدغر لبعض أقوال أنكسمندر إلى البحث في الكينونة من خلال القول الشعري لهرقليطس، وسنوضح قراءة هيدغر لبعض الأقوال في حواره الذي أجراه مع أوغون فانك Eugen Fink في سداسي شتاء 1966-1967.

هرقليطس هو أحد المفكرين العظماء الأوائل أي القبسقراطيين. تميز شعره بالغموض لأنه يفكر في الغموض. فالميزة أو الخاصية الأساسية للإنسحاب تعود إلى الغموض. والحجب هو مأوى العالم الإغريقي الذي يحفظ اللاحجب أي الأليثيا. حيث يرى هرقليطس أن الكينونة هي الفيزيس Φυσις الذي يعجبه التخفي، ولكن ما المقصود بالفيزيس وكيف نفكر فيه كما فكر فيه هرقليطس؟

يقول هرقليطس في الشذرة B123:

Φυσις κρυπτεσθαι φιλει .

فيزيس كريبتستاي فيلاي.

الطبيعة، يعجبها التخفي.[344]

يقابل مصطلح "التخفي" أو "الاحتجاب" عن النظر في اللغة اليونانية مصطلح "كريبتستاي" κρυπτεσθαι. الكينونة هي لعبة الاختباء والظهور. أما مصطلح "الطبيعة" فيقابله مصطلح "فيزيس". هل يتحدث هرقليطس هنا عن الطبيعة كطابع وحقيقة خفية تكمن في الكون، وتنتظر من يكشفها ويرفع الحجاب عنها؟ هل الطبيعة، في قول هرقليطس هي جوهر الأشياء وطبائعها، كما هو الحال في الشذرة B1، أم أنها تحمل معنى الواقع الخارجي، أي ك "مادة "؟

344 Martin Heidegger et Eugen Fink, *Héraclite,* Trad. Jean Launay et Patrick Lévy, Gallimard, p. 76 (*Questions I et II*, p. 581)

كلمة "فيزيس" هي كلمة مثقلة بالمعاني ولم يتفق في شرحها المفكرون. فترجمت كلمة فيزيس إلى اللغة اللاتينية ب natura من الفعل nasci، naitre، وإلى اليونانية ب غانγεν وتعني ترك الشيء يأتي من ذاته.[345] وعلينا أن ننتبه لكلمة "ترك" لأنه فعل يحمل معنى عميقا للتحرر من كل قيد. هذا الذي يأتي إلى الحضور وينسحب، لا يملك دخولا في الحضور إلا نفسه، مما يُخضع الحضور لغياب الإستقرار. الحضور هو حضور مضطرب.

كلمة "فيزيس" هي كلمة أساسية لأنها كانت تُسمِّي بعض العلاقات الأساسية التي كانت تربط الإنسان الغربي بالكائن. فكانت تتداول بكثرة في ثنائيات الطبيعة والعطاء grâce، الطبيعة والتاريخ، الطبيعة والروح. ولكن هناك أيضا طبيعة الروح وطبيعة الإنسان، أي الإنسان في كليته. ويمكن أن نتحدث أيضا عن طبيعة الأشياء. و"الطبيعي" في الديانة المسيحية هو كل ما مُنِح للإنسان أثناء الخلق كعطاء خاص. يقول هلدرلين أن الطبيعة هي ما يفوق الآلهة.[346] فأصبحت كلمة "الطبيعة" تعني الكينونة لأن الكينونة سابقة لكل كائن مهما كانت الطريقة التي يتواجد عليها هذا الكائن، فالطبيعة هي دائما الأولى ولهذا فإن كلمة "فيزيس" هي الكلمة المحورية عند الإغريق. ولكن ينبغي أن ننظر أيضا في تعريف أرسطو لكلمة "فيزيس"، وهو الذي كتب كتابا من ثمانية فصول سماه **الفيزيقا**، فكيف يُعرّف أرسطو كلمة فيزيس؟ يُعَرِف أرسطو كلمة فيزيس ب كينيزيس κινησις،[347] حيث يقول:

Χινησις κατα τοπον.[348]

كينيزيس كاتا توبون.

الفيزيس هو الدخول في الحضور في منطقة خاصة بالكائن. ترتبط كائنية ما هو كائن بالفيزيس وهذا يعني أن الفيزيس هي البداية αρκη التي ينبثق منها الكائن وأنها هي قوة الأصل أو أصل ينتشر بالقوة ويتحدث أرسطو في الفصل الأول من كتاب **الفيزيقا** عن نمط الكائن المحدد بالفيزيس حيث يقول:

345 M. H, *Questions I et II*, p. 484 (se laisse provenir de soi)
346 Ibid., p. 486 (La nature est à présent dans le fracas éveillé et haut, depuis l'éther jusqu'à l'abime en bas.)
347 Ibid., p. 491 (la mobilité ou l'être mu)
348 Ibid., p. 498

τα φυσις οντα.[349]

تا فيزيس أونتا.

كما يؤكد هيدغر أن الترجمة لأعمال أرسطو لم تكن خالصة ولم تحافظ على المعنى الإغريقي. ويقول في تأويله لقول أرسطو: من الكائن في كليته يأتي الواحد عن طريق الفيزيس (192 11-b8).

Και εστι παντα ταυτο.

كاي إستي بانتا تاوتو.[350]

الفيزيس هو "الأوسيا"، أي الدخول في الحضور أو ما يأتي ويتمدد أمامنا. وفعل القدوم يدل على وجود حركة والكائن القادم من الفيزيس هو كائن متحرك. إذن علينا أن نفهم الحركية كنمط كينونة وهكذا أصبح تحديد جوهر الحركة هو قلب السؤال الذي يبحث في الفيزيس. فالكينونة المتحركة هي نمط أساسي للكينونة. وهو نمط لا يمكنه أن يكون دون نظر مضيء un regard eidétique, wesensblick. ولكن هذا لا يعني أن الكينونة هي الحركة في حالة سكون، لأنها فكرة بعيدة عن الفهم الإغريقي. كما أن كتاب **الفيزيقا** لأرسطو يقول هيدغر أنه لم يُفهم بعد بطريقة يونانية، وأن هناك الكثير في هذا الكتاب ما يزال قيد البحث والفحص وإعادة النظر.[351] فالفيزيقا تسبق الميتافيزيقا في الوقت الذي كانت فيه الفيزيقا ميتافيزيقا. وهذا يعني أن فيزيقا أرسطو متحجبة ولهذا لم يُفهم كتابه بطريقة أعمق وهو كتاب أكثر من أساسي في الفلسفة الغربية.

إذا كان الفيزيس هو قوة الأصل، أي أنها نوع من الطاقة، وهو ما ينتج ذاته عن طريق ذاته وبإتجاه ذاته، فهل يعني هذا أن الفيزيس ك"مبدأ" متعلق بحركية الكائن؟ وأن الكائن هو في حد ذاته متحرك؟ وإذا كانت الحركة غير ثابتة، فهذا يعني أن الكائن هو لاكائن لأنه يملك حرية الحركة والتحول. كما أن الكائن لدى الإغريق هو الثابت والدائم، وهو المقيم

349 Ibid., p. 493
350 Ibid., p. 515
351 Ibid., p. 492

في ذاته ومن ذاته.[352] فإنتشار الحركة الخاص بالفيزيس هو نمط كينونة منفتحة، ولكنها لم تكتمل بعد. أي أنها كينونة في طريقها نحو كينونة قادمة. وهنا يكون الفيزيس هو الظلام المنتمي إلى النور.

كيف يمكن أن نفكر في الفيزيس كما فكر فيه الأوائل؟ وكيف فكر هرقليطس بالتحديد في الكينونة المعجبة بإنسحابها الخاص؟

يقول هيدغر في درسه الذي خصصه لقراءة أقوال **هرقليطس** *Héraclite*، أنه لا يمكننا فهم الشذرة 123 التي تتحدث عن الطبيعة المعجبة بالتخفي، إلا إذا جمعناها بالشذرة 57، هنا فقط يمكن أن نتعمق أكثر في فهم كلمة "فيزيس" وذلك إنطلاقا من الواحد Εν. ولكن كيف ذلك؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وماذا يقول هرقليطس في الشذرة 57؟ يقول الشاعر:

Εστι γαρ εν.[353]

إستي غار آن.

لأنه ثمة الواحد.

تُرجم هذا القول إلى الفرنسية ب: « Car il y a le UN »،[354] كلمة "آن" الموجودة في أخر المقطع، هي الفاعل في هذه الجملة. وربما قصد هرقليطس في قوله هذا أن كينونة الواحد هي من يجمع بين الإنارة والظلمة، أي أن النهار والليل هما الشيء نفسه، حيث يخرج النهار من الليل واللاإنسحاب من الإنسحاب. نحن نعرف النور والظلام إنطلاقا من كينونة حاضرة وغائبة عن الشمس وعن الإنارة في مجال الانفتاح. إذ يمكن للانفتاح أن يتحصل على وضوح النهار ولكن الانفتاح يتضمن الإنغلاق، فهو ليس انفتاحا مطلقا. ففي تغير إيقاع الشمس بين ظهور وغياب، هذا ما يعطينا النهار والليل. كما أن المجال الذي ينتقل فيه النهار

352 Ibid., p. 495
353 M. H, *Héraclite*, p. 76
354 Εν = L'être-Un

إلى الليل هو مجال الديمومة. فرغم غياب الشمس، فإن "الواحد" وهو ما يقابل كلمة Εν في اليونانية مستمر في البقاء.

إذا لم تكن هناك شمس رغم وجود كواكب أخرى، لكان الظلام.[355] إيليوس Ηλιος هو الكوكب الوحيد الذي يُكَمِّل الوضوح. فحتى القمر والنجوم رغم أنها كواكب مضيئة إلا أنه لا يمكنها أن تنير السماء كما تفعل الشمس. إذ تتجلى الشمس في مجال الإضاءة التي تتضمن الأساس المظلم. فمستويات الإضاءة عديدة ولا نهاية لها Aufgelagert، فتظهر الإضاءة في مسار الإنفتاح. وهنا نلاحظ علاقة بين السماء والأرض وبين النور والظلام وبين الفاني والأزلي. يقول هيدغر: "لا يملك كل الناس عينا يبصرون بها، هذه العين ليست العين التي نرى بها، ولكن العين التي رأتنا عندما رأينا ما رأينا".[356] إن لهذه العين طبيعة شمسية ηλιοεισες.[357] فالليل والنهار، هما حالة إيقاعية أصلية خاصة بالحياة. وإذا قلنا الحياة، فإننا نقصد الإنسان. وإذا تحدثنا عن حياة الإنسان المحكوم بالزمان، فإنه ينبغي علينا أن نتحدث أيضا عن الموت. ويبدو أن الموت والحياة، هما أيضا يشكلان وحدة واحدة، فلا يموت إلا من كان حيا ولا يحيا إلا من كان في الأصل عدما. ولكن لا يمكن لمن مات وأصبح عدما، أن يعود للحياة مرة أخرى.

يريد فانك Eugen Fink تلميذ هيدغر في تأويله لقول هرقليطس، أن يجعل من "الواحد"، ذلك الذي يجمع التعدد بمعنى "الكل". إذ يتميز الواحد بقوة الجمع. الواحد هو لحظة البدء من جديد في كل مرة، وهو لحظة الإنعدام نفسها، مع إضافة مهمة الجمع ولحظة ترك الكينونة تتجلى وتنبثق من ذاتها. فهل الكينونة هي التجدّد réminiscence في نظر هيدغر؟

355 M. H, *Héraclite*, p. 71
356 M. H, *Questions I et II*, p. 520
357 Ibid., p. 453

يقول فانك مخاطبا هيدغر: " الواحد هو أعالي السماء".[358] ولكن ما هي علاقة السماء بالأرض؟ العلاقة بين السماء والأرض هي علاقة النور بالظلام وعلاقة التجلي بالإختباء وعلاقة الآلهة بالإنسان وهي علاقة تجمع بين الفاني والأزلي.

إذا عدنا إلى المقطعين الشعريين 106 و 57 لهرقليطس يمكن أن نفهم طبيعة هذه العلاقة:

Μια φυσις، ميا فيزيس.

مع

Εστι γαρ εν، إستي غار آن.[359]

يرى هيدغر بعدم إمكانية ترجمة كلمة "فيزيس" في هذه الشذرة ب"طبيعة الأشياء" wesen، أما فانك فيترجمها إلى كلمة "بزوغ" Aufgehens. هل هذا يعني أن كلمة "الواحد" تُفهم في هذا المقطع بمعنى الإشراق والبروز؟

إن العلاقة بين "الواحد" εν و"الكل" παντα هي الكينونة المنفتحة بين الآلهة والإنسان.[360] والإنسان هو الأقرب إلى العمق l'abyme من الآلهة ولهذا فإن العلاقة بين الإنسان والآلهة هي علاقة معقدة ورفيعة المستوى، بحيث لا يمكن تحديدها بالكلمات اللاهوتية الميتافيزيقية التي تَعَوّدنا سماعها. يقول فانك: إن الإشتراك في الإنفتاح بين الآلهة والإنسان هو ما يميز الظاهرة، أي ظاهرة الموت والحياة. فنحن نعيش بموت الآخر (موت الحيوان مثلا والذي نجعل منه غذاءنا) ونموت من أجل حياة الآخر. كذلك يضيف هيدغر ميزة "الفهم المتبادل offenstandikeit، مشيرا إلى هذه العلاقة التي تخص الآلهة والإنسان، ويطلق عليها أيضا إسم الإنفتاح. تتمثل هذه العلاقة في علاقة الواحد والكل. ولكن يرى هيدغر أنه إذا كانت تتمثل علاقة الآلهة مع الإنسان في علاقة "الواحد" مع "الكل"، سيفقد الواحد ميزته. إذ تعود كينونة الحياة والموت إلى "الواحد". ولكن علاقة الواحد بالكل

358 M. H, *Héraclite*, p. 77 « le « Εν » est la voute céleste. »
359 Ibid., p. 76
360 Ibid., p. 182

هي حالة كينونة أو حالة عالم verhalt. فالحياة هي الزمان الكلي Gesamtzeit الخاص بالكينونة الحية، والموت هو نهاية زمان الحياة. إذن العلاقة بين الواحد والكل مربوطة بالزمان.[361] يقول هرقليطس في الشذرة 26:

Ανθρωπος εν ευφρονη φαος απτεται τεθνεοτως ευδων, εγρηγορως απτεται ευδοντος.[362]

قام ديالس Diels بترجمة هذا المقطع[363]، يُشعل الإنسان النور في الظلام، عندما ينطفئ نور عينيه. ويلمس الحي الأموات أثناء نومه. أما في يقظته فإنه يلمس النائمين.

يُشعل الإنسان نورا في الظلام، يعني أنه يملك القدرة على الإنارة في الظلام. فهو يشبه بروميثيوس Prométhée، سارق النار. ولكنه يُضيء فقط عندما يكون في علاقة مع الظلام. فالنار هي رمز المعرفة. ولكن مهما كانت قدرته على الإنارة عظيمة، فإنه لن يبلغ مطلقا ضوء الشمس ونورها، فهي الوحيدة القادرة على أن تطرد الظلام، فيختفي وينسحب. فنور الإنسان لا يمكنه أن ينير كل شيء. وحده "الكل" τα παντα قادر على ذلك. كما أن قدرة الإنسان على الإنارة عائدة إلى النور الذي يستقر أو يقيم فيه الإنسان. مكان إقامة الإنسان موجود بين السماء والأرض وبين إنفتاح الأليثيا وإنغلاق الليثيا.[364]

يقوم إنسحاب الأليثيا كأليثيا بتحرير الكينونة المتحولة من إنرغيا ενεργεια إلى واقع actualitas.[365] وتعني كلمة "الكينونة المتحولة"، الأوجه العديدة والمختلفة التي تظهر فيها الكينونة وتتجلى ضمن تاريخها. وهذا يعني أنه لا يمكن تحديد ماهية الكينونة كونها متحولة أو متغيرة. فأحيانا تتكشف وأحيانا أخرى تنسحب وتختفي. ولكن كيف يمكن رفع الحجاب عن الطبيعة المحتجبة أو المعجبة بالتخفي؟

361 Ibid., p. 195
362 Ibid., p. 195
363« L'homme touche (s'allume) dans la nuit une lumière, quand la lumière de ses yeux est éteinte, vivant, il touche aux morts dans le sommeil ; dans la veille, il touche aux endormis. »
364 Ibid., p. 224
365 M. H, *Questions III et IV*, p. 263

يكون رفع الحجاب عن الطبيعة المحتجبة بالإستماع لأقوال الأوائل ولكن بأذن يونانية. إذ يمكننا كشف حجاب الحقيقة باللوغوس. اللوغوس هو النور الذي تنتشر فيه الكينونة وتبرز في كل تجلياتها. ولهذا فإن التخفي راجع لغياب الأداة اللازمة لرفع الحجاب، وهو الحكيم، وغياب الحكيم راجع لغياب الشاعر. وهذا الأخير غائب لأنه لا يجد لنفسه مكانا بيننا، فعالم بلا شعر، كقلب بلا نبض وكجسد بلا حياة. فالحياة الحقيقية في جوهرها "شعر"، فإذا ذهب الشعر ذهب معه كل شيء. ونضرب مثالا عن النقوش الموجودة على جدران المساجد العائدة إلى القرن السادس عشر بعد سقوط الأندلس في مدينة تلمسان بالجزائر، هذه النقوش عجزنا نحن اليوم في القرن الواحد والعشرين على القيام بنقوش تشبهها، وحتى نمط العِمارة فقدناه، لأننا فقدنا الشعر في العالم. فُقدان الشعر هو نتيجة لفقدان الفكر، وإذا أضعنا الفكر نكون قد فقدنا القول الأصيل، فيصبح القول مبتذلا. لقد أصبح فكرنا اليوم براغماتيا، يعبر عن واقع نفعي يحكم مجموع علاقاتنا بالأشياء المحيطة بنا، بما في ذلك الإنسان. وأصبح القول في هذا العصر قولا لاأصيلا، قولا مزيّفا، يقدمه من يزعم إمتلاك المعرفة واللوغوس. ولكن ما معنى كلمة "لوغوس" في شعر هرقليطس؟

2- معاني اللوغوس في أقوال هرقليطس

أ- لوغوس بمعنى الواحد والكل - Εν παντα

بقيت أشعار هرقليطس -وهي مقاطع وشذرات قليلة إلى يومنا هذا- لتضيء لنا الطريق. ومع ذلك يقول هيدغر في كتابه **هرقليطس** أن المقاطع المتبقية، لا تمثل الفكر الكلي لهرقليطس. كما لا يمكن أن يكون فهمنا لهرقليطس شاملا من خلال تأويلنا لبعض المقاطع المنفصلة كل واحدة على حدا، بل علينا أن نفهمها متصلة ببعضها. وهنا نتساءل عن الشيء الذي يجب التفكير فيه تحت إسم " لوغوس" في الشذرة B50 لهرقليطس. ماهي علاقة اللوغوس بالواحد Εν وبالكل Παντα؟ وهل يقصد هرقليطس باللوغوس كخاصية تميز الكائن الإنساني أو الألهة؟

يقول هرقليطس في هذه الشذرة:

Ουχ εμου αλλα του λογου αχοθσαντας

Ομολογειν σοφον εστιν " Εν παντα.[366]

وهذه أحد الترجمات: إن لم أكن أنا، لكن المعنى الذي سمعته. إنّه من الحكمة أن نقول في نفس المعنى " الكل هو الواحد" Tout est Un، فهل نبحث عن الوحدة في التعدد؟ أي أننا نبحث عن الخاصية التي توحّد وتجمع التعدد والإختلاف؟

علينا أولا وقبل كل شيء تحديد معنى كلمتي " آن" و " بانتا"، فكيف يمكن فهمهما فهما يونانيا؟ يقول فانك بأنه ينبغي أن ندرس كل المقاطع الشعرية التي وردت فيها كلمة "تا بانتا" حتى نتمكن من الوصول إلى تأويل وفهم واحد لهذه الكلمة في إرتدادها اليوناني.[367]

ترجم ديالس كلمة "تا بانتا" إلى "العالم" univers، ولكن رفض فانك هذه الترجمة و قال بأن "تا بانتا" هي "الإضاءة" وليس العالم. فالإضاءة هي أصل تكوين العالم. فيها تأتي الأشياء إلى الظهور وهو ظهور متعدد.[368] وهكذا فإن "تا بانتا" هي مملكة التعدد ولكن لا توجد مسافة بينها وبين الواحد "آن". فالإضاءة واحدة، وهي التي تضيء وتجمع التعدد في ظهوره. ولكن ما علاقة الظهور باللوغوس؟[369]

يقول هيدغر: هناك مثل صيني يقول: "أن تُظهر مرة واحدة خير من أن تقول مئة مرة". ولكن الفلسفة مُقَيّدة بالقول لتُظهر. فإذا غاب القول غاب معه الفكر. وسنوضح العلاقة من خلال المقطع الأول Frag I لهرقليطس الذي يقول فيه:

Γινομενων γαρ παντων κατα τον λογον

غينومينون غار بانتون كاتا تون لوغون.[370]

366 Martin Heidegger, *Essais et conférences*, trad. André Préau et préfacé par Jean Beaufret, Gallimard, p. 250
367 M. H, *Héraclite*, p. 30
368 Ibid., p. 29
369 Ibid., p. 32
370 Ibid., p. 33

يتساءل هيدغر في هذا المقطع عن "غينومينون" وإلى أي حد تكون "تا بانتا" هي نفسها "غيغومينا". لقد كُتِبت كلمة "غينومينون" بصيغة الجمع وتعني كلمة "غينومينا" في معناها اليوناني الضَيِّق "الخروج" أو " ميلاد كائن حي من كائن آخر". كما أن "بانتا" بصيغة الجمع أي بمعنى "الكل" هي متحركة في ظهورها المتعدد مقارنة باللوغوس. وهكذا تدخل "غينومينا بانتا" في علاقة مع الإنسان الذي يملك الكلمة.

في المقطع السابع Frag VII، لا تعني كلمة "بانتا" كل الكائنات بل الإختلاف بين الكائنات المنفصلة الواحدة عن الأخرى. تحمل "بانتا" معنى الإختلاف كظاهرة متخفية. ويوضح لنا هيدغر أن "الكل" بمعنى التعدد والإختلاف هو في علاقة باللانظام، وهو ما يطلق عليه في اللغة اليونانية ب: إريس، ερις في نمطه المتحرك. فالعلاقة التي تُوَحّد "الكل" ب "الواحد" تعني الإضاءة التي تحكم، فالواحد يعني المأوى أو الإضاءة. وعلينا أن نفكر فيه بمعنى الواحد الذي يُوَحِّد التعدد والإختلاف. "آن بانتا"هي الإضاءة التي تحكم الإختلاف. وبهذا علينا أن نفكر في اللوغوس كمُوَحد أو كجامع. اللوغوس في هذا المقطع يعنى الجمع أي أنه يحمل خاصية الجمع في الإنارة.

في الشذرة خمسون، تتحدث الجملة عن فعل السماع أكويين "αχουειν" كفعل إرادي وعن شيء قد تمّ سماعه. كما تتحدث الشذرة أيضا عن الفعل أومُلُغيين ομολογειν، وهو فعل السماع. ويعني أن نقول نفس الشيء الذي تم سماعه. فالقول هو الشيء الذي قيل عن الأنا "εγω"، أي عن المفكر نفسه، مع العلم بأنه هو من يتحدث λογων. يقصد هرقليطس هنا بأن السماع والقول، هما شيئ واحد. فاللحظة التي يصدر فيها القول هي نفسها اللحظة التي يتم فيها سماع هذا القول. إنه "الكل" و"الواحد" آن بانتا، "Εν παντα". اللوغوس هو الكل وهو الواحد. تتحرر الكينونة من الحجب لصالح الفكر في لحظة يتوقف فيها التغيير. فحتى لو كانت كينونة الكائن متغيرة فإن الكينونة متحررة من التغيير كنداء.[371] وهذا يعني أنّ فهمنا العادي المتعلق باليومي، نحن الذين جئنا متأخرين -كما يقول هرقليطس وزملاؤه في الدرب-هؤلاء الذين كانوا قد ذهبوا بدون شك إلى ما هو أبعد من الممكن، فالعالم بأسره واقع

371 M. H, *Question III et IV*, p. 204

اليوم تحت نمط الإدّعاء.[372] وربما في انتظار أن نجيب بطريقة أفضل في فهمنا لأقوال هرقليطس، علينا أن نوافقه مع الإحتفاظ ببعض الغموض. فقد شَغَلَنَا لغز الكينونة كما شغل السابقين. ولكنه لغز باق في الشيء المفكر فيه نفسه، فكلما إقتربنا منه تراجعنا. يقول هيدغر "أعلن هرقليطس أن الواحد هو الكل، والكل هنا يعني كلية الكائن، حيث تجمع الكينونة الكائن فيها".[373]

ب- **لوغوس بمعنى التلقي والحماية**

لقد عاش كل من هرقليطس وبرمنيدس وأنكسمندر علاقة حميمية وتجربة أصيلة مع الكينونة. فقبلوا تحدي الكينونة رغم تمسكها بالغموض[374] لأنهم كانوا في إنسجام دائم مع اللوغوس بمعنى الواحد أو الكل، حيث تتضمن رؤية الغموض أولا وقبل كل شيء توضيح معنى كلمة "لوغوس" وما يعنيه الفعل "لغيين"، λεγειν.

نجد كلمة "لوغوس" في الفعل ليغيين وتعني، "قال" أو "تحدّث"، إلا أن الفعل "قال" هو أكثر دقّة من الفعل "تحدّث". ولهذا يبقى المعنى غامضا مع أنه ليس المعنى الأصلي والأول لكلمة لوغوس. لأن كلمة لوغوس منحدرة من الفعل "ليغيين" ويوجد في هذا الفعل معنى legere باللاتينية و lesen بالألمانية وهي فكرة الإقتطاف. كان المعنى الأول لكلمة لوغوس هو الإقتطاف die lese.[375] إن إقتطاف الحضور وتركه يتمدد في مجموعه أمامنا وذلك في إقامته في الحضور، يأخذ معنى التجميع.

معنى الفعل "ليغيين" هو وضع الشيء في حالة إسترخاء أو في موضع النائم. ولكن كيف تحوّل معنى الفعل "ليغيين" من "قال" إلى "وَضَع الشيء في حالة راحة"، أي وضعها في موضع الحماية؟ وهنا يتساءل هيدغر ليوضح لنا الصورة: ما هي نتيجة إقتطاف الفلاح لمحصوله؟ ويجيبنا قائلا: نتيجة الإقتطاف هي الحفاظ على المحصول ووضعه في مكان

372 M. H, *Essais et conférences*, p. 256

373 مارتن هيدغر، **ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هولدرلين وماهية الشعر**، ترجمة فؤاد كامل ومحمود رجب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص. 59

374 المصدر نفسه، ص. 60

375 F. D, *Heidegger et les paroles de l'origine,* p. 163 (logos est la pose recueillante)

آمن. إذن نتيجة الاقتطاف هي الحماية. وهذه الحالة هي المسيطرة هنا وفيها يسكن هَمُّ إقامة الحماية أو الرعاية.

يقول هيدغر، أنه قد تمّ تأويل كلمة لوغوس بطرق مختلفة ك: راتيو، وكقانون عام verdum وعلى ما هو منطقي و ضروري للتفكير وإعطاء المعنى. إذ لا يتوقف العقل عن ترك صدى نداء العقل وهو نداء للمعيارأو للقانون أو للقاعدة التي تحدد ما يجب وما لا يجب فعله. ولكن ماذا يمكن للعقل فعله عندما يلتقي العقل باللاعقل واللامعقول؟ قد يدخلنا التجاهل واللامبالاة دائرة النسيان، فلا نفكر في ارتداد كينونة العقل، ونلتزم فقط في طريق مجيئه وتوجهه نحونا. ولكن ماذا ننتظر من المنطق الإبستيمي λογιχη επιστημη؟ فلكل نوع من أنواع اللوغوس التي ذكرناها سابقا، كانت مصدر ثقة، ولم نفكر قط في أخذ الحذر من اللوغوس، فتتبعنا كينونته الأولى المقيدة بالمعيار؟

في تجربة هرقليطس الشعرية، كل كائن هو كائن متغير باستمرار، ولا وجود لشيء ثابت، يعني أن الكينونة صيرورة، والصيرورة تلغي مفهوم المطابقة، فتصبح إمكانية القبض على حقيقة الكينونة مستحيلة. إذ كيف يمكن تحديد حقيقة الكينونة في عالم الصيرورة والتغير؟[376] الكينونة لامتحركة ولاثابتة بصفة مطلقة، الكينونة هي الإثنين معا، إنها الحركة والسكون، هذا ما يقوله أفلاطون في السفسطائي.[377] يقول هيدغر: تبدو لنا فكرة التحول أو التغير في البداية كحكاية أو تاريخ. ولكن تاريخ الكينونة لا يشبه تاريخ شعب من الشعوب أو تاريخ حضارة ما. فعندما نستمع إلى فحوى قول برمنيدس:

.Εστι γαρ ειναι

إستي غار أيناي.[378]

376 Jean Wahl, *Traité de la métaphysique*, p. 86
377 Platon, *Le Sophiste*, p. 51
378 *Questions III et IV*, p. 202

فإن قوله هذا يوحي إلى أن الكينونة تشبه الكائن، ولكن الكينونة هي لاكائن. كما أن كلمة "إستي" ليست كلمة يقصد بها برمنيدس الكائن أو شيئا يشبه الكائن. تاريخ الكينونة هو قدرها Destiner وهذا يُحِطّم نظرية أنطلوجيا كينونة الكائن.[379]

ت- **لوغوس بمعنى نور وإضاءة**

منذ بداية دروسه وحتى وفاته، لم يتوقف هيدغر عن قراءة وإعادة قراءة هرقليطس، وعن تأويله وإعادة تأويله مرة أخرى. وعن ترجمته مرّات ومرات عديدة. وذلك بتأمّل أقواله المفكرة في الكينونة. كتب هيدغر في سنة 1953 إلى حنّة أرنت يقول: "عدت في هذه اللحظة إلى هرقليطس، فالحوار معه ومع برمنيدس لا يتركان لي مجالا للراحة، فما هي الحدود وما هي الطرق التي يتساءل فيها كل منهما؟ وبالرغم من التأويلات الكثيرة إلّا أنّ مجال التأويل مازال مفتوحا فيما يتعلق بهذين المفكرين".[380]

اللوغوس عند هرقليطس هو النور والإضاءة، Le feu. وهو الذي يشرح نظام العالم وجريانه. كلمة لوغوس هي القول أو الخطاب منذ أفلاطون وأرسطو وهو الكلمة الموجهة عن طريق العقل، والتي أعطتنا فيما بعد كلمة منطق وعقل وكلمة verbum وقانون العالم وأخيرا ضرورة للتفكير. إلا أن ترجمة الكلمة إلى اللاتينية ب "راتيو" هي التي شكلت الحضارة الغربية ووجّهتها نحو التقنية. أما ترجمتها إلى المنطق الإبستيمي، فهذا المصطلح بالذات كان له معنى مختلف في الفكر الإغريقي الأول. اللوغوس عند الإغريق الأوائل هو الذي يربط الظواهر فيما بينها كظواهر للعالم الواحد. اللوغوس هو روح الخطاب الإغريقي الأول.

اللوغوس عند هيدغر هو "فعل الإضاءة"، δηνουν وهو الذي يجمع الفيزيس والأليثيا في علاقة حميمة. كما يؤكد هيدغر بأنه لا يمكن فهم كلمة لوغوس إلا إذا فهمنا أولا معنى كلمة كينونة بالنسبة للإغريق. ولهذا كانت مهمته هي البحث في المعنى الأصلي

379 Ibid., p. 204
380 L'article, *Héraclite*, Dictionnaire, Martin Heidegger.

الضائع لكل من لوغوس وكينونة و أليثيا وفيزيس، ليعيد هذا الأصل ويخرجه للنور مرة أخرى.

تسمية الأشياء تعني مناداتها والإتيان بها إلى الحضور عن طريق القول، فيصبح حضورها حقيقيا في القول الذي يكشف كينونتها. وهنا يكمن إنتشار ثنائية الكينونة والكائن.[381] يقول هيدغر، عندما أسمي شيئا ما، فأنا أناديه كما أنادي شخصا ليحضر. فالكينونة هي في إنتظار إلتقاطها في القول. هل هذا يعني أن حضور الشيء لا يكون مكتملا قبل تسميته والإتيان به إلى القول. هل هذا هو ما فهمه الشعراء الأوائل، فجاءت كلماتهم تلبية لنداء الكينونة المنسحبة؟

يعطي هرقليطس الأولوية للوحدة في كل شيء. هناك فكر واحد، يحكم الكل عن طريق الكل. يقول في المقطع 41:

Εν το σοφον.

آن تو سوفون.[382]

الواحد هو سوفون.

ونلاحظ في هذا المقطع عدم إستعمال هرقليطس لمصطلح سوفيا بمعنى الحكمة ولا لكلمة فيلوسوفيا، بل قال "سوفون" وهي كلمة حيادية. وهذا يعني أن المصدر ليس إنسانيا ولا إلاهيا. فإذا عدنا إلى مبدأ الهوية ويمكن تسميته أيضا بمبدأ عدم التناقض، حيث أ يساوي أ، وهو مبدأ رياضي يقتضي المساواة. فإن المساواة ليست هي المعيار الوحيد للهوية. قد يتحول الشيء إلى نقيضه مع المحافظة على ذات الشيء. وهنا نتساءل: كيف يمكن المحافظة على الهوية في الزمان؟ -وهذا ما يعبر عنه هرقليطس في معنى قوله: لا يستحم المرء في النهر مرتين- إذ لا يتضمن اللوغوس سلطة شيء ما على نقيضه، فالكل واحد. كما لا يمكن أن يكون الوضوح أكثر قيمة من الظلام، فهي وحدة واحدة تتضمن الإختلاف وتحافظ في الوقت

381 Sébastien Camus, *connaitre en citation Heidegger*, Ellipses, p. 117

* le mot (daswort) le mot pour Heidegger n'est pas réductible à un signifié désignant un signifiant, il donne l'être à la chose qu'il nomme en la faisant venir à la présence.

382 M. H, *Héraclite*, p. 19

نفسه على الأصل. إنه الواحد المتعدد. يمكن أن تعود كلمة لوغوس في المقطع الأول إلى سوفون الخاص بالمقطع 41. ويمكن أن تعود أيضا ألى النزاع πολενος الذي يعطي خاصية الضد للكينونة المتحركة الخاصة بالأشياء المستقرة في دائرة الظهور.

تعني كلمة لوغوس في فكرة الكينونة، الحضور. أي حضور الكائن الظاهر كلوغوس أو ك"وضع القبض" la pose recueillante. ولكن بقيت الكينونة منسية وهذا النسيان نفسه هو من جعلها مرئية، حيث تَحَوّل مفهوم كلمة "لوغوس" هو الآخر. ولهذا فإنّه منذ البداية ولوقت طويل لم نستطع أن نشك في كلمة "لوغوس" فكينونة الكائن نفسه كان يمكن لها أن تكون "الإتيان بالكائن إلى القول".[383] والإتيان به إلى القول، تعني شرح شيء ما بالفمّ أو الكتابة والإتيان بالكينونة إلى وضع الحماية في كينونة القول (wesen). لقد جَعل هيدغر من اللوغوس الكلمة العمدة في فكر هرقليطس. ذلك لأنّه كان هو الإسم المُعطى لكينونة الكائن. كما أنه كان الواحد الجامع بمعنى الإنتقال من الإقتطاف إلى التجميع.

ولكن ماذا تعني اللغة في فكر هرقليطس؟

كلمة "لغة" تعني جمع ما هو حاضر وتركه يتمدد أو ينتشرهنا في حضوره أمامنا. ويطلق على "اللغة" يونانيا لفظ غلوسا، γλλοσσα. في الواقع، كان اليونانيون يسكنون في كينونة اللغة بمعنى الإنتشار. ولكنهم لم يفكروا فيها على هذا النحو إطلاقا. وحتى هرقليطس لم يفكر فيها بهذه الطريقة.[384] ولكن ماذا كان سيحدث لو فكروا فيها على هذا النحو؟ أعني كينونة اللغة ك "لوغوس" أو ك "موضع القبض"؟ أي ماذا كان سيحدث لو كان المفكرون الأوائل قد فكروا في كينونة اللغة انطلاقا من كينونة الكينونة wesen des Sein؟

يُعَيِّن اللوغوس كينونة الكائن. ويقول هيدغر أنه لم يجد أي أثر في أي مكان يمكن من خلاله إفتراض أنّ اليونان كانوا قد فكّروا في كينونة اللغة انطلاقا من كينونة الكينونة. ويقول ما عَلِمناه هو العكس. كانت اللغة مبنية على الصوت والسماع وليس على الحرف. لقد فكروا فيها انطلاقا من "المهمة الصوتية" أي كصوت φωνη ’. اللغة هي فينومين صوتي

383 M, H, *Essais et conférences*, p. 276
384 Ibid., p. 277

φωνη’ σημαντικη. وهي مهمة صوتية تعني شيئا ما. وهذا يعني أنها كانت مسموعة. وأن الصوت لدى الإغريق كان أهم من الكتابة. لقد استقبلت اللغة منذ البداية هذه الميزة الأساسية التي أطلقنا عليها كلمة " العبارة". هذا التمثيل بدون شك هو صحيح exacte ولكنه خارج اللغة، فاللغة ك "عبارة" تبقى محدّدة وهي هكذا في أيامنا هذه.

عندما فكّر هرقليطس في كلمة "لوغوس" ككلمة موجهة كي يفكر في كينونة الكائن، كان "اللوغوس" هو الإنارة أو الضوء الذي نقبض به على الغموض فينطفأ فجأة. وبهذا لا أحد يستطيع القبض على شعاعه، ولا حتى على ذلك القريب الذي ينيره، فلا نراه إلاّ إذا دخلنا في إعصار الكينونة. في أيامنا هذه، الكل يشير إليها ولكننا نبحث فقط عن إبعاد الإعصار بكل الوسائل الممكنة ووضعه جانبا. حتى انّنا نُنَظِّم ضربة أو طلقا ناريا ضدّه وذلك حتى لا يزعج هدوءنا. إلاّ انّ هذه الأخيرة ليست لامبالاة أوخمولا، إنّها لامبالاة القلق l’apathie de l’angoisse أمام الفكر. والفكر الأصيل ليس سوى هَمّا وقلقا دائمين. القول الخاص بالفكر وبالكينونة هو فكر فقير الصورة، إنه بدون عوامل جذب أو إغراء. فإذا كنا ننجذب للحضور فلا أحد يعلم بعد إغراء الظلام أكثر من هيدغر. قد يُحِوّل الفكر العالم فينزله منزلة العمق الأكثر سوادا، حيث يصمت الغموض ويمتنع عن الكلام.

إن الظلام، هذا الذي لا ظلام بعده ،هوالعمق والقمة الأكثر علوّا، إنها البداهة والوضوح الذي يعدنا به هذا اللغز الغامض. كان قد إقترح اللغز الغامض منذ زمن بعيد في كلمة "الكينونة" ولهذا ظلّ مؤقّتا، إذ لا يجب أن نركض خلفه مغمضي الأعين. بل علينا أن نأخذ بعين الاعتبار وقبل كل شيء أنّ أصل كلمة "كينونة" يعني حضور. والحضور يحدث ويدوم في اللاتحجب ولا سبيل للتفكر فيه إلا بالنظر.[385] والنظر لا يكون إلا بالانفتاح في ضوء الإنارة. اللوغوس هو نور الفكر، فإذا غاب اللوغوس غاب الفكر. ما يقيد الفكر هو القول، لأنه هو النور الذي يحمل خاصية الإظهار. يقول هيدغر: الأفكار هي التي تأتي إلينا".[386] ولكن هل الكينونة والفكر واحد؟

المبحث الثالث: علاقة الفكر بالكينونة (برمنيدس)

385 Ibid., p. 278.
386 M. H, *Questions III et IV*, p. 25

أ- **Moira- الفكر والكينونة الشيء نفسه**

هل الفكر والكينونة الشيء نفسه ؟ MoiraVIII-34-41. يقول هيدغر أن الحوار مع برمنيدس لا نهاية له، وهذا ليس عيبا على العكس تماما، فهي إشارة إلى لامحدودية الفكر الذي يعود إلى برمنيدس. وربّما يكون فيه إمكانية تحوّل في قدر الإنسانية. ولكن ما علاقة الفكر بالقدر؟ هل أفكارنا التي نظن أننا نحن من نصنعها هي التي تصنعنا وتحدد مصيرنا في العالم؟

يرى هيدغر أن نظرية التغير والصيرورة لهرقليطس تقول نفس ما يقوله برمنيدس وأن فكرهما ليس متناقضا. وأن القراءات السابقة كقراءة أفلاطون ونيتشه جعلت فكر هرقليطس مناقضا لفكر برمنيدس. لأن قراءة أشعار هؤلاء(هرقليطس وبرمنيدس) كانت في أفق قراءة الشعر ميتافيزيقيا، أي من وجهة نظر أفلاطونية. ولكن يعتقد هيدغر بأنه عوض ان نفهم أفلاطون على ضوء التقليد الميتافيزيقي وبرمنيدس على ضوء التقليد الأفلاطوني، علينا أن نفهم التقليد على ضوء البداية، والبداية على ضوء الأصل المخبأ فيه.[387]

علاقة الفكر بالكينونة هي من أكبر المشكلات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة. أن نكتشف الفكر من وجهة نظر يظهر فيها الفكر هو أيضا كشيء موجود هنا بجانب أشياء كثيرة وبطريقة تكون فيها الأشياء موجودة، هذا يعنى أن تكون وحدة الكائن هي نفسها ما يطلق عليها إسم "الكينونة". فالفكر بإعتباره شيئا موجودا يتوافق مع طبيعة كل شيء موجود، يظهر ككائن مساوي أو مطابق للكينونة. الفكر محدد باللوغوس، أي أن الأولوية للوغوس. فلولا اللوغوس لما كان هناك فكر. ولكي يفهم هيدغر نداء الفكر عند برمنيدس إختار المقاطع التالية: المقطع الثالث والسادس، البيت الأول من المقطع السادس، وكذلك البيت 41- 34 من المقطع الثامن حيث كانت هذه هي الأرضية الخاصة بالفكر والكائن في كينونته. وأيضا بمويرا Moira وهي نفسها الأرضية الخاصة بالإريغنيس، أي الأرضية الخاصة ببُروز الكينونة. ينتمي كل من الفكر والكينونة إلى المطوية التي يتشارك فيها الكائن مع الكينونة. فينتشر الفكر من خلال فعل السماع ويستقر فيه. وهذا دليل على وجود علاقة

387 Françoise Dastur, *Heidegger et les paroles de l'origine,* p. 100

متبادلة بينهما فيتجه كل واحد بإتجاه الآخر. ولكن هل هذه العلاقة هي بين شيئين مختلفين؟ يقول برمنيدس في المقطع السادس:

Το λεγειν τι νοειν τε. [388]

تو ليغيين تي نووين تي.

يُحيلنا هذا النص إلى جوهر الفكر وإلى كشف كينونته الأصلية. ولكن ما الذي يحدد جوهر التفكير؟ كما أنه يجب علينا أن نسمتع إلى كل من اللوغوس والفكر وقدر الفكر بأذن يونانية. أي علينا أن نسمتع إلى هذه الكلمات في قوة تسمية الأصل. وسيأخذنا هذا السؤال إلى "الكائن في كليته" من نفس المقطع إلى المقطع الثالث والثامن، أي إلى علاقة الفكر بالكينونة. ولكن قبل هذا، علينا أن نفهم ما تعنيه كلمة "ليغيين" و "نووين".

لقد كان لكلمة "ليغيين" معنى آخر في البداية، ونجده في أشعار هوميروس. حيث يقصد بها "الوضع" ويأخذ هيدغر هذا المعنى على محمل الجد. وهذا يعني أن نفكر في القول إنطلاقا من "الوضع"، وتعني ترك الكينونة تظهر. ماذا تعني كلمة الفكر؟ كلمة "فكر" لا يقصد بها هيدغر الإستقبال aufnehmen بمعنى غياب مطلق للفعل. بل يحوي بعدا فاعلا. وهو الإمساك المسبق بشيء ما، vor-nehmen. لقد حرّكت علاقة الفكر بالكينونة كيان الفكر الغربي. وفي إطار هذه العلاقة أعطى برمنيدس إسما لحكمته التي يقول فيها:

Το γαρ αυτο νοειν εστιν τε και ειναι.

تو غار أوتو نوين إستين تي كاي أيناي.

التفكير والكينونة هما الشيء نفسه.

الفكر والكينونة شيء واحد، فما دمنا قد فكّرنا فيها فهي كينونة، إذ لا يفكّر المرء في اللاكينونة. برمنيدس يشرح نفس الحكمة في مكان آخرفي الشذرة 41 -34 VIII حيث يقول:

"بدون الكائن الذي يسكنه الفكر كقول لا وجود لفكر."

388 Ibid., p. 101

من المؤكد أنّه لا وجود لشيء خارج الكينونة لأن القدر Moira فرض عليها أن تكون الكل ولامتحركة أي ساكنة. وسوف لن تكون الكينونة إلا إسما لكل ما وضعه لها البشر مقتنعين أنّه الحق: "فما هو آت" هو نفسه "ما مضى" و"كينونة" هي نفسها "لاكينونة" وتغيير المكان "هو نفسه " العبور من لون يلمع إلى لون آخر.[389]

Ταυτον δ’εστι νοειν τε και ουνεχεν εστι νοημα ου γαρ ανευ του εοντος, εν ω πεφα τισμενον εστιν, ευρησεις το νοειν :ου δεν γαρ η εστιν η εστα, αλλο παρεξ του ε οντος, επει το γε Μοιρ’ επεδη σεν ου λον ακινητον τ εμμεωαι : τω παυτ’ ονομ εστα,οσσα βροτοι κατεθευτο πεποτθοτες ειναι αληθη γιγνεσφαι τε και ολλυσφαι,ειναι τε και ουχι, και τοπον αλλασσειν δια τε χροα φανον αμειβειν.

ماذا تُبين هذه الأبيات الشعرية الثمانية في علاقة الفكر بالكينونة؟ على ما يبدو قد زادت الكينونة في غموضها، مع العلم أنّ كل من يسلك طريقا مظلما سيشعر بالحيرة والإرتباك. لذا علينا أن نثقف أنفسنا أولا وقبل كل شيء فيما يخصّ هذه العلاقة، ونتتبّع في هذه الطرق الأساسية مختلف التأويلات المعطاة إلى يومنا هذا. فكلّها تدور وتتحرّك في واحدة من وجهات نظر مختلفة، من بينها إنتماء الفكر للكينونة. ولكن كيف يمكن أن تكون هناك إمكانية للإنتماء بين شيئين متساويين؟ تقول مارلين زاردير عن قراءة هيدغر للبيت الشعري "الفكر والكينونة واحد" لم يقصد برمنيدس المساواة بين الفكر والكينونة وإنما يقصد الإنتماء.[390]

يقول برمنيدس في الشذرة III أنّ"الفكر هو جزء من الكينونة ولكن كيف نميز هذا الإنتماء؟ لقد جاءت الإجابة في كلماته الأولى: الفكر والكينونة هما الشيء نفسه، ولكن إذا قلنا

389 M. H, *Essais et conférences*, p. 279
Trad. W. Kranz « Penser et pensée qu’Est est sont une même chose ; car sans l’étant ou elle réside comme chose énoncée, tu ne saurais trouver la pensée. Certes il n’y a rien ou il n’y aura rien hors de l’étant. Puisque la Moira lui a imposé d’être un tout et immobile. Ne sera donc qu’un nom, tout ce que les mortels sont ainsi fixé, convaincus que c’était vrai : « devenir » aussi bien que « périr », « être » aussi bien que « ne pas être », « changer le lieu » aussi bien que « passer d’une couleur brillante à une autre »
390 Marlène Zarader, *Les paroles de l’origine,* pp, 105-107

أنّ الإثنين شيء واحد، فإن التساوي يمنع وجود إمكانية إنتماء. فالإنتماء يكون بين شيئين مختلفين. هل هذا يعني أنهما متساويين في غموضهما؟

يساعدنا برمنيدس في الشذرة VIII في كيفية وجوب التفكيرفي الكينونة التي ينتمي إليها الفكر "نوين" νοειν في مكان الكينونة "أيناي" εναι. يشير برمنيدس بقوله إيون εον في معنى الكائن في كينونته إلى الطية أو المطوية Le pli. ولكّن يُسَمَّى الفكر الآن "نويما" νοημα، أي أن أساس الفكر هو القلب وليس المطوية التي تجمع بين الكائن والكينونة عن طريق الفكر،[391] فننتبه إلى الفكر من خلال ما يُظهره القول، وكأنّ الظاهر هو أثر لحقيقة منسحبة ومنسية. لا يبين قول برمنيدس في هذا المقطع إلا نقطة واحدة وهي: إذا كان الفكر حاضرا، فهذا ليس بسبب إيونتا εοντα، أي الكائن في ذاته ولا بسبب الخضوع لإرادة الكينونة εναι بمعنى الكينونة في ذاتها.

إن مقاربة الفكر هذه هي في طريقها نحو المطوية، فحسب الشذرة السادسة VI، فإن الإقتراب من المطوية هو الإقتراب من المكان المشترك الذي يجمع الكائن بالكينونة. وعلينا الإنتباه للمطوية، وهو ما كان قد جُمِع مسبقا عن طريق القول ساعيا بإتجاهه نحوها. وذلك عن طريق عمل السماع λεγειν. وهو أن يُترك القول ممددا أمامنا. ولكّن كيف؟ فإذا كان الفكر حاضرا في المطوية التي يشترك فيها الكائن والكينونة معا، وهو ما جُمع عن طريق القول ساعيا باتجاهه نحو الكينونة، وهذا من خلال عمل ليغيين الذي يجعل الكائن ممددا أمامنا، فإن كل هذا سيوصلنا إلى معنى واحد وهو أن الإنصات إلى القول هو نظر وأن الفكر هو أيضا نظر. هكذا نفهم بأن ما يقصده الإغريق بالنظر هو التلقي. أي أنه خارج دائرة التحكم الإنساني ونظامه أي نظام التفكير في الكينونة مختلف عن النظام الإنساني المتحكم في التفكير الخاص بالكائن. ولكن كيف تحول التفكير في الكينونة إنطلاقا من فعل التلقي إلى الذات الفاعلة والمفكرة؟

ب- عائق الترجمة

391 Noειν=le percevoir= التلقي

ما الترجمة؟ ليست الترجمة عبورا من لغة إلى لغة أخرى، ولكنها عبور إلى كينونة الكائن. ولن تنجح الترجمة إلا عن طريق الوثبة، حين تقفز إلى الرؤية، أي حين تقفز إلى ما تعنيه الكلمات في لحظة ما. هذا يعني أن نتعلم التفكير في الترجمة من خلال كينونة الكائن، وأن نستمع إلى الكلمات اليونانية يونانيا،[392] فالكينونة هي الأصل عند اليونان. وهذا ما يركزون عليه إذ لا يقتصر تفكيرهم على الكائن ككائن، بل يقفزون بنظرهم بعيدا حيث تكمن كينونة الكائنات. هل للترجمة سلطة؟ للترجمة سلطة تضاهي سلطتها سلطة الكلمات؟ إن سلطة الكلمات المترجمة هي ذلك الإنسان الذي كبر وترعرع وعاش بيننا. تحمل الترجمة سلطة تاريخية حكمت التاريخ بمفاهيمها المترجمة لأكثر من ألفي سنة، ولكن حتى نترجم الكلمات يجب سماعها أولا، فهل الكلمات اليونانية التي ينبغي ترجمتها يونانيا، تعني ببساطة سماعها بأذن يونانية؟ فهم لا يقولون إلا في لغتهم الأصل. فهل نسمع أولا ثم نترجم أو العكس؟ أو الإثنين معا؟ بمعنى يجب أن نترجم لكي نسمع ونسمع لكي نترجم ولا أحد يعلم أيّهما يجب أن يكون أولا ولا بفضل ماذا، ولكن الإثنان واحد. أن نترجم أو نسمع هما في الحقيقة أمر واحد، فالترجمة هي أن نسمعهم من خلال ما يقولون. ولكن ما يتكشف في هذه الحقيقة ليس ما يتمثل عادة، فما هي اللغة المستدعاة هنا؟ إلى أي يونان يجب العبور أو الذهاب؟[393]

الترجمة هي نمط من أنماط التفكير. ولكن حتى نفكر في الترجمة التي وصلتنا، علينا الإنصات إلى الكلمات اليونانية بأذن يونانية. حتى نرى الوضوح الفريد والمتفرد أو الغريب، ونتعلم مسبقا من هذا الوضوح الفريد من نوعه، أن كل فكر هو ترجمة كلية قبل كل شيء، بمعنى أن الفكر الغربي هو نتيجة للترجمة الخاصة باليونان وليس فقط الترجمة الخاصة بنا نحن. فوضوح العبارة هو نار السماء عند الإغريق والنار هي منبع الإنارة وأصلها. La clarté de l'expression = le feu du ciel chez les Grecs. ولهذا عندما يستعمل هيدغر رمز اللعبة الرباعية بين السماء والأرض فإنه يعني بها بين العالم والمقدس فنور السماء هو نور متفرد وغريب يجمع بين الأموات و اللاأموات. يعني بين الإنسان المحكوم

392 M. H, *Qu'appelle-t-on penser* ? p. 2
393 Ibid., p.3

بالموت وذلك الغريب والمستمر في الحضور والسائر عبر التاريخ. ومثلما لكل شخص ما هو خاص به، وما عليه أن يتعلمه أيضا. فإنه الشيء نفسه بالنسبة لما هو غريب عنه. الغريب، ليس ضد الخاص. الغريب هو مستعمرة الخاص. هذا الغريب هو الذي يصنع في الوقت نفسه ذكرى الوطن. إن هذه الحركة بين الخاص والغريب هي التي حكمت فعل الترجمة وحكمت الفكر ونقلته إلينا محفوفا بتأويلات خاصة.

إن حركة الترجمة، هي حركة مزدوجة ولكن كيف ذلك؟ إن الخاص عند اليونان ليس هو الخاص بالفكر وإنما بالنور أو نار السماء أي المقدس. المقدس في بعده الأنطلوجي هو إله الشعراء. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا رفض هيدغر الإله الثيولوجي والميتافيزيقي مقابل إله الشعراء؟

لا يريد هيدغر إثبات وجود الله، ما يريده هيدغر هو شرح أصل هذا الفهم إنطلاقا من انفتاح الدازين على الإنارة، فالإله بالنسبة لهيدغر هو إله أنطلوجي. ولهذا فإن التحليل الوجودوي للدازين هو نقطة محورية أسفرت على وجود علاقة انتماء بين المقدس والكينونة. عندما كان نيتشه يبحث عن الإله هو لم يكن يبحث عن الإله الأنطي، هذا الإله الأنطي هو إله الثيولوجيين ولهذا فَقَدَ الثيولوجيون إمكانية البحث عنه وامكانية الإيمان لأنهم توقفوا عن التفكير فيه.

أن نفكر يونانيا، هو أن نكون ممتلئين بغموض الكينونة التي تكلّمها الشعراء الأوائل. هذه المعضلة التي أوتي بها في نورها الخاص. أي النور الخاص بالفكر وهو نار السماء التي يرمز نورها إلى نور الفهم والمعرفة. خاصية الفكر هي المقدس، ونظرا للعلاقة الحميمة بين الفكر واللغة الشعرية، فإن هذه الأخيرة هي الأخرى تحمل صفة القداسة، حيث توقظ الكلمة الشعرية الأحاسيس الأكثر حياة عن طريق إتحاد الصوت والإيقاع والإنسجام. الشاعر المفكر في حقيقة الكينونة هو الشاعر الذي يفكر بطريقته الخاصة، رافضا وثائرا على نظام المجتمع المقنن، متحررا من قوالب الحس المشترك، ليعبر بكلماته الشعرية عما يشعر به.

يحمل الفكر خاصية الغموض، εον εμμεναι، على وجه التحديد، ويهرب الغموض أيضا من الذين يعتبرونه منزلا ومأوى، فنار السماء هي الخصوصية التي تميز بها اليونان.

فالنار ترمز إلى النور. والغموض هوالأصل وهو المأوى والوطن، ويطلق هيدغر لفظ هايمات Heimat مشيرا بذلك إلى الوطن، إنه السكن في مجاورة الأصل. ولكن المأوى أو الوطن لا يُعنى به الأرض ولكنه جريان وإندفاع الكلمات. إذا لم نكن في المأوى أين يمكن أن نكون؟ نحن لا نعرف اللامأوى. وإذا لم نكن في الكلمات، فأين يمكننا أن نكون؟ فنحن لا نعرف مأوى غيرالكلمات. ولكن إن كان هذا الغريب، هو الأصل والمأوى، فكيف يأتي الغريب إلينا؟ إذ لا يمكننا الذهاب إلى من كان في الأصل غريبا عنّا. يظهر الأصل قبل كل شيء في جريانه (son jaillissement) ويختفي خلف ظهوره.[394] فإختفاءه دليل على أنه قريب جدّا، فلا يسكن إلا المتحرك ولا يبتعد إلا من كان قريبا جدّا.

كان اليونان في التراث الأول، وهي المرحلة التاريخية التي كان يعود إليها هيدغر في كل مرة، ولم يملّ مطلقا من البحث عن بداية جديدة إنطلاقا من فكر الفجر الأول، فالأصل يحتاج دائما إلى تفكير وإلى مراجعة وإعادة بناء. فكل الأشياء التي عَبَرَت وما زالت تَعبُر إلينا، كانت وستكون عن طريق الكلام. ولكن يجب أن يكون الإنفتاح بالضرورة كلاما ينكشف أيضا في كلام دون تاريخ، وهذا ما قالته مارلان زغدار Marlène Zarader: " يحوي الإنفتاح، الكلمة الأخيرة والأكثر لغزا في العودة إلى الخلف".[395]

إن الغاية من العودة إلى الخلف هو الإنصات من جديد إلى اللوغوس الشعري بِأُذُنٍ يونانية خالصة، هذا الشعر الذي تميز به الشعراء الأوائل، علينا رؤيته بعين الفينومينولوجيا. ولكن إذا كان اللوغوس، هو فعلا السماع والقول، وفعل السماع يسبق فعل القول. وحتى يصبح أو يتحول السماع إلى قول، ينبغي أن يكون السماع تلقيا لنداء. وإذا كان تلقيا فهو نور وإضاءة، وبهذا يكون التلقي رؤية، والرؤية إضاءة. ولكن إذا تساءلنا لماذا الشعر؟ أو لماذا تتخذ الكينونة لنفسها موضعا في الشعر؟ فالجواب لأن مكان الشعر، لا هو على الأرض ولا في السماء، وضع الكينونة يتوسط الإثنين معا، أي أن الشاعر يقيم بين السماء والأرض. وهذا ما يقصده شاعر الشعراء هلدرلين Hölderlin بقوله: يقيم الإنسان على الأرض شعريا. الشاعرية هي التي تربطنا بالسماء. إن الصور الإبداعية والإستعارية التي يضعها

394 Ibid., p. 8

395 Serge Botet, *L'ontologie de la parole chez le dernier Martin Heidegger,* « L'ouverture (…) constitue le dernier terme et le plus mystérieux de la rétrocession. », p. 75

الشاعر في قصائده تُولّد صعوبة في الفهم، فالفهم هو أساس الترجمة وفي غيابه يكون فعل الترجمة مستعصيا.

كل مفكر عظيم لا بد أن يكون شاعرا عظيما والعظماء الذين يجمعون بين الفكر والشعر قلة. كما يشكل إختلاف اللغات عائقا كبيرا في طريق الفكر. وهذا ما لمسته شخصيا من خلال البحث في الفكر الهيدغيري. يساعدنا الانفتاح على اللغات كثيرا، ويفتح لنا مجالا خصبا للتعرف على الفكر العالمي بإختلاف وتنوع لغاته. كما أجمعت الكثير من القراءات المختلفة للمختصين في فكر هيدغر على إستحالة ترجمة بعض المصطلحات وهي مصطلحات مفتاحية وقد إحتفظت بها كما هي، خشية تحريف معناها الأصلي الذي يقصده هيدغر من ورائها. مثل كلمة "دازين" و" إريغنيس" و"فينومينولوجيا" وحتى أنهم اختلفوا في ترجمة الكلمة المحورية في فكره وهي Sein فهناك من ترجمها إلى "الوجود" وهناك من رأى أن الوجود ليس سوى مجموع ما هو موجود، وهذا يتنافى مع المعنى الأصلي للكلمة وبهذا فإن ترجمتها إلى "كينونة" تبدو أبلغ من كلمة "وجود"، فالكينونة هي اللغز الذي يقف وراء الوجود العيني. كما أن كلمة Ek-sistenz في أصلها الألماني كانت في بداية فكر هيدغر تعني أوزيا Ουσια حضور الكائن ويقصد بها الكائن في معناه العام أي الموجود بالمعنى السكولائي subsistancia، ولكن تحول المعنى فيما بعد إلى باروزيا παρουσια أي كينونة حضور الحاضر بمعنى الإنتشار أو القدوم إلى الحضور وهو نمط الكينونة الممكنة والخاصة بالكائن.[396]

لقد تمت ترجمة كل النصوص اليونانية، الشيء الذي سمح لنا بالاستفادة من هذا الإرث العظيم. ولكن أما كان ينبغي قبل أن نقرأ هذه النصوص المترجمة، أن نتعلم كيفية التفكير في الترجمة نفسها؟ وهذا ما فعله هيدغر، فقد خصص إحدى عشرة ساعة لترجمة برمنيدس في سداسي صيف 1952، إذ قام بترجمة الكلمات الثمانية، للشذرة السادسة إلى

396 Martin Heidegger, *Les problèmes fondamentaux de la phénoménologie*, p. 123
الفرق الأنطلوجي الذي يُظهر الاختلاف بين كائن وكينونة هو نفسه الفرق بين الحضور كإنية وبين كينونة الحضور بمعنى الإنتشار، فالزمان في معنى اللحظة لا يتوافق مع المعنى الهيدغيري للزمان الأصلي كإنفتاح لأبعاده الإكستاتيكية. الفرق بين كائن وكينونة، هو نفسه الفرق بين الكلمتين اللاتينيتين Essence et Praessens ظاهرة الإنتشار أو القدوم إلى الحضور هي أكثر أصالة من الحضور بمعنى الحظة الإنية. ويظهر هذا الفرق أيضا في الكلمتين الألمانيتين Wesen et Anwesen يريد هيدغر من خلال إبرازه لهذا الفرق أن ينتقل من التفكير في الكينونة إنطلاقا من الكائن الخاص الذي أطلق عليه إسم "دازين" او الزمانية باعتباره كينونة متناهية إلى التفكير في الكينونة إنطلاقا من الزمان في معناه الأصلي وليس في معناه المتداول في الميتافيزيقا الكلاسيكية.

اليونانية. إنه إغراء الترجمة وإغراء الكلمات. ولهذا ينبغي التفكير في الترجمات الألمانية هي الأخرى. كما لا ننسى الإرث اليوناني الذي كان له أثر كبير في كل ثقافات العالم. لقد تعلمنا مع هيدغر قراءة شعر الأوائل وفتح باب الفهم من جديد ولكن شرط إتقان اللغة الإغريقية والتفكير فيه يونانيا، فما يحتاج إليه المترجم هو لغة تفهم وتنقل الكلمات اليونانية من لغة الأصل إلى لغة أخرى، إنها عملية استبدال الكلمات اليونانية بكلمات أخرى. ولكن العائق الأكبر يكمن في نقل المعنى الأصلي والمحافظة عليه أثناء نقلنا لهذه الكلمات من لغتها الأم إلى لغة أخرى. فإذا حدث تحوّل في المعاني دون مراعاة للمعنى الأصلي، فإن المعاني الجديدة ستخفي المعاني الأصلية وسيتحوّل بذلك المعنى الأصلي إلى معنى ثانوي يوجه بدوره المعنى الأصلي إلى منحى آخر لا يشبه الأصل في شيء. مما يستدعي وقفة جدية في موضوع الترجمة لأن الترجمة تجمع بين اللغة والفكر. اللغة هي رمز من رموز التفكير.

ت- **الفكر والشعر والمقدس**

لقد كان الشعر الإغريقي الأول حافلا بالألهة، فهل كانت عودة هيدغر للشعراء الأوائل عودة لخطاب المقدس في قلب سؤال الكينونة؟ ولكن إذا كانت ثمة كينونة، فلماذا الإله؟

تكلم هيدغر لأول مرة عن الإله في كتابه **رسالة إلى النزعة الإنسية**، ولكن لم يكن خطابه واضحا، فمرة كان يتكلم عن غياب الإله ومرة عن الإله الأخير ومرة أخرى عن هروب الآلهة. كما أنه إستعمل اللفظين "الإله" و "الآلهة" بصيغتي المفرد والجمع، وفي هذا غموض فيما يخص كينونة الواحد والمتعدد. فما هو المقدس بالنسبة لهيدغر وما هي تجلياته؟

المقدس هو مكان ماهية الإله، حيث كانت الثيولوجيا هي شكلها الأول. يمكننا ان نفكر في ماهية الإله إنطلاقا من ماهية المقدس ولكن للمقدس تجليات كثيرة. مما يدفعنا إلى التساؤل عن إله هيدغر وعن نمط حضوره ودوره في قلب سؤال الكينونة. من هو إله هيدغر؟

إن خطاب الكينونة في فكر هيدغر هو خطاب يخلو من الدغمائية المنتمية إلى مذهب الكنيسة. إله هيدغر ليس كائنا وليس لاكائنا وليس مساويا للكينونة. إله هيدغر ليس إلها دغمائيا وليس العلة الأولى. إله هيدغر لا يظهر، ولكنه يُظهر شيئا ما من داخله، وهذا الذي

تم إظهاره، هو الذي ينبغي عليه أن يُظهر الكينونة ككينونة. تظهر الكينونة ككينونة في أبعاد المقدس لأنه فقط إنطلاقا من سؤال حقيقة الكينونة يمكن فهم ماهية المقدس. لقد فتح لنا سؤال حقيقة الكينونة باب سؤال المقدس.[397] والشاعر الذي يتناول المقدس في مختلف تجلياته في نظر هيدغر وحده يمكنه أن يتكلم عن المقدس بطريقة أصيلة. مما يضفي عن وجود علاقة بين الكينونة والدازين والمقدس وعلينا تفكيكها. هذه العلاقة الثلاثية هي الأساس الجديد لأنطلوجيا هيدغر الجديدة التي اعتمدها في معالجته لسؤال حقيقة الكينونة وهي انطلاقة جديدة تختلف عن منطلقات الأنطلوجيا الكلاسيكية التي ميزتها ثلاثية النفس والطبيعة والله وإن كانت قريبة منها بعض الشيء. كيف تناول هيدغر ظاهرة المقدس كصدى للكلمة الشعرية؟

كيف كان الشعر مع سقراط قبل 2500 عاما خداعا، ليتحوّل اليوم مع هيدغر إلى النقيض أي إلى مؤسس للكينونة. ولكن الشعر كان كذلك مع الشعراء القبسقراطيين ولهذا كانت العودة إليه نقطة محورية في مسألة الكينونة. وإن كان سقراط قد وجد ضرورة للشعر إلاّ أنّه يقّر أيضا بضرورة فرض قواعد وقوالب للشعراء حتّى ينظّموا على أساسها أشعارهم ويقول بأنّه لا بدّ من فحص الأساطير وبعناية كبيرة لأنّه إن كان الغرض من ورائها تربويا، فإنّها ستترك بصمة قويّة لا يمكن للزمن محوها.[398] يقول أفلاطون: "سنقيّد الشعراء".[399] ويقول أيضا أن هوميروس قد وضع الألهة في أشعاره في صور لاأخلاقية، مثلها مثل الإنسان. كما أنه طرد الشعراء فيما بعد من جمهوريته بعد أن وضع على رؤوسهم تاجا من الورود .[400]

تعني كلمة التفكّر Endenken[401] " تذكر" وحتى يختص التفكير بنمط كينونة الكائنات، يلجأ هيدغر إلى المقابل الإغريقي Mné الموجود في كلمة Mnémosynes وهي الذاكرة أو القرائح، نقيض النسيان هو التذكر ولهذا يذكر هيدغر في كتابه **مامعنى التفكير؟** 1954 وجود مسالك للتفكير تنتظرنا و يجب أن نتذكرها ضمن التغيير الذي أدخلناه عليها،

397 Martin Heidegger, *Lettre sur l'humanisme,* p. 135
398 Platon, *la république*, livre X, (B-376d-383c), p. 126-133
« Parmi les arts des muses, il faut examiner avec grand soin les fables/»
399 « Nous contraindrons les poètes »
400 Platon, *Le Sophiste*, p. 29

401 مارتن هيدغر، **معضلة الحقيقة**، ص. 16

وذلك بالسير نحوها وفي نفس اتجاهها، فالحقيقة يونانيا تعني أليثيا αληθεια وهي كلمة بدأت بالألف النافية، وهي نفي للنسيان والحجب والإختفاء لتعطينا المعنى المقابل وهو الانفتاح والانكشاف واللاحجب، وهذا ما يطلق عليه هيدغر ب Un-verborgenheit.

التفكر تذكر والتذكر هو α.ληθη أي اللانسيان. كما أن الرغبة في التفكيرتعني أنّنا لا نفكر بعد.[402] ماذا يعني هيدغر بقوله هذا؟ إنّ الرغبة في شيء ما تعني عدم إمتلاكنا له والرغبة هي دليل على الفقد والحرمان. إنها دليل على عدم وجود الشيء. إن الرغبة هي المحفز الذي يحفزنا ويدفعنا للقيام بشيء ما. ففي إنعدام الرغبة يكون هناك إنعدام للمحفز. وبالتالي للفعل ولكن ماذا يقصد هيدغر بقوله أننا لا نفكر بعد؟ هل في قوله هذا تلميح إلى من كانوا يفكرون فيما يستحق التفكير حقا؟ أي إلى الشعراء والمفكرين الأوائل الذين كانوا يتحدثون و يسمعون وينظرون ويفكرون يونانيا؟ وهي لغة التفكير بإمتياز حسب رأيه. ولكن إن كان هناك تفكيرمن قِبَل هؤلاء فلماذا إنقطعنا عنه؟ وما أسباب هذه القطيعة؟ لماذا انحرف المسار من التفكير في الأصل إلى التفكير في من يُقيم على هامش الأصل؟ هل علاقة المفكر بالشاعر هي نفسها علاقة الإنسان بالأشياء وبالإله أم امتداد لها؟

يكون الفكر، في رحلة بحثه عن حقيقة الكينونة مستندا على العقل باعتباره أعلى مقام للفكر بالنسبة لأفلاطون، حيث وضع أفلاطون الشعر في محكمته ليحاكمه بتهمة تبديد الحقائق وتزويرها. وهكذا أزاح نموذج الحقيقة المطلقة عن طريقه إمكانية وجود مسلك آخر قد يوصلنا إليها. وكان أفلاطون قد رفض الفنون باعتبارها محاكاة للطبيعة، ورفض الشعر على وجه الخصوص، حيث يقول: "والآن، ما دمنا قد عدنا إلى موضوع الشعر، فسندافع عن رأينا بوجوب طرد مثل هذا الفن الضار من دولتنا، بالقول إن هذا أمر يحتمه العقل".[403] ولكن، لماذا الشعر بالتحديد، من بين كل الفنون الأخرى؟

يبدو أن المعركة التي واجهها الشعر مقابل الفلسفة هي معركة قديمة، وقد تعمدنا قول فلسفة لا الفكر، ولكن يميز هيدغر بين الاثنين، باعتبار أن الفلسفة أخذت منحى العلم وإنتهجت منهج العقل الحسابي، وأخذت طابع الأداتية. هذا الطابع الذي إنتقده رواد مدرسة

402 Martin Heidegger, *Qu'appelle-t-on penser* ? p. 19

403 أفلاطون، **الجمهورية** الكتاب العاشر، ص. 546

فرانكفورت، حتى أن أدورنو تنبه إلى دور الشعر، وإنتهج منهجه للخروج من دائرة العقل الأداتي. ونقصد هنا الفلسفة ما بعد سقراط، لأن الفلسفة ما قبله مارست فكرا أصيلا، واعتبرت الحقيقة كشفا وخروجا من الحجب، في مقابل الحقيقة كيقين.

نقد أفلاطون الفن، ولكنه وجه نقدا لاذعا إلى الشعر، على وجه الخصوص، لأنه يبعدنا عن الحقيقة الموجودة في عالم المثال، أي في عالم الفكرة εἶδος مع أن معظم كتاباته كانت شعرية، كما كان إستعماله للأساطير في أكثر من موضع لغرض ديداكتيكي واضح في محاوراته، إلا أن الفكر قبل سقراط كان شعرا، وكانوا ينظرون إلى الحقيقة باعتبارها إنكشافا، وأدركوا بعد المقدس في الفكر وفي الشعر أيضا، ولكن نقد أفلاطون له جعله يبتعد ويختفي، ليظهر مفهوم الحقيقة كتطابق ويحل محل الحقيقة كلاحجب، ففقدنا الصلة مع فكر الفجر الأول، ليفتح بذلك الفكر باب الفلسفة القائمة على مبدأ العقل وخطابه بعيدا عن الشعر، فلا خطاب إلا خطاب العقل، العقل وحده هو المعيار للوصول إلى الحقيقة، فالعلم الحقيقي في نظر أفلاطون لا توصلنا إليه الحواس لأنها تدخل دائرة نظام الحقائق المتغيرة. وما يريد أفلاطون بلوغه هو الحقيقة الثابتة والمطلقة، وهذا يتنافى مع نظام الحواس. فارتباط الفنان أو الشاعر بالمحاكاة، لأنه يقلد ما هو حسي، يبعدنا عن النظر والفكر المستقيم. وهذا ما نلمسه من خلال أسطورة الكهف، إلا أن نفس الأسطورة قرأها هيدغر قراءة مختلفة ومتميزة في كتابه **ماهية الحقيقة**. فالأسطورة هي أيضا فن من الفنون، بإعتبارها إضاءة. هيدغر لا يفصل بين السماء والأرض بل يصالح بين المتضادات في كل شيء، مما يزيد في جمالية كينونتها. حقيقة الكينونة تكمن في التضاد. الكينونة هي إمتناع وعطاء، ظهور وإختباء، والأهم هو أن الكينونة هي لاكائن، الكينونة هي حضور وغياب في حضرة الغياب الدائم.

إن سبب العداء الشديد للشعر في الفلسفة الأفلاطونية هو "المحاكاة أو التقليد". الشعر، في نظر أفلاطون، يحاكي الطبيعة، ولأنه محاكاة، فهو يخفي الطبيعية الحقيقية للأشياء،[404] ولكن إذا كان الفن عموما والشعر على وجه التحديد يشوه الحقيقة في نظر أفلاطون، كيف جعل منه هيدغر أساسا لكشف حقيقة الكينونة؟

404 المصدر نفسه، ص. 529

إذا كانت الحقيقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة المثال عند أفلاطون، فإن الأمر مختلف عند هيدغر، فالحقيقة الوحيدة هي الكينونة. إنها مقولة المقولات. في تجربة الدازين -بإعتباره كائنا في العالم- هي تجربته الوحيدة القادرة على إحداث الحقيقة كإنكشاف في ضوء الكينونة نفسها. يقلق الدازين على وجوده ويهتم به ولا يمل من طرح الأسئلة. والكينونة ليست ماهية ولا يمكن تحديدها كماهية في عالم الصيرورة. كينونة الدازين هي تجربة خالصة وأصيلة. ويقول هيدغر بأن أسلوب أفلاطون في كتاباته كان أقرب إلى الشعر، مما يبين أن علاقة الفلسفة بالشعر لا يمكن التغاضي عنها. أصل الحوار بين الشعر والفكر موجود، إذ لا يمكن الفصل بين ملكات المعرفة، لأن الإنسان وحدة لا تقبل التجزئة، قد نميز بين الملكات التي حظي بها، ولكنها في النهاية وحدة واحدة. هناك تجاور وتذاوت بين هذه الملكات، ونقصد العقل والحواس والحالات العاطفية والتي أطلق عليها هيدغر مصطلح Afekt، فالدازين هو العالم وهو الكائن في كليته. الدازين ليس عقلا فحسب. كما أن فكرة الصراع عند أفلاطون تختلف عن فكرة الصراع لدى هيدغر. الصراع الأفلاطوني فيه تنكر وإزدراء العقل للحواس، بينما فكرة الصراع الهيدغري يقصد بها أن الصراع هو الأصل في إنتزاع الانكشاف من اللاانكشاف أو اللاحجب من الحجب أو انتزاع الظهور من الاختباء لأن التضاد هو وحدة واحدة وهذا ما نجده في الشعر اليوناني القبسقراطي وبالأخص أشعار هرقليطس .

يرى أفلاطون بعدم وجود علاقة للفكر بالشعر بالرغم من أن طبيعة لغته تقول عكس ذلك، ويرى هيدغر أنه في كثير من الأحيان، يختلط الفكر بالشعر، إلى درجة التماهي، فلا نستطيع تمييز نوع الخطاب والأمثلة كثيرة. إذا قرأنا مثلا، للمفكرين الأوائل وللشعراء في مراحل تاريخية مختلفة، أمثال برمنيدس أو هيرقليطس أو سوفوكل Sophocle أو أشعار فيكتور هيغو Victor Hugo أو غوته Goethe أو شيلنغ Schelling أو شيللر Scheler أو هولدرلين Hölderlin أو تراكل Trakl أو ريلكي Rilke أو بول سيلان Paul Silane فهؤلاء جميعهم شعراء مفكرون، ولا يمكن أن نقول غير ذلك، لأن الفكر هنا هو الحلقة التي إجتمعت فيها ملكات الدازين وتوحدت. ولهذا يقول هيدغر بأن اللوغوس الشعري يجمع ويُوحد، وما أحوجنا نحن المغتربون إلى وحدة الوطن.

الشعر هو تجربة فكرية وروحية أصيلة في فهم معنى حقيقة الكينونة. وهذا ما يؤكده غادمير Gadamer في قوله: "ربما كانت الفلسفة والشعر شديدي القرب من بعضهما، لأن مجيئهما من أفقين مختلفين جعلهما يلتقيان".[405] هل علاقة الشعر بالفكر هي ترك الكينونة تتجه صوب الشاعر، فتأتيه وتناديه طوعا؟ كذلك بالنسبة إلى حقيقة الكينونة، هل الدخول في تجربة الكينونة هو دخول في باطن الإنسان؟ هل الكلمة الشعرية هي مأوى الإنسان الذي يجد فيه سكينته ومسكنه؟ إذا كان الشعر هو مأواه ووطنه، بمعنى إقامة الإنسان في اللغة الشعرية، فكيف يمكن أن تكون إقامته على الأرض شعريا؟

الشعر الذي يفكر لا يتنازل عن ندائه الباطني الخاص، أي عن موهبته الباطنية الخالصة. والفكر الذي يجعل من نفسه شاعريا، هو بعيد عن التخلي عما يصنع صرامته. لا يستطيع كل من الشعر والفكر الالتقاء في المجاورة أو في القرب نفسه، إلا بشرط البقاء والاستمرار في الاختلاف الذي يخص ماهية كل واحد منهما. الشعر الذي يفكر والفكر الذي يجعل من نفسه شاعريا، يوحي بفكرة الإنتماء والمجاورة. توجد إمكانية حوار بين الشعر والفكر في تحريهما عن الكينونة. هناك نقطة يلتقي فيها المفكر بالشاعر، إنها "الكينونة". ويؤكد هيدغر في عبارة غامضة تدعو إلى التأمل وهي: "توبولوجيا الكينونة"، التوبولوجيا هي المكان، ولكن هل يمكن القول بأن هذه التوبولوجيا كان يمكن لها أن تختلط بالتوبوغرافيا؟ ما كانت للكينونة أن تختلط بالتوبوغرافيا، فالكينونة ليس لها مكان جغرافي. لقد إعتقدت الميتافيزيقا ولزمن طويل أنها إستطاعت أن تكتب كل أسماء المكان، الذي يقال عنه "كينونة"، وسجلته على لوحة جدارية زيتية كبيرة، إنها لوحة التاريخ الخاص بها، دون أن تكشف أو ترى أنها قد محت المكان أكثر مما قالت عنه، وهي تشير إلى المقر الوحيد، إنه الفكر المنطقي، متناسية الفكر الشاعري.

ث- **المقدس الإغريقي**

405 Hans George - Gadamer, *Philosophie et littérature,* Aubier, 1991, p. 192

الشاعر الأول هو مفكر في نظر هيدغر لأنه يسمي ويظهر من خلال قوة الكلمة الشعرية المقدس. كل فكر أصيل هو شعر أصلي urdichtung. علينا أن نلقي بعض الضوء على هذا القول الذي يدق كتأكيد، إنه تعريف أو عبارة تستحق الشرح أو البرهنة.

إن الشعر الذي يفكر هو شعر فلسفي وهو في الحقيقة يحكم نفسه auto-licencie. والحكيم لا يريد أن يحكم ويتحكم، فهو لا يرغب في السيطرة، لأنه يحكم نفسه. وهذا يكفيه (يغنيه). هل هذا يعني أن الشعر يترك الأشياء لتكون، ولا يريد أن يتحكم بمصائرها، كما يفعل العقل؟

الفكر هو الشعر الأصلي الذي يسبق كل فن شاعري.[406]

المفكر والشاعر متجاوران في نفس المكان الأصيل الغامض، فخطر الكينونة يكمن في مجاورة المفكر للشاعر الذي يغني. على ما يبدو، فإن الحوار بين الفكر والشعر ممكن. وهذا ما قاله هيدغر في محاضرته "لماذا الشعراء؟"[407] وأكده منذ 1935، فنظام الفكر والشعر واحد، ولكن طريقهما ونظامهما مختلف عن طريق ونظام العلم (التفكير العلمي)، حيث ينتشران في بعد آخر. هذا تماما ما شهد به الأوائل، أمثال برمينيدس وهرقليطس، حيث "كان الفكر دائما من جوهر شاعري".[408]

إن الحوار التاريخي بين الشعر والفكر سابق بالفعل. كان الشعر يميل دائما إلى أن يرتفع إلى مستوى الفكر، بينما كان الفكر الذي يفكر فيما يستحق التفكير فيه، يتبع طريقه في مجاورته للشعر. المفكر والشاعر كلاهما في حاجة إلى التبادل ليكونا على ما هما عليه، ولكن لكل منهما طريقته. يبدو هذا التأكيد للوهلة الأولى إعتباطيا، بالنسبة للذين يتمسكون بصرامة وجدية الفكر على الذين يحبون إنتشار التخيل الشعري الحر. فهناك من لا ينظر فقط إلى صرامة المنطق وبأنه الوحيد الصارم، ويقصدون بذلك المنطق والعقل التحليلي، فالشعر هو أيضا له صرامته، ولا يمكن أن نقول بأن الشعر هو تخيل عشوائي لا مسؤول، يقف إلى

406 Ibid., «la pensée est la poésie originaire qui précède tout art poétique. », p. 49

407 Ibid., p. 499

408 Ibid., p. 500

جانب اللاعقل، فلكل منهما خيالاته، وربما يكفي أن تتخلى الفلسفة عن الفكرة القائلة إن المنطق هو النموذج الوحيد للفكر، وهو فكر "ما بعد الوضعية"، القائل إن الفلسفة خادمة العلم، وهي الفلسفة المستقبلية الحقة. ويُلَمح هنا هيدغر إلى الفلسفة التحليلية الأمريكية، أي إلى الفلسفة البراغماتية وهي فلسفة نفعية بإمتياز. ما يريده هيدغر من خلال تقديسه للكلمة الشعرية التي تتناول المقدس أن ينبهنا إلى المجاورة التي تكون مجاورة للأشياء كأشياء دون النظر في آداتيتها والمنفعة التي تكون في نمط استعمالها. وهنا يتساوى الإنسان الذي تم تشيؤه بسبب التقنية مع الأشياء. تحولت كينونته الشاعرية الأولى التي تختلف في الأصل عن كينونة الأشياء المحيطة به وأصبحت كينونة مختبأة في الظل لتفتح مظاهر التقنية أفق الإنارة. فهل يعود الإنسان التقني إلى كينونته الأولى أم يبقة أسير الحوار العقلي الحسابي؟

ربما على الفلسفة أن تدرك قيمتها الخاصة، وأنها أبدا لم تولد من العلم، ولا يعود الفضل إليه في إنتشارها وتطورها، يقول هيدغر: "ما زلنا مسجونين في قالب من أفكار مسبقة، زرعت في عقولنا لمدة قرون خلت، وهي التي تغذي تفكيرنا إلى يومنا هذا".[409]

للفكر علاقة بالراتيو الخاص بالعقل الحسابي في معناه الواسع. هيدغر لا يتعب من الكشف بأن العقل إمبريالي، والمتكلمون بإسمه إنما أرادوا أن يجعلوا منه إمبريالية، والأوهام التي جعلت من العقل موضوعا تحت وجوه تاريخانية historiales والتي تجسد فيها المنطق والعلم والتقنية منذ زمن بعيد، أي منذ العهد الذي أصبح الإنسان مقياسا لكل شيء، بما في ذلك كينونته الخاصة مستندا إلى مبدأ العقل باعتباره المقياس الوحيد، متخذا من نفسه هذا "الحيوان المفكر"، الذي يطلب العقل فيعطيه تفكيرا حسابيا. إنه نموذج العقل التقني والعلمي.

منذ محاضرة 1938 إلى غاية دروس نيتشه ومحاولات الخمسينيات، هيدغر لا يمل من إظهار أن الزمن الحديث ومن دون شك، قد حرر الإنسان من رباط الثيولوجيا (اللاهوت)، فأصبح العقل الحسابي قانونا للسوق، وأصبحت إنسانية الإنسان تساوي شيئية الشيء، فهل اللاهوت هو العدو والخطر الأكبر الذي كان ينبغي كسر قيوده لأنه كان يعمل على عدم إعمال الفكر؟ أم أن العقل هو العدو الأكثر عنادا للفكر؟ هذا ما قاله هيدغر سنة

409 Ibid., p. 501

1943، فيبدو أن هذا العقل التكنو-علمي ككائن مسلوب irraison سلب العقل الذي كان يدّعي أنه يملك كامل المعرفة omnipotent امتيازاته.

يقول هيدغر: "لقد اتخذنا من الفكر آلة للمعرفة، ولم ننصت فيه أبدا للشعر".[410] ولكن، ما هو الشعر الأصلي الذي يسبق كل شعر؟ الشعر الأصلي هو ما تمليه حقيقة الكينونة، فالقول الشاعري لا يمكن تقليصه إلى تصورات ومفاهيم واحدة. الشعر مثله مثل الفكر، يتقدم هو أيضا من خلال التعدد الأصلي للمعنى والذي يعد شيئا آخر غير التراكمات البسيطة، ومثل تكدسات المعنى، التي وجدت صدفة من تاريخ الكلمة. هذا التوازن المتردد للقول، يظهر لعبة عميقة للنفوس البليدة وقليلة الذكاء، تلك النفوس المحدودة، حيث يكون الشاعر على علم بأن هذه الكلمات في تقلبات المعنى تُولد كأزهار في الحديقة البرية للغة، حيث يكون تقدم الشعر خاصا، ومن أجل العناية بهذه الأزهار وللحماية الخاصة التي يمنحها إياها كل واحدة في تطابق وإنسجام مع الأخرى، وفقا لخصوصية لا يمكن القبض عليها.

لقد تقارب الفكر والشعر أكثر من مرة، ولكن ربما كان تقاربهما بطريقة سطحية وخارجية بحتة، لأن الاثنين ينتميان إلى نفس المكان الثقافي، الذي يستقبل العلم بطريقة كلاسيكية. فالإثنان يرتفعان عن النوع الذي يقال عنه أدبي، حيث يمر العلم والتقنية وكأنهما الوحيدان اللذان يقدمان نشاطا مفيدا وفعالا للإنسان.[411]

منذ زمن بعيد، لم نسمع عن فيلسوف يتحدث في تأملاته عن الكينونة واللاكينونة، أو عن الفينومين والنومين، أو عن التفكير والأنا. بل يتحدث الفيلسوف عن الفهم أو ببساطة عن التفكير الذي كان أحيانا وسيلة وأحيانا أخرى غاية. فالفكر أحيانا يكون مشكلة وأحيانا أخرى يكون جوابا. أن تكون أو أن تصنع من نفسك شاعرا كبيرا، عليك في أغلب الأحيان، أن تتقن فن الكنايات والاستعارات والصور الجميلة والرائعة، فالطبيعة تناديهم ليعبروا عنها بفكر عميق.

410 Ibid., p. 502
411 Ibid., p. 503

نعود مرة أخرى إلى هيدغر فهو بدوره مفكر شاعر، إذ كتب هيدغر شعرا ومن بين قصائده قصيدة **الليل** التي قام ميشال هار Michel Haar بترجمتها إلى الفرنسية وهناك مجموعة من القصائد مثل قصيدة **الكلمة** و **الرمز** و **اللحظة** و **الصدفة** و **الكينونة** و **التفكير** و **القفزة**. إنها قصائد تجمع بين الفلسفة والشعر، وهو فكر رفيع المستوى. لم ينظر هيدغر في المرتبة الأولى إلى هذا النوع من المقاربة بين الفلسفة والشعر. تساءل قائلا: هل يتكلم الفكرشعرا ؟ وهل الشعر في ماهيته موجود في نظام الفكر؟ إنها معضلة، وربما نكون عاجزين عن الخروج منها. وربما كان عجزنا هذا راجع إلى إنتماء كل منهما إلى الآخر. بمعنى أن تلاقيهما قادم من بعيد، أي أن مصدر تلاقيهما قادم من بعيد. ربما نفهم جيدا إذا ما كان الفكر والشعر نمطين مختلفين للقول، فهما يجتمعان في نظام واحد لإملاء اللغة. فالفكر والشعر خطان متوازيان يلتقيان فيما لانهاية، بدل أن يكونا خطين أبدا لن ينفصلا في إتجاههما نحو مجاورة الكينونة. ولكن أين يقيم الفكر وأين يقيم الشعر؟ من يقيم في الأعلى، الفكر أم الشعر؟ أن يتجاور الفكر والشعر، وأن يجد كل منهما مكانه ومأواه في جوار الآخر، فهذا يعني وجود إمكانية حوار بين العقل والعاطفة، ووجود إمكانية حوار بين اللوغوس والميثوس، ولكن، هل يكفي أن يتحاور الاثنان ليجد الحوار لنفسه مكانا؟

لا يوجد تفكير دون شاعرية مسبقة sans la sensibilité y aura pas d’intelligence فالمكان الذي يقيم فيه العقل، هو نفسه المكان الذي تقيم فيه الحالات العاطفية. في هذا القول وجوب المصالحة بين العقل في وظيفته الحسابية مع الشعر كصدى للمقدس. إلا أن إمكانية وجود حوار تفترض وجودا مسبقا لأمرين إثنين، وهما وجود كرامة لكل من الفكر والشعر، وهي كرامة ينبغي المحافظة عليها، وثانيا، الاعتراف بالخطإ، فهل يعترف العقل بحكمه المجحف في حق الحالات العاطفية؟ الوجدان يفعل ذلك دون خجل، فلماذا هذا الكبرياء العقلي المتعالي واللامبرر. ونذكر في هذا المقام النظرية الرومانسية، التي قامت على أساس فلسفة العاطفة في القرن 18، وهي التي تقول بأن الإدراك يعود إلى الشعور والعاطفة، أي أن القلب هو مركز الإدراك لا العقل، لأن مصدر الإلهام في القصيدة أو في الشعر هو القلب. هذا الأخير، هو من يستقبل نداءات الكينونة. وهكذا ينتقل الإدراك من العالم الخارجي الظاهر إلى إدراك العالم اللامرئي والمتمثل في باطن الكينونة الإنسانية ولهذا

يقول هيدغر أن إقامة الإنسان على الأرض هي إقامة شاعرية. وفي هذا المقام يمكننا العودة إلى باسكال Pascal وهو القائل بأن القلب له أسبابه التي لا يدركها العقل، أي أن فكرة "الله" هي فكرة موجودة في سجل الشعور. الله هو شعور يُدرك بالقلب لا بالعقل، وإن خلاص الإنسان هو خلاص خاص متعلق بنعمة الله وعطائه، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن باسكال يشك في قدرات العقل للولوج إلى عالم الكينونة في حقيقتها المضاءة.

يؤكد هيدغر على إقامة الإنسان شعريا على الأرض ويقصد بها مجاورة الشاعر للآلهة. والمجاورة هي أن نجاور ماهية الأشياء، وليس ما يظهر منها فحسب. كلمة ماهية هي كلمة غامضة لأنها قد تعني المادة وقد تعني الشكل وقد تأتي في معنى الإثنين معا. ولكن المادة لا توجد ولا تستمر من ذاتها. يقول لنا أرسطو أن الماهية باعتبارها حضورا هي ما يُعطى لنا في الإدراك الحيني. هذه هي طبيعة الماهية عند أرسطو. ولكن التحليل الفلسفي هو الذي يوضح لنا في الماهية الحسية وجود ثنائية المادة والشكل. كما أن شكل الشيء هو ما يمكن تسجيله في اللوغوس.[412] وهذا ما يفتح باب التساؤل عن نوع اللوغوس الذي يمكنه أن يعبر عن الشيء الذي ليس له شكلا محددا.

يرى هيدغر أن في تقابل السماء والأرض، والإنسان الفاني والآلهة، تكون الحركة والنشاط والفعل. وهذا التفاعل بين المتقابلات يتم من خلاله فعل الإحضار والإظهار. والإقامة شعريا على الأرض، تعني في نظر هيدغر أن يصمد الإنسان في حضرة الآلهة، والشعر هو التسمية المؤسسة للآلهة ولماهية الإنسان. أن يكون الإنسان شاعريا يعني أنه موضوع على قاعدة وُهبت له، فالشعر عطاء مُنِح للإنسان.[413] الشعر تأسيس يسند التاريخ، فهو تأسيس بالكلام وفي الكلام.

بدأ هوميروس قصيدة الإلياذة بالكلمات التالية: الآلهة تغني غضب أخيل، والأوديسا أيضا تبدأ بنفس الكلمات: آلهة الشعر تغني تاريخ رجل الألف حيلة وحيلة، ويقصد به أوليسيس Ulysse لأنه كان شديد المكر والذكاء. ولكن ما معنى الألهة في اللغة اليونانية؟

412 Pierre Aubenque, *Le problème de l'Être chez Aristote,* p. 460 « La forme d'une chose c'est ce que peut en être circonscrit dans une définition (logos). »

413 مارتن هيدغر، **ما الفلسفة؟** ص. 151..

في اللغة اليونانية، آلهة الشعر تقابلها كلمة موزايي، μουσαι ويقصد بها القول الإيقاعي أو الملحون. ونجد نفس الجذر في الكلمة اليونانية موسيكي، μουσικη وتعني الموسيقى. ويبدو أن هذا الجذر بدوره منحدر من جذر الإسم منيموزين، μνημοσιν آلهة الذاكرة، وهي الآلهة التي أشار إليها هيزيود، في قصيدته "ميلاد الآلهة"، وإعتبرها أما لِرَبَّات الفنون.

اللغة الشعرية هي أعظم عطاء منح للإنسان. إنها شهادة ميلاده، التي تشهد على ماهية كينونته الخاصة، فهو الكائن الوحيد الذي يحمل الإيقاع (le rythme). ولهذا، كان الإنسان الذي يملك القول الشعري راعيا وحافظا للكينونة، وليس سيدا عليها. إنه يشهد على ما هو كائن، وعن طريق شهادته هذه يقوم بعملية الكشف والإفشاء، وما ينبغي أن يشهد به هو إنتماؤه إلى هذه الأرض وإلى الكينونة في كليتها. فشهادته هذه هي التي تسمى بالتاريخ. وحتى يكون التاريخ ممكنا، لا بد من لغة، فإن شعبا لا يملك لغة هو شعب لا تاريخ له. فقط بوجود اللغة يوجد العالم، وحيث يوجد عالم يوجد تاريخ. فاللغة نعمة وهي عطاء الكينونة للإنسان، لأنها تضمن إمكانية وجود العالم، ووجود تاريخه. وهكذا، فالإنسان كائن تاريخاني (كائن -في- العالم). كائن يملك لغة تشهد على إنتمائه إلى هذا العالم في كليته وفي صيرورته.

الشعر إلهي، وله قدرة نبوية، يحمل الشعر تجربة المكان والزمان. هذا البحث عن الزمان والمكان هو البحث عن التشويق بين الوجداني والعقلي. هذا ما أكده Valéry عندما قال، سنة 1939، في خطابه **الشعر والفكر المجرد**: "ستجدون في كل بيت المعنى الذي ينتج في ذواتكم، بعيدا عن تحطيم الشكل الموسيقي، الذي خاطبكم به".[414] إنه يعيد طلب هذا الشكل وهذه الحركة المقوسة والحية Pendulaire بين الصوت والمعنى. وهي حركة نزلت من الصوت، متجهة نحو المعنى، ساعية إلى الصعود نحو نقطة البداية الحسية (Départ sensible) وكأن المعنى نفسه هو الذي يقترح نفسه على العقل، فلا يجد له منفذا أو جوابا آخر، أو عبارة أخرى غير هذه الموسيقى. وهي نفسها التي أعطت للصوت معنى.

يُحيي التشويق بين المعنى والموسيقى فضاء أو بعدا ينشر الواحدة والأخرى في حقيقتها الماهوية. فالمعنى الشعري يجد مكانه في الزمان والمكان. يتوسط الشعر بين الصوت

414 *Heidegger pas à pas*, p. 174

والمعنى، حيث تقال الكلمة ككلمة، والقول كقول. يُفهم الشعر كماهية للقول، فتقوم الكلمة الشعرية بإخراج الإنسان من البقاء إلى الكينونة، إذ يمكن له أن يحيا وأن يبقى في كينونته، ولكنها كينونته التي لم تكتمل بعد. الإنسان هو أساس عميق، لا يمكن إختزاله في كائن حي بسيط، إنه عمق يحتاج إلى طاقة وإلى رعاية وحماية. أطروحة هيدغر تقول إن الإنسان لا يكون إلا في "اللغة الشعرية"، فالقول الشعري يحوي قوة نداء تدفع بالإنسان إلى الخروج من شرط وجوده الأول.

قَدَّسَ هيدغر اللغة الشعرية إلى درجة أنه جعل منها العنصر ذاته الذي لا يمكن لأي تجربة إنسانية أن تكون من دونه. فالشعر يفتح لنا بعد المقدس. ولأجل هذا أعاد هيدغر طرح سؤال الكينونة، معتمدا على تأمله الخاص باللغة الشعرية. ففي الشعر فقط تترك الكلمة صداها، وتحثنا على سماعها. إنها الأرضية الحقيقية لكينونة الإنسان. ولكنها الأرضية التي يؤسسها الوجود الإنساني، فهي ليست تلك الأرضية الجاهزة المعطاة له، فما يجبره على تأسيس هذه الأرضية، هي لغته أي فكره. الشعر هو قَدَرُهُ الذي يناديه ويناشده علم القول logologie وهو شبيه بالثيولوجيا، ولكن من دون وحي، إنه إتجاه نحو القول الشعري، إنه سائر في طريق لا ضامن له إلا الطريق نفسه. الشاعر هو ذلك العبقري اللغوي الذي يمنحنا في عنصر القول الذي ينظمه، ذلك البعد الذي فيه يتكون الزمان والمكان الخاص بالتجارب الإنسانية. هذا البعد هو ما يسميه هيدغر بالسكن أو الإقامة على الأرض، فأن نسكن الأرض يعني أن نكون وأن ننتمي إلى وطن. ولهذا، كان الشعر بالنسبة إلى هيدغر، القلب النابض. إنه القلب السري للغة، وهو السكن الغامض الذي يمكن للأشياء أن تنفتح من خلاله، فالإقامة في الشعر هي النظر إلى أثر المقدس، الذي تحتفظ به الكلمة الشعرية وترعاه في ذاتها كثروة عالمية يمكن الوصول إليها في كل زمان ومكان. ولهذا، يسبق القول وينادي من يثق به ولهذا يقول هيدغر أن اللوغوس هو في الأصل إنصات.

الشعر هو الوحيد القادر على قلب الموازين في عصر المعلوماتية الجاهزة والطاغية. يقول جورج ستينر George Steinner في كتابه « les logocrates » معلقا على

هيدغر: "ليس الإنسان هو من يحكم القول، ولكنه خادمه".[415] فالإنسان لا يمكنه الوصول إلى معنى مكتمل لكينونته، إلا باعترافه بالصفة المقدسة للغة، وبسلطة ندائها الأبدي. إن الشعر هو الوحيد القادر على تغيير علاقات الوضوح، ويبين أن سيطرة الإشارة لها مغزى، فالقول الشعري يستحضر الحضور في كليته. هذا القول يتلاشى كوسيلة للتحكم الإنساني، ليعبرمن خلال هبة ريح أو نفس عميق يتجاوز الإنسان. القول الشعري يحمل سلطة المقدس، فتمسك هذه الأخيرة، أولا بظاهرة الحماس الخالص للظهور. ومن هنا، إلى تأسيسه اللامشروط في المكان الخاص باللغة. فمكان اللغة هو الذي يعود إليه سؤال الأصل نفسه، لحضور الإنسان في العالم. إنه الكينونة ذاتها، التي تنكشف في القول الشعري. الشعر، مثله مثل لوحة فنية، يعطينا رؤية وظيفتها الوحيدة والفعالة هي أن تسمح للمستمع (المصغي) بتوقع الحصول على الكائن في كليته. فالشعر يكشف لنا العالم كمجال لإمكانية الأشكال والتغيرات التي تحدث عن طريق التحول الذي يحدث بطرق متعددة، تبعا لنداء الكينونة. ويكشف الشعر في الوقت نفسه مجموع الإمكانات الإنسانية في تمسكها في العالم. ليس الشعر إنعكاسا للعالم، فهو يتميز بخاصية تتجاوز الواقع. بل هو أكثر من ذلك، هو إنفتاح على المجهول القادم. الشعر هو انتقال من واقع عيني إلى واقع ممكن. يملك الإنسان القول، ولكن هل يعني هذا أن الإنسان لا يفكر؟ الإنسان لا ينتج بل يستقبل فكرا؟ Denken ist danken. الفكر هو تجربة الاعتراف والعرفان، فحضور الإنسان ليس حضورا فكريا، إلا لأن فكره هو فكر متكلم، والفكر غير ملزم بالكلام والإنصات فقط، لأنه إجابة لنداء موجه إليه. الإنسان هو الوعاء الذي تخزن فيه الكينونة فكرها، ليخرج إلى النور فيما بعد عن طريق "القول"، ولكن ليس أي قول، إنه "القول الشعري".

الإنسان هو الخط الفاصل بين الكينونة واللغة، فإن كان منصتا جيدا، فإنه سيستقبل إشارات الكينونة، ليصوغها فيما بعد في قالب شعري. فاللغة العادية لا تفكر، ولا يمكنها تسمية الكينونة. ينقل الشاعر رسالة من السماء إلى أبناء الأرض. فالشعر نظر وقول وإنصات، يخرج عن نطاق المفهوم السائد. إنه قفزة خارج النظام، ليكون بذلك المسلك الذي

415 Pierre Dulau, *Heidegger pas à pas*, Ellipses, p. 150 « L'homme n'est pas le maitre de la parole, mais son serviteur »

يكشف الفكر من خلاله المجهول القادم. الشاعر منصت ومتلق جيد لنداء الحقيقة كانكشاف، وفي حواره مع الكينونة يحدث الانفتاح.

يقول هيدغر أن اللغة العادية مسؤولة عن نسيان الكينونة، فبسببها هُمِّش الفن وتم تجاهله فلم يعد له مكان في المجتمع، ونتج عن هذا النسيان الإرادي أو اللاإرادي للفن نسيان الكينونة. ولكن، لماذا الفن بالتحديد؟ لأن الفن لا حدود له، الفن تحرر. أما اللغة العادية أو الفكر العادي، فلا يمكنه الخروج عن الحدود التي سُطِّرت له من قبل المناطقة والنحويين. فقط الشعر يملك القدرة والجرأة على الوقوف أمام باب الكينونة، منتظرا بلا كلل أو ملل. ففي انتظارها متعة، حيث يقف الشاعر منتصبا أمام ما سيأتي، يقف على عتبة الباطن لا الظاهر، وعلى عتبة المجهول المنتظر، في إنتظار المستقبل. فما سيأتي يدخل باب الممكن والممكن هو نمط من أنماط الكينونة. كتجربة الموت مثلا، فالموت هو الإمكانية القصوى للا إمكانية الدازين، فكل إنسان محكوم بتجربة الموت، ولكنه لا يعرف متى وأين يعيشها. الدازين هو في علاقة وإشتراك مع ما يحيط به، ومع ما هو داخل الحجب بإستثناء الموت، فهو الخاصية الوحيدة التي يملكها، وهو جزء أساسي من كينونته، بل أكثر من ذلك، الموت جوهره، فالموت هو أكثر ما يميز الكينونة التي هي في جوهرها قلق دائم.

الكلمة الشعرية هي أساس الكينونة، لأن للقول الشعري قدرة على النفاذ إلى سر الكينونة. إذ يُلَخص لنا الشاعر بقوله الكينونة في بضع كلمات. الشاعر هو المختار الموحى إليه من طرف آلهات الشعر les muses. إنه ضيف مقيم في جوارها، وقريب منها. والآلهة هنا لا تحمل المعنى الذي تعودنا عليه، وإنما هي الحضور الدائم للاختباء. فالشاعر يميل ويرغب دائما في الإقتراب من الجانب المظلم للكينونة، ولا يهمه قراءة السواد المكتوب على صفحاتها، بقدر ما يهمه ذلك البياض المشع المنير بين السطور.

ج- **كل فن هو في الأصل شعر**

لماذا الفن؟ ولماذا الشعر بالتحديد؟ وما هي تحديدات كل من الفن والشعر؟

أكّد هيدغر في كتابه **أصل العمل الفنّي** أنّ الشعر هو جوهر الفن. فالتصميم هو الذّي ينتج عنه شيء جديد بصفته حقيقة. بمعنى أن يقيم لنفسه موضعا منفتحا. هذا ما يشكّل جوهر حدوث الحقيقة التي تكمن في العمل الفني. ولكن جوهر الشعر هو اللغة. هذا هو المعنى الضيق الذي تعودنا عليه، وهو ما يظهر الاختلاف بين الفن الشعري والفنون الأخرى، كالنحت والبناء والموسيقى وغيرها من الفنون. كما أنّ تصميم العمل الشعري في القصيدة الشعرية مختلف عن أيّ طريقة تصميم آخر، إنّه مرتبط بتمهيد مسبق لا يمكن أن يصمّم مجددا من تلقاء نفسه.

التصميم في الشعر أقل تصميما من الأشكال الثانوية لفن البناء والنحت ومن الحجر واللون والنغم. تتحكم اللغة في الشعر أثناء طور التصميم. فالشعر هو الخلق الجديد من التصميم الأوّل. وعمل اللغة هو شعر الكينونة الأكثر أصالة. الفكر الذّي يفكّر في الفنّ كله باعتباره شعرا وتكشفا للكينونة لم تُرسم معالمه بعد. فلغة العمل الفنّي لا تزال هي نفسها في طريقها إلى اللغة.[416]

ما هو أصل العمل الفني؟ يقصد بالأصل من أين وبماذا يكون هذا الشيء وما هو وكيف هو هذا الذّي يكون عليه الشيء. السؤال عن الأصل هو سؤال عن مرجع جوهره. والفنّان هو أصل العمل الفني والعمل الفنّي هو أصل الفنّان. لا وجود لأحدهما دون الآخر ولكن في الوقت نفسه لا يحمل أحدهما الآخر. وحدة الإثنان هي دائما في ذاتهما. وهما في علاقتهما المتبادلة موجودان عن طريق ثالث وهو الأوّل الذّي اتّخذ منه الفنّان والعمل الفني إسميهما وهو "طريق الفن". ولكن هل يمكن أن يكون الفن هو الأصل على الإطلاق؟ أين وكيف يوجد الفن؟ الفن يحيا في العمل الفنّي ولكن ما هو الفن؟

إن الأعمال الفنية معروفة، وهي كل ما نجده من رسوم على جدران الكنائس ولوحات في المعارض أو في السّاحات العّامة. الأعمال الفنية هي على العموم لوحات فنية أو أعمال معمارية موجودة بصورة طبيعية تماما كوجود الأشياء.[417] ونضرب مثال لوحة فان غوغ التي تُجَسد حذاء الفلاح الذي يلخص لنا عالم الفلاحة، وهو عالمه. فالفلاح لا يكون إلا في

416 M. H, *L'origine de l'œuvre d'art,* p. 55
417 Ibid., p. 57

عالمه وهو عالم الأرض. وكذلك لوحة **يد الإله** للرسام والشاعر والنحات والمهندس المعماري النرويجي مايكل أنجيلو سنة 1511، حيث تحمل هذه اللوحة الموجودة على جدران كنيسة سيكستين sixtine في الفاتيكان معاني عميقة جدا، هناك مجاورة بين الإله والإنسان، ورغم القرب الموجود بينهما إلا أن يد الإنسان لا يمكنها الإمساك بالإله مطلقا. العمل الفني هو تجربة فنية، إلا أن هذه التجربة الفنية لا يمكنها أن تغمض عينها أو تتغاضى على شيئية العمل الفنّي، فكينونة الدازين هي تجربة حياة وعالم. تتميز كينونة الدازين-في-العالم بوجود تجربة أصيلة. لكل إنسان تجربة حياتية أصيلة لا يشاركه فيها أحد، إنها تجربته الخاصة. فالحجر موجود في العمل المعماري والخشب موجود في القطعة المنحوتة واللون موجود في اللوحة الفنية والصوت موجود في العمل الفني اللغوي واللحن موجود في الموسيقى. ولكن ما هو هذا الطابع الشيئي في العمل الفني؟

العمل الفني هو شيء مصنوع ولكنه يقول شيئا آخر غير ذلك الشيء المجرد في حد ذاته. يوحي العمل الفني بشيء آخر، إنّه المجاز. العمل الفني هو رمز المجاز والرمز يقدّم إطار التصور الذّي يتحرّك في مجال رؤيته ولكن ما هو الشيء؟هناك ثلاث تفسيرات:

إنّ الأشياء الإستهلاكية والأشياء الطبيعية هي التي تسمى عادة بالأشياء.

1- الشيء هو المحسوس، أيسفيتون، αισφητον الذي يمكن الشعور به عن طريق حاسّة اللّذة.

2- الشيء المجرد (سمات الشيء)

3- نواة الأشياء το υποωχειμενον بالنسبة لليونانيين، فالنواة هي السبب والموجود دوما. أمّا السمات تدعى باليونانية τα συμβεβηχοτα وهو ما يلازم صفات الشيء.

إنّ تجربة كينونة الكائن بالنسبة لليونانيين هي تجربة الحضور ουσια ولكن الترجمة من اليونانية إلى اللاتينية خلّفت عواقب، حيث أخذ الفكر الروماني الكلمات اليونانية دون تجربتها الأصيلة. هذه الترجمة كانت سببا في غياب الأرضية الفكرية الأوروبية. ولكن يحيلنا مفهوم الشيء إلى الإجابة عن شيئية العمل الفنّي. الشيء في العمل هو المادة والمادة هي أساس

تشكيل الشيء ومجاله. ولكن فقط عندما نسمّي الأشياء الحقيقية المجرّدة ينكشف لنا الوضع، حيث يتم تجريد الأشياء من صفة المنفعة، فالصناعة الفنية هي "المجرّد". والشيء المجرد هو نوع من الأداة أو أداة جُرِّدت من وجودها الأداتي. ولكن هل شيئية الشيء ستظهر عن طريق إنسحاب الأداتيات جميعها في أي وقت كان؟

يبدو أنه من السهل ترك الكائن يكون فقط على ما هو عليه؟ ولكن ترك الكائن على ما هو عليه لا نعني بها اللامبالاة، بل ينبغي العودة إلى الكائن في ذاته أي إلى الكائن كما هو ونفكر في كينونته كما هي. ولكن في الوقت نفسه نتركه يطمئن في جوهره.عبر هذه الأداة ونضرب مثال (حذاء الفلاّح) حيث يسير الخوف دون شكوى من أجل ضمان الخبز والفرحة الصامتة بتجاوز الحاجة مرّة أخرى. هذه الأداة تنتمي إلى الأرض وهي محروسة في عالم الفلاحة، ومن هذا الانتماء المحروس تنهض الأداة من أجل الاطمئنان في ذاتها.[418]

تقوم أداتية الأداة في منفعتها، حيث تستجيب الفلاحة لنداء الأرض الصامت. وبحكم هذه الأداة تأكّدت من عالمها، فالعالم والأرض بالنسبة إليها وإلى الذين يكونون معها على طريقتها الخاصّة لا توجد هنا إلّا هكذا فقط: في الأداة.

لقد أطلعنا في العمل الفني على أداتية الأداة بمعنى حقيقة أداة الحذاء، وعملية كشف الكائن عند اليونان يطلق عليها أليثيا αληθεια. فنحن نقول الحقيقة ولكّن نفكّر أقلّ ممّا يجب عند ذكر هذه الكلمة. ففي العمل الفنّي هناك إنفتاح، حيث تحدث الحقيقة في العمل وتضع الحقيقة نفسها أو تقيم في العمل الفنّي. والوضع يعني التوقف، والتوقف هو إقامة.

الشعر نغم ولحن. الشعر هو إنسجام العالم في الإنفتاح. الشعر هو الأصل. وصانع هذا الإنسجام لا يمكن أن يكون إلاّ شاعرا. فالشجرة شعر والبحر شعر والسماء شعر والأرض أيضا شعر، والمفكر الذي يمكنه أن يلتقط إشارات الكينونة، لا بدّ أن يكون شاعريا، أي فنّانا. والشاعر بالنسبة لهيدغر لا يمكنه إلاّ أن يكون مفكّرا عظيما لأنّه يلتقط الإشارات ويعيش تجربة "الإنسجام" واللحن الشعري في العمل الفنّي. يحتاج العمل الفني إلى صانع العمل والمادة التي يصنع منها العمل و إلى العلاقة مع طريق الفنّ. هذه العلاقة هي التي تفتح لنا

418 *L'origine de l'œuvre d'art,* p. 85

عالما جديدا منسجما، فالنظام والإنسجام في العالم يترك إرتدادا وصدى يوحي بالأثر الذّي تعكسه لغة كل عمل فني، فنظام القول وإنسجامه يحفّزان ويحدثان صدى. إنه صدى الكينونة. والقول هو صوت وللصوت رنين. ولكن يختلف سماع هذا الرنين من أذن إلى أخرى، فيكون السماع بقدرالإنتباه، والإنتباه هو فعل مقصود.[419]

كل عمل هو لغة. واللغة صوت ولكنه صوت له معنى. والمعنى هو مركز الفكر الهيدغري، حيث لا يتحدث هيدغر عن اللغة أو الكلام كأداة للتواصل، وإنّما يتحدّث عن ذلك النظام الذّي يحرّك الكلمة الشعرية، فتعطي نغما وصدى لا يلتقط إشاراته إلا من كان شاعرا مفكّرا. فيعيد صياغته فيما بعد في لحن منسجم متناغم. فاللغة مأوى الكينونة، وفيها نجد صدى التناغم المقام في العمل الفني كعمل، فإن كانت الشجرة لحن والوردة نغم ومياه الأنهار موسيقى فإنها كلها كلمات شعرية لها صداها في أذن وعين الشاعر. هل كان اختيار هيدغر للغة الشعرية موجّه إلى من يملك قدرة عالية للإمساك بالإشارات في العمل الفنّي؟

إن الكلمة الشعرية حرّة طليقة تقيم في الإنفتاح على عكس القول الثيولوجي المقيّد بتعاليم دغمائية. يقيم القول الشعري عالما منفتحا تكون الإقامة فيه ممكنة. أما القول الثيولوجي فعالمه منغلق على نفسه، مما يجعل الإقامة في هذا العالم مستحيلة. فالعالم إنفتاح والإنفتاح بحاجة إلى زمان، والزمان يلزمه حدث ليكتمل فيه العمل الفني ويدخله إلى التاريخ.

وحده الشاعرمن يستطيع التقاط لغة المقدّس. يقول هرقليطس في المقطع 53 يوجد النور في الشعر. الإله موجود في العزة والأبهة وفي هذا النور يلمع ويستنير وهذا ما نسمّيه بالعالم. العالم هو عمل الإله الفنّي الذّي نظّمه في قصيدة شعرية فجاء لحنها منسجما جامعا في وحدة واحدة موحدة لكل أجزائه. ولكن ما هو العالم؟ العالم ليس جمع الأشياء الموجودة المعدودة وغير المعدودة المعروفة وغير المعروفة. يقيم العالم لنفسه عالما (weltweltet) وهو موجود أكثر مما يمكن سماعه أو لمسه. العالم ليس شيئا ولن يكون العالم هو الدازين. فالحجر لا عالم له والنبات والحيوان أيضا لا عالم لهما. هما ينتميان إلى الزحمة المحتجبة في المحيط وهو نفسه محيط الدازين أين يتم لقاؤة وعلاقته بالأشياء. أمّا الفلاحة على العكس

419 Ibid., p. 87

فلها عالم لأنّها تقيم في منفتح الكينونة، فإقامة عالم، هي صفة جوهرية في كينونة العمل الفني. فالعمل الفني ذو طبيعة إنتاجية، أي أنّه ينتج عملا وبهذا فهو ينتمي إلى كينونة العمل. من أين وإلى أين نتجه؟

الأرض هي ظهور المنغلق الدائم والمخفّي. العالم والأرض مختلفان من حيث الجوهر ولكنهما لا ينفصلان. يقام العالم على الأرض والأرض بارزة عن طريق العالم. يطمح العالم في سكونه فوق الأرض إلى العلو عليها، وهو لا يحتمل المنغلق بصفته إنفتاحا. ولكن الأرض بصفتها المختفية تميل إلى إحتواء العالم والإحتفاظ به داخلها.[420] والإنسان هو الوحيد الذي يتوسط السماء والأرض. وهذا التضّاد بين الأرض والعالم هو النزاع القائم على إنتزاع اللاحجب من الحجب. ولكن إلى أيّ مدى تحدث الحقيقة في قيام النزاع بينهما؟ يقول أفلاطون:

"ليس بفضل الفن ينظم الشعراء أشعراهم، ولكن بفضل قوة إلهية".[421]

فقط في القول الشعري تظهر خصوصية العمل الفني، حيث تستمر الكلمة قريبة من جوهرها. فالكلمة الشعرية لا تعتبر إنفتاحا للكائن فقط، بل هي تأسيس للكينونة، وليست إنبثاق العالم فقط، ولكنها إقامته على الأرض. ولكن ما هي الأرض؟ وماذا يعني هيدغر بقوله: "القيام بإتيان الأرض" ؟ الأرض هي ما ينغلق في مقابل العالم. يعني الإتيان بها إلى الإنفتاح، فالشعر كقول، هو الذي ينقذ الأرض في إنفتاحها (في انفتاح العالم)، وذلك بشهادة الليل على وضوح النهار الشديد. إن الشعر هو مكان اللعب، حيث يكون الإنفتاح والإنغلاق، فيُكَمل الشعر وحدة العالم والأرض. والوحدة ليست شيئا وإنما عملا بمعنى "الصراع" قبل كل شيء، لأن العالم في حالة يريد أن يتحكم ويسيطر على الأرض. يجب ترك العالم ليكون عالما، والأرض لتكون أرضا، lâcher prise من خلال العمل الفني. لأن العمل الفني هو الذي تكتمل فيه وحدتهما، ففي العمل الفني وحده يتماهى فيها العالم مع الأرض، وتتدفق الأرض surgit عن طريق العالم. في الشعر وفي الشعر وحده يجد كل من العالم والأرض راحتهما. الشعر هو الصراع الدائم الذي يجدان فيه راحتهما Maintenu leur repos

420 Ibid., p. 108
421 Platon, *œuvre complète*, Flammarion, Paris, p. 577

ويجب أن نعترف بشيء، وهو أن الاختلاف بين الكائن والكينونة يشبه إلى حد ما الإختلاف بين العالم والأرض، أو يتوافق معه. وهكذا يمكن المماثلة بين هذه العناصر، يعكس العالم الكائن وتعكس الأرض الكينونة، أو يمكن حصرها في الكينونة réductible à l'être وفي الحقيقة. الأرض هي مكان ثلاثي الأبعاد (طول وعرض وارتفاع)، والعالم (الزمان) مرتبط ارتباطا وثيقا بهذه الأبعاد الثلاثة. الأرض والعالم هما البعد المزدوج للكينونة في شقيها الظاهر والباطن أي في الإنبثاق والإنسحاب. يقول العالَم الكينونة كحضور أو كتكشف، وتقول الأرض الكينونة في وجهها الأكثر غموضا وسرية، أي كانسحاب وغياب، حيث يسبق الغياب كل دخول في الحضور.

من المؤكد أنه ليس من الخطإ أن نجعل العالم يميل إلى جانب الكائن، والأرض إلى الكينونة، ولكن، علينا فقط أن نفهم هذين الجانبين، كوجهين لعملة واحدة. إنهما وجها الكينونة، كل واحد منهما يعطي ويقدم من نفسه للكائن، والآخر يقوده لينسحب من ذاته. وهنا نصادف الغموض الذي يلف الكينونة. وهذا ما يسمى عادة بـالمطوية le pli. الشعر هو الإنفتاح في الامتلاك الذي يشترك فيه كل من الكائن والكينونة. يفتح الشعرعالما وفي الوقت نفسه يعيدإقامته فوق الأرض. الشعر هو الذي يأتي ويحافظ على الوحدة المهددة دائما من الكينونة والكائن. ومن جهة ثانية، يُظهر الشعر كل ظاهر (مرئي) في الضوء أو النور اللامرئي. فالشعر يأتي للظهور ويحافظ على كينونته.

هل يقف الشعر كحلم في مواجهة الواقع أم أن الواقع هو ما يقوله الشاعر، وما يفترض وجوده؟ العالم هو مرآة الشاعر. وهذا ما قالته بانثيا، في "أنبادوقليس" بدافع من رؤيتها الصافية لصديقة لها: "أن يكون المرء ذاته... هذه هي الحياة... " [422] ومع أن الشعر يبدو لعبا، ولكنه ليس كذلك، فاللعب يجمع الناس من حوله، أما الشعر فعلى العكس تماما، يتمركز فيه الإنسان حول أساس آنيته، بحيث يصل فيه إلى الهدوء، إنه ذلك الهدوء الذي تنشط فيه كل طاقاته وعلاقاته، إنه هدوء مستمر لا متناه.

422 المصدر نفسه، ص. 154

تتشكّل العناصر الأربعة وهي السماء والأرض والأموات والآلهة في علاقات متبادلة فيما بينها، وتسمى بالرباعية quadripartie. يتجاوب كل طرف من هذه الأطراف مع الطرف المقابل له. تماما مثل المزمار la flute في سنفونية موسيقية ،أين يكون التنوّع في الأصوات. والتّي تشكّل بدورها إنسجاما واحدا. هذا الانتشار السنفوني لهذا الإطار الرباعي والذي يسمّيه هيدغر باستعارات وتسميات كثيرة له صدى نيتشاوي ويعود إلى " المرآة أو اللعبة ". وفكرته الأساسية هي فقط الظهور المتبادل بينها، حيث يكون كل واحد من العناصر الأربعة بالنسبة للآخر وفي الوقت نفسه عطاء متبادلا. هذا هو لعب المرآة الذي يسمّيه هيدغر "العالم"، فلعبة العالم في نظر هيدغر رباعية الأبعاد.

العالم هو لعبة رباعية تتقابل فيها أوجه الأرض والسماء وكذلك المقدّس والأموات. فانتشار العالم ليس سوى الحضور في مقابل الغياب. والعالم في مفردات هيدغر الأخير هو "حركة هذه الوحدة" وهو نمط إكتمالها. هذه الحركة هي التّي تمثّل حريّة عودة زمن الطفل الذي يتغنّى به هيرقليطس "كلعبة". العالم طفل يلهو. العالم هو اللعبة اللامتناهية للواحد في التعدّد وللتعدّد في الواحد. العالم هو إنتشار الكينونة في هذا المربّع. إنّها إقامة مفتوحة من طرف الشقّ أو المطوية un sejour ouvert par le pli. العالم لعبة وهو الشقّ الذّي ينفتح وينغلق متى أراد ذلك، يظهر ويتخفّى عندما يرغب هو في ذلك، إنّه شقّ يملك إمكانية مزدوجة، يمكنه أن ينفتح في توريد أبعاده الأربعة أو يتخفّى وينغلق في سرّ وحدته. وهكذا نلاحظ كيف إنتقل هيدغر من فكرة أنّ العالم هو الدازين، إلى فكرة العالم تكشّف ويحمل إمكانية مزدوجة بين الانفتاح والانغلاق. وفي الأخير تطوّرت الفكرة لتعطينا عالما شبيها ب"لعبة رباعية" كل شقّ فيها يحمل إمكانية مزدوجة بين متقابلين.

لقد أثبت استقراء التاريخ زلزلة التوازن واختلاله، جراء إقامة بنيان على عمود واحد. فكيف يستقيم بنيان إن لم يكن مُقاما على أعمدة وقاعدة صلبة؟ إن عمود النموذج الحداثي، القائم بدوره على عمود العقلانية لغاية نفعية، لم يكن لها منهج سوى منهج العقل. فالعقل وحده سيد الكون. هذا هو شعار الحداثة، إلا أن النموذج العقلي لا يستطيع اختراق جوهر الحقيقة في أقصى مداها. فالرؤية تتضح في مداها البعيد، إذا اشتركت فيها كل ملكات

الإنسان دون إستثناء. كما أن الفن يحفظ حقيقة تاريخ الشعوب، وكلما كان الفن منتعشا حافظ الشعب على حقيقته وما كان ليخرج عنها. كما يحفظ الفن بدوره التناغم والانسجام، ويحفظ الكائن-هنا في إقامته على الأرض، ويحفظ الأرض أيضا. فكم هي كثيرة مجموعة هذه العلاقات، التي يمكن للفن المحافظة عليها، فقط إذا أقمنا له مكانا بيننا. وربما هذا ما يحفزنا على العمل أكثر لتنمية الحقيقي والجميل، والحسن والجيد، ونقوي أيضا رؤيتنا لتكون رؤية أبعد من رؤية الموجود كحضور، فنخترق بذلك دائرة العدم في كل أبعادها. فالعدم لا يساوي لاشيء، فقد يكون اختباء، وقد يكون تظاهرا وقد يكون خداعا، ولهذا علينا أن نقيم علاقة حميمة مع الاختباء ليكشف لنا هذا المنسحب بعضا من غموضه. وأكررها مرة أخرى، إن العمل الفني يحفظ حقيقة تاريخ الشعوب. فحرمان شعب من الفن ينتج عنه شعب يعيش قطيعة مع الأصل، مما يولد لديه النسيان، أي نسيان الإنسان لعلاقته مع حقيقة الكينونة. ولهذا يقول **هولدرلين**:

يترك بصعوبة كبيرة المكان من كان يعيش بالقرب من الأصل.[423]

إن المقدس في نظر هيدغر هو نبرة الأساس وهو صدى الكينونة ككينونة في تجليها واختباءها، حيث تتجلى نبرة الأساس -التي تحكم علاقة الإنسان بالعالم- في أبعاد المقدس الحاضرة بقوة في الكلمة الشعرية وفي الفن عموما، فكل فن هو في أصله شعر.

423 Martin Heidegger, *L'origine de l'œuvre d'art,* p. 91

خاتمة البحث

من خلال بحثي هذا، وأعترف بأنها تجربة فريدة من نوعها، فكل فكرة قرأتها لهيدغر، كانت مخالفة لكل ما قرأته من سنين طويلة. ورغم صعوبة البحث، فأنا لم أندم على إختياري لهذا المفكر الشاعر، ولن أقول المفكر العظيم. فكل شاعر لا بد له أن يكون مفكرا عظيما، على حد قوله. مما زاد دهشتي وصعوبة فهمي لأفكار لم أعتدها. فكل جديد يتطلب منا وقفة جدية. كنت في البداية كثيرة التساؤل، حتى إنني كنت رافضة لكل فكرة أقرؤها لشدة غموضها وكدت أستسلم، حيث بدا لي فكره في البداية متناقضا، فعقلي كان مسجونا في قوالب الفكر المنطقي الأرسطي، وربما أكثر شيء لم أتقبله هو الازدواجية أو الثنائيات الضدية. كيف يقبل العقل الأرسطي، أن يكون الشيء نفسه وضده في آن واحد؟ كيف تكون الكينونة كينونة ولاكينونة (عدما) في الوقت نفسه؟كيف يكون الموت ظاهرة الحياة؟ كيف تكون الكينونة الإنسانية في الحقيقة واللاحقيقة؟ كيف تكون الحقيقة تكشفا ولا تكشفا (تحجبا)؟ كيف تكون الحقيقة في جوهرها صراعا، فينتزع اللاتحجب من التحجب إنتزاعا نزاعيا؟ وفي لحظة من لحظات الكشف وربما كانت إلهاما أو انفتاحا، وربما كانت رؤية شاملة تبدد فيها الظلام وفقد حدته الأولى، وبدأت تتوضح أفكاره شيئا فشيئا.

إن عودة هيدغر إلى فجر الفكر الأول، لم يكن يقصد بهذه العودة الرجوع إلى التراث، والبحث فيه عن حلول لأزمات العصر الراهن، عودته ليست عودة لتكرار الماضي، هذه العودة إلى الخلف هي قفزة إلى بداية أصلية، إعتراها خسوف في زمن لاحق، وما أراد هيدغر معرفته في هذا الماضي البعيد هو تحديد أسباب هذا الخسوف لإخراج سؤال الكينونة من جديد.

إن المهمة الأساسية، بل أكثر من أساسية، هي زرع عينين في كل متعلم، كما فعل هسرل مع تلميذه هيدغر. أما المهمة الثانية، فهي اللغة. فنحن ندرك جميعا أهمية اللغة، فمن يتكلم جيدا، يفهم ويفكر بطريقة جيدة. فالقول ينتج ما يقول، ولكنه يخفي أيضا أكثر مما يفصح إذا كان الفكر عظيما ومصحوبا بذوق حسي عال. وكلما إستمر الإنسحاب في الإختباء خلف الكلمات ومعانيها زادت رغبتنا في إكتشاف ما يتوارى خلف الحضور. يتحول اللوغوس إلى

نغم وإلى لحن موسيقي، ويتحول الإنسان من حيوان عاقل إلى حيوان يحمل إيقاع النغم الموسيقي، وحتى نتمكن من سماع هذا النغم وإتقان لعبة التخفي والتجلي في القول،، علينا الإنصات جيدا، وما أصعب اللغة التي لا نتكلمها ولا نقرؤها. وقد خبرت هذا في قراءتي لنصوص هيدغر بلغة أجهلها. إن اللغة الوحيدة التي يفهمها الجميع هي لغة الموسيقى، فعندما تبكي الموسيقى تبكي الطبيعة لبكائها، أما المهمة الأخرى هي تدريس اللغة الشعرية (الفن)، فأعظم خسارة هي خسارتنا نحن، إنها خسارة لم ننتبه لها، وكان سببها غياب الفن. خسارتنا تكمن في خسارة بناء شعب، يكون سندا وحاميا لهذه الأرض. خسرنا بناء، كان يمكن أن يكون صلبا شديدا مستمرا في ديمومة متوازنة ومنسجمة بين ما هو مادي ظاهر للعيان وبين ما يحتفظ بإختبائه ليحفظ كرامة الإنسان المقيم فيه. فما يفعله الفن من تنمية الذوق، وتوازن في الحالات العاطفية، هو الطريق الذي علينا أن نسلكه ليكون نظرها أعمق وأوضح من الرؤية العادية، فيفسح مجالا للعيش أوسع من المعتاد. إنه فضاء واسع وجميل، يتوجه ويمتد نحو السماء، فيعطي إمكانية للعيش فوق الأرض. إن تربية هذه الأعضاء الحسية وتنميتها وتهذيبها عن طريق الفن بكل أنواعه، ستساهم وبشكل كبير في عملية التوازن بين الفكر المعتمد على العقل الحسابي والفكر الشاعري. ومن لم يقرأ بالأمس أشعار الكلاسيكيين أمثال بودلير وفكتور هيغو ورومبو وموليير Baudelaire, Victor Hugo, Rimbaud, La fontaine, Molière كيف يتسنى له اليوم أن يمتلك ناصية الشعر المعاصر لكل من هولدرلين ونوفاليس وريلكي وغيرهم Hölderlin ,**Novalice**, Rilke. وهي أشعار تجمع بين الجمال والفكر، وبين الوضوح والغموض. أشعار طاغية في جمالها ومعانيها العميقة. فمن يعيش بأشعار كهذه يُعَمر طويلا. كما لا يمكن أن يكون هناك أبدا فكر عظيم دون وجدان رفيع المستوى.

بيبليوغرافيا

I- قائمة المصادر

1- باللغة العربية

مارتن هيدغر، **أصل العمل الفني**، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات الجمال، الطبعة الأولى 2003

_____، **الفلسفة والتيولوجيا في فكر مارتن هيدغر**، ترجمة فؤاد مليت، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون 2017

_____، **ماذا يعني التفكير؟** ترجمة نادية بونفقة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009-2008

_____، **ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هلدرلين وماهية الشعر**، ترجمة فؤاد كامل محمود رجب وراجعها على الأصل الألماني وقدم لها عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1974.

_____، **معضلة الحقيقة**، ترجمة، شهاب الدين اللعلالي، الدار التونسية للنشر،1986

2- باللغة الفرنسية

Martin Heidegger, *Kant et les problèmes de la métaphysique,* Gallimard,1953 (après 1965).

_____, *Essais et conférences,* Gallimard, 1958.

_____, *Qu'appelle-t-on penser,* trad. Aloys Becker et Gérard Granel, 1ère Edition 1959, 5ème édition « Quadrige » 2014.

_____, A*pproche à Hölderlin,* trad. Henry Corbin, Michel Deguy, François Fédier et Jean Launay, Gallimard, 1962 (pub 1951).

_____, *Chemins qui ne mènent nulle part,* Gallimard, 1962.

_____, *Le principe de la raison,* Gallimard 1962, l'original est paru en 1957.

_____, *Lettre sur l'humanisme,* Aubier Montaigne,1964.

_____, *Introduction à la métaphysique,* Gallimard, 1967.

_____, *Question I et II,* Gallimard, 1968.

_____, *Nietzsche I,* Trad. Pierre Klossowski, Gallimard. 1971

_____, *Héraclite,* Séminaire du semestre d'hiver 1966-1967, trad. Jean Launay et Patrick Lévy, Gallimard, 1973.

_____, *Question III et IV,* Gallimard, 1966 (Q III),1976 (Q IV).

_____, *Acheminement vers la parole*, trad. Jean Beaufret, Wolfgang Brockmeier, François Fédier, Gallimard, 1976.

_____, *Martin Heidegger interrogé par « Der Spiegel »*, trad. Jean Launay, Mercure de France, 1977.

_____, *Concepts fondamentaux,* Gallimard, 1985.

_____, *Être et Temps*, Gallimard, trad. François Vezin, 1986.

_____, *De l'essence de la liberté humaine, Introduction à la philosophie*, cours à Fribourg pendant le semestre d'été 1930, texte établi par Hurtmut tietjen traduit par Emmanuel Martineau, Gallimard, 1987.

_____, *Qu'est -ce -que la métaphysique* ? Nathan, 1998.

___ _____, *De l'essence de la vérité,* Gallimard, 2001.

_____, Martin Heidegger, *Grammaire et étymologie du mot « être »*, Edition du Seuil, 2005.

_____, *Remarques sur art- sculpture- espace*, Edité par Hermann Heidegger, traduit de l'allemand par Didier Frank, Edition Payot et Rivage, Paris, 2009.

_____, *Parménide*, Gallimard, 2011.

_____, *Ontologie, Herméneutique de la factivité,* Trad. Alain Boutot, Gallimard, 2012.

_____, *De l'origine de l'œuvre d'art,* trad. Clément Layet, Editions Payot et Rivage, 2014

_____,*Le commencement de la philosophie occidentale, Interprétation d'Anaximandre et de Parménide,* Gallimard, 2017, (pub 2012).

II- قائمة المراجع

1- باللغة العربية

جوازيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، ترجمة: أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، ط2، 2009.

فرانسواز داستور، **هيدغر والسؤال عن الزمن**، ترجمة، سامي أدهم، المطبوعات الجامعية، فرنسا، 1993.

مجاهد عبد المنعم مجاهد، **المغتربون**، هيدغر راعي الوجود، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1983

محمد محجوب، **هيدغر ومشكل الميتافيزيقا**، دار الجنوب للنشر، الطبعة الأولى 1995

عبد الهادي مفتاح، **الفلسفة والشعر**، تقديم أ. عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية الطبعة الأولى 2008

د. هدى الخولي، **هرقليدس**، الشذرات كاملة، النص اليوناني ترجمة وتعليق، النشر الجامعي 2017.

2- باللغة الفرنسية

Arion L. Kelkel, *La légende de l'Etre, Langage et poésie chez Heidegger*, Vrin, 1980.

Aristote, *Métaphysique (Meta ta phusika) livre Δ,* Trad. Bernard Sichère, Poket, 2017.

_____, *Physique et métaphysique,* Trad. Sonia et Maurice Dayan, Presses universitaires de France, Paris, 1966.

_____, *De l'âme,* Trad. Richard Bodéus, GF Flammarion, 1993.

_____, *Ethique à Nicomaque,* Trad. Richard Bodéus, GF Flammarion, 2004.

Arnest Renan, *La métaphysique et son avenir,* Texte présenté par Goulven le Brech, Edition du Sandre, Paris.

Bruno Bérard et al, *la métaphysique,* L'Harmattan, 2010.

Christophe Courtin*, lire Heidegger aujourd'hui,* Golias,2012.

Ch. Georgin, *Dictionnaire Grec- Français,* Paris,1959.

Claude Roman, *Au cœur de la raison, La phénoménologie,* Filio essais, Gallimard, 2010.

Danielle Moyse, *A la rencontre de Martin Heidegger,* Editions Oxus, 2013.

Denise Souche Dague*, Du logos chez Heidegger*, Gérome Million,1999.

Didier Frank, *Heidegger et le problème de l'espace,* Les éditions des Minuit, 1986.

Dominique Folscheid, *La philosophie allemande de Kant à Heidegger*, Puf, 1993.

Dominique Jinacaud et Jean François Mattéi, *Heidegger et la métaphysique à la limite*, Ovadia, 2010.

Emmanuel Kant, *la critique de la raison pure*, quadrige, 1993.

Emmanuel Levinas, *En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger,* Vrin, 1988.

François Chatelet, *La philosophie païenne,* Tome1, *Du VI siècle av*

J-C au III ap J-C Histoire de la philosophie, Hachette Pluriel, 2012

Françoise Dasrur*, Heidegger et la pensée à venir,* Editions, Vrin, 2011.

_____, *Heidegger- La question du logos,* Vrin, Paris, 2007

François Guery, *Heidegger rediscuté, nature, technique et philosophie*, Editions, Descartes et Cie, 1995.

Franck Robert, *Phénoménologie et Ontologie,* Merleau Ponty

Lecture de Husserl et Heidegger, L'harmattan, 2005.

Gaston Bachelard, *La poétique de l'espace,* Paris, 1961.
Ch. Georgin, Dictionnaire Grec Français, Hatier, 1959.

George Steiner, *Martin Heidegger*, Edition, Champs Flammarion,1978.

_____, *Martin Heidegger*, trad. Denys de Caprona, Albin Michel, 1981.

_____, *Œuvre,* Gallimard, 2013.

_____, *Poésie de la pensée*, Trad. Pierre- Emmanuel Dauzat, Gallimard, 2011.

Gianni Vattimo, *Introduction à Heidegger*, trad. Jacques Rolland, Les Editions du Cerf, 1985.

H-G- Gadamer, *Les chemins de Heidegger*, Vrin, 2002.

Henri Decleve, *Heidegger et Kant*, Martinus nijhoff,1970.

Henri Meschonnic, *Heidegger ou le national essentialisme*, Laurence Teper, 2007.

Husserl, *Notes sur Heidegger*, les éditions des Minuit,1993.

Jean Balazut, *L'impensé de la philosophie heideggérienne- l'essence de tragique*, L'Harmattan, 2006.

Jean Beaufret, *Dialogue avec Heidegger I, Le chemin de Heidegger* Editions : Minuit, 1985.

_____, *Dialogue avec Heidegger II, Approche de Heidegger*, Editions : Minuit, 1985.

Jean Edouard André, *Heidegger et la liberté, le Dasein face à la technique*, L'Harmttan, 2005.

Jean Launay, *Martin Heidegger interrogé par Der Spiegel*, Mercure de France,1976, pour le texte original.

Jean Lefranc, *La métaphysique*, Armand colin,1998.

Jean Marie Vaysse, *Le vocabulaire de Heidegger*, Editions Ellipses, 2000.

_____, *Dictionnaire Heidegger*, Editions Ellipses, 2007.

_____, *Les problèmes fondamentaux de la phénoménologie de Heidegger*, Ellipses, 2005.

Jean Wahl, *L'expérience métaphysique*, Flammarion, 1965.

_____, *Introduction à la pensée de Heidegger*, Librairie Générale Française, 1998.

Kristian Ferrié, *Heidegger et le problème de l'interprétation,* Editions Kimé,1999.

Léon Brunschvicg, *Le progrès de la conscience dans la philosophie occidentale*, Tome II, 2 -ème Edition 1953.

Luc Ferry, *Heidegger, Les illusions de la technique*, Sagesses d'hier et

D'aujourd'hui, Flammarion, 2013.

_____, *Philosophie du progrès*, Le romantisme contre les lumières, Flammarion, 2013.

_____, *La naissance de l'esthétique et la question des critères du beau*, Flammarion, 2013.

Marlène Zarader, *Heidegger et les paroles de l'origine*, Vrin, 1986.

Maurice Corvez, *La philosophie de Heidegger*, Presse universitaire de Nulle part,1961.

Pierre Aubenque, *le problème de l'Etre chez Aristote,* Presses universitaires de France, Paris, 1972.

Philippe Arjakovsky et al, *Le dictionnaire Martin Heidegger*, Editions Cerf, 2013.

Pierre Dulau, *Heidegger pas à pas*, Editions, Ellips,2008.

Platon, *œuvre complètes,* Tome II, Trad. Léon Robin, Bibliothèque de la pléiade, Gallimard, 1950.

Platon, *Phèdre, L'art de la parole,* Trad. Christian Ruby, Ellipses, 2012.

Pio Colonnello, *Martin Heidegger à Hannah Arendt,* Mimésis philosophie, 2014.

Richard wolin, *La politique de Martin Heidegger*, trad. Cathrine goulard, Kimé,1990.

Sébastien Camus, *Connaitre et citations*, Ellipses, 2017.

Serge Botet, *L'ontologie de la langue*, chez le dernier Heidegger, Presses universitaires de Strasbourg, 2010.

Sous la direction d'Yvon Belaval, *Histoire de la philosophie III*, vol 1, Le 19 et le 20 -ème siècle, Filio essais, Gallimard, 1974.

3- باللغة الإنجليزية

Alparslan Açikgenç, *Being and existence in Ṣadra and Heidegger, a comparative ontology*, Ibn Haldun University .Press, Istanbul, 2020

III- المجلات

1- باللغة العربية

أحمد معاريف، "الفينومينولوجيا التأويلية عند مارتن هيدغر"، في مجلة أيس، مارتن هيدغر راعي الوجود بين عشق الكينونة ولغز المسار، العدد 3، 2009.

نعيمة حاج عبد الرحمان،"الفينومينولوجيا ومسألة العودة إلى الإغريق"، في مجلة أيس، العدد 3، 2009

2- باللغة الفرنسية

Kostas Axelos, *« Sur Heidegger, phénoménologie de l'expérience maniérée »*, In revue L'art de comprendre, Paris, Juin 2001, n 10.
Revue philosophique de Louvain, « Être et temps et temps et être », 1973, 10 /pp. 247-270

ملحق

جدول الكلمات اليونانية

الكلمة باليونانية	نطقها	معناها بالفرنسية	معناها باللغة العربية
Ποιησις	بويزس	Poésie-création	الشعر
Πολεμός	بوليموس	Polémie	صراع
Θεα-θεο	تسيا- تسيو	Déesse-Dieu	الآلهة – الإله
Ληθη	ليتسي	Cèlement	الإختباء
Αληθεια	أليتسيا	Décelement	اللاإختباء
Λογος	لوغوس	Logos/parole	القول
Μυθος	ميثوس	Mythe	الأسطورة
Ψευδος	بساودوس	Fausseté	الخطأ
Λανθανομάι	لانتسانوماي	L’oubli	المستمر في الإختباء- النسيان
Το αληθες	تو أليتاس	Hors retrait	لاإنسحاب
Τεχνη	تكني	Savoir- art	المعرفة- الفن
Φυσις (son verbe,φυο)	فوسيس	Natura chez les romains, son verbe signifie : Faire naitre-éclore-croitre-pousser	جوهر الشيء أو طبيعة الشيء
Ουσια	أوزييا	Présence	حضور
Λανθανω	لانتسانو	Le retrait	أنا منسحب
Δοξα	دوكسا	Apparence, opinion	الرأي
Παρουσια	باروزيا	Présence	القادم إلى حضور
Αβυσσος	أبيسوس	Sans fond, d’une profondeur immense	بلا غور
Αβυσσαλεος	أبيسليوس	Très profond	عميق جدا
Αρχαι	أركي	Principe	مبدأ
Αληθης	أليتساس	Vrai	حق
Ψυχη	بسوكي	Ame	نفس

Ειδος– ιδεα	أيدوس - إيديا	Idée	فكرة (أفلاطون)
Λανθανω	لانتسانو	Echapper aux regards de- oublier	منسحب، متخفي
Μεριμνα	ميريمنا	Soin- souci	همّ – قلق
Μη ον	مي أون	Non étant	لاكائن
Το ον	أون	Etant	كائن
Το ον - τα οντα	تو أون- تا أونتا	L’étant- les étants	الكائن – الكائنات
Χρονος	كرونوس	Temps	الزمان
Φως	فوس	Lumière	النور
Ψευδεσθαι	بساوديستاي	Mentir, tromper	أخطأ – كذب
Λεγειν	ليغيين	Dire-parler Rassembler- réunir	قال- تحدث جمع – وحّد
Κρυπτεσθαι	كريبتستاي	Cèlement	الاحتجاب – التخفي
Οικος	أويكوس	Habiter	سكن – مكث
Εθος	إيتسوس	Habiter en proximité de Dieu	المكوث في جوار الإله
Νοειν	نوين	Penser	فكر – يفكر
Ειναι	أينيي	Etre	كينونة
Επος	إيبوس	Epopée	ملحمة
Μοιρα	مويرا	Destin	القدر أو المصير
Μουζαι	موزايي	Muse	آلهة الشعر
Μουζικη	موزيكي	Musique	الموسيقى
Μουσικος	موسيكوس	Déesses de la musique	آلهات الموسيقى
Μνηόσυνη	منيموزيني	Mémoire	الذاكرة
Το εν	تو آن	L’Un	الواحد
Το ηθος	تو إيثوس	Ethique (la tenue du séjour de l’homme au sein de l’étant de son entier	الإقامة
Ενεργεια- Κινεσις	إنيرغيا- كينيزيس	Acte- mouvement	الفعل- الحركة

Απειρον	أبيرون	L’illimité	اللانهائي أو اللامحدود
Γενεσις	غنيسيس	Naissance-origine-création	ميلاد
Πραγατα	براغاتا	L’utile	النفعي وهو نمط وجود الأشياء
To παν	تو بان	L’univers	الكون أو العالم

جدول أعمال ومحاضرات مارتن هيدغر

أعماله	التوقيت الزمني
نظرية الحكم في النفسانية	1914
رسالة المقولات والمعنى عند دونس سكوت	1915
الكينونة والزمان	1927
كانط ومشكل الميتافيزيقا	1929
المذهب الأفلاطوني للحقيقة	1942
جوهر الحقيقة	1943
رسالة في النزعة الإنسية	1946 ونشر سنة 1947
الطرق المسدودة	1950
مدخل إلى الميتافيزيقا	1953
محاولات ومحاضرات	1954
مبدأ السببية	1957
الطريق إلى اللغة	1959
نيتشه	1961

الأعمال الكاملة لهيدغر نشرت بعد وفاته وذلك سنة 1976 في:

«Gesamtausgabe »

محاضرات هيدغر	تواريخها
ما الميتافيزيقا؟ - كانط ومشكل الميتافيزيقا	في سداسي صيف 1929 (24 جويلية)
هرقليطس - أصل العمل الفني	1933-1935
هلدرلين وماهية الشعر - أوروبا والفلسفة الألمانية.	1936
العلم- برمنيدس هرقليطس	1938 -1942 1942-1943
محاضرة حول التقنية والمنعطف – من هو زرادشت؟ مبدأ السببية.	1949 – 1950
ما معنى التفكير؟	1951

ما الفلسفة؟ (أول سفر له إلى فرنسا)	1955
هيجل والفلاسفة الإغريق (سفره الثاني إلى فرنسا)	1958
الزمان والكينونة (أول سفر له إلى اليونان)	1962
مؤتمر في فرنسا، هيدغر في ضيافة روني شار. وكان له أيضا لقاء مع جريدة: Der Spiegel	1966 ونشر العمل سنة 1976 وهو تاريخ وفاته.
سفره الثاني إلى اليونان	1967
مشاركة هيدغر في مؤتمرالثورThor بفرنسا	1969

ملخص الأطروحة الموسومة ب: سؤال الكينونة والشعر- نماذج من الشعر القبسقراطي

إنغمس هيدغر في أشعار الإغريق الأوائل، وكذلك الشعراء الألمان، مثل ريلك وبول سيلان وشاعر الشعراء هلدرلين. وأضاف الكثير إلى الفكر والفن، بتأويله للنصوص الشعرية، بوصفها كشفا أنطولوجيا فتح لنا أفق عالم جديد وأصيل. كان الشعر ولا يزال من أقوى النصوص الفلسفية التي تناولت سؤال حقيقة الكينونة. أراد هيدغر من خلال البعد الأنطولوجي للشعر، أن يعود بنا إلى المسكن الروحي المفقود والغائب، وهو المسكن الشعري. الشاعر في نظر هيدغر هو المختار الذي منّت عليه الكينونة بعطائها، فلا ينبثق نورها إلا في حضوره الأكثر حميمية. تتكشف الكينونة للشاعر طوعا، فتسترسل كلماتها في أشعاره. سيكشف لنا هيدغر من خلال تقويضه للميتافيزيقا التقليدية وعودته إلى الشعر القبسقراطي، أن مسار الميتافيزيقا حجب حقيقة الكينونة المنسحبة خلف ظهور الكائنات، وهنا سنلمس الشاعرية التي تدعونا إلى الإنصات إلى نداء الكينونة، وتلبية نداءها، والدخول في علاقة حميمة معها

الكلمات الدالة: كينونة، اللغة، الشعر، الفكر، لوغوس

ملخص باللغة الأنجليزية:

Question of Being- presocratise poetry

The investigation of the truth of Being through poetry has occupied a very important place in Heidegger's thinking, especially in the process of Ereignis, due to the importance of the vision with its sensory and cognitive types. After the philosophers have put the cognitive view upon the sensory one, Heidegger wanted to give back to the emotional states of Dasein their place in understanding the truth of Being after the mind proved its inability to understand it. Because rational truth depends on adequation, nevertheless, the concept of truth among the early Greek poets, which was before Socratise, differs from the concept adopted by Western metaphysics from Plato to Nietzsche. How did Heidegger treat the truth of Being as nothingless by poetry?

Key words: Being, language, poetry, though, logos